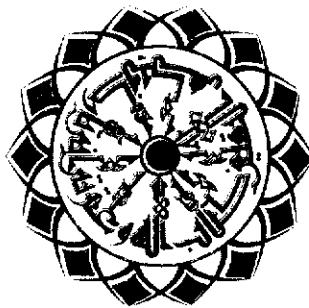


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سَائِلُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ اِسْلَامِيَّةِ جَامِعَةِ

العدد الأربعون • السنة العاشرة • سوال • ذو الحجة ١٤٢٢ هـ / ق / ٢٠٠٢ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

* الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . هي . ب . : (٨٩٤ = ٣٧١٨٥)

* هواتف : ٢ = ٧٧١-٧٧٤ فاكس : ٧٧٣٥١٣٩

* موقعنا على الانترنت :

www.ahl-ul-bayt.org

مجلات إسلامية بامتياز

- تعنى بإحياء المعارف الإسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم والسنة الشريفة للرسول الأمين ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ .
- تستقبل استاجات العلماء والمفكرين والكتّاب الإسلاميين التي تصبّ في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الأمة الإسلامية وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم .
- الآراء الواردة فيما يُنشر لا تعتبر بالضرورة عر رأي المجمع أو المجلة .
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية .
- يُرجى ممن يرفد المجلة بمنتجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر .

□ كلمات التمير

- * معولات في منهجية الخطاب الثقافي الإسلامي ... بقلم رئيس التحرير ٤

□ من أضاف الضيافة الإسلامية

- * الشباب ومتطلبات المرحلة

- ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله) ٢٦

□ دراسات

- * الأمة الإسلامية وخيار السلام العالمي في إطار العلاقة المتوازنة بين الحضارات

- الشيخ محمد علي التسخيري ٤٥

□ من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

- * قواعد أصول الفقه :

- ٩ - قاعدة : صيغة الأمر حقيقة في الوجوب

- ١٠ - قاعدة : الجملة الخبرية المستعملة في مقام الطلب ظاهرة في الوجوب

- اعداد : لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع) ٦٦

□ شهادات ورد

- * التعددية الدينية (١) الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ٧٣

- * فهم النص «عرض ونقد» : القراءات المختلفة للدين

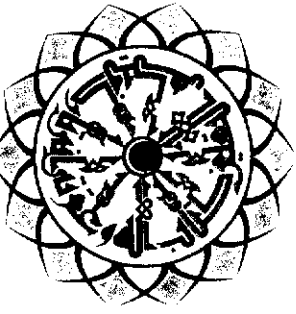
- السيد هاشم الهاشمي ١٠٧

□ سؤال وجواب

- * السعادة كيف نجدها؟ (٢) الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين) ١٣٠

□ إلهي

- * المسلمون الإنجليز «نظرة تقويمية» ... جعفر عبدالرزاق (هولندا) ١٦٣



المجمع العالمي لأهل البيت

رئيس المجمع :

الشيخ
محمد باقر المجلسي

رئيس التحرير :

الشيخ
فؤاد كاظم الحلي

○ العدد أربعون

○ السنة العاشرة

○ شوال - ذو الحجة

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م

○ المطبعة، بعلب

□ حوار

* حوار بين أخوين مسلمين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
..... اعداد : الدكتور محمد علي رضائي الاصفهاني ١٨٨

□ من أعلام مدرسة أهل البيت (ع)

* الشريف المعتمد عبد العظيم الحسني (٢)
..... عز الدين سليم (العراق) ١٩٦

□ أدب في إهاب النخلين

* قصيدة : أبا الحسن السيد محمد جمال الهاشمي ٢١٧

□ من أنا، الصوفي

* الجمهورية الإسلامية في إيران :

قراءة في واقع التجربة ومناطق الفراغ ٢٢٠
* فلسطين : اجتماع الأعداء وغاب الأصدقاء والدفاع عن القدس حق ثابت ٢٢٥
* مصر : مفتي الديار المصرية يصدر فتوى يقول فيها : «أن لا خلاف بيننا وبين شيعة أهل البيت (ع) في أصول الشريعة الإسلامية ٢٢٩
* الجزائر : من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل الجزائرية؟ ٢٣٢
* الصومال : ما المطلوب لئلا تعود عقارب الساعة إلى الوراء ٢٣٥
* الصين : حملة دموية ضد مسلمي تركستان الشرقية ٢٣٩
* الحلف الأطلسي : تاريخ أسود، يعيد الحقد الصليبي للمسلمين
في القرون الوسطى ٢٤٢
* أميركا : الافتتان بالقوة نمط السياسة الخارجية الأميركية ٢٤٥
..... اعداد : قسم الأرشيف

□ رسائل ونصوبات

* رسائل القراء

..... اعداد : قسم العلاقات ٢٥٠

□ فهرس

* فهرس مواد السنة العاشرة لمجلة رسالة الثقلين للأعداد (٣٧ - ٤٠)
..... تنظيم : قاسم السوداني ٢٥٤

مقولات

في منهجية الخطاب الثقافي الإسلامي

✽ بقلم رئيس التمير

تواجه مجتمعاتنا الإسلامية باستمرار موجات متوالية من الغزو الثقافي الغربي ؛ التي تكشف عن تخطيط بعيد المدى ، ووضع برمجة مدروسة في طريقة الغزو التغريبي ، والاحتواء الثقافي والحضاري . وقد استعر أوارها بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، وقيادتها لحركة الصحوة الإسلامية في العالم . والملاحظ على برامج الغزو الثقافي الغربي الموجهة بشكل خاص إلى الجمهورية الإسلامية في إيران أنها تتحرك في إطار محاور مدروسة ومعدة سلفاً ؛ لتتناغم مع الأرضيات التي بذلت جهوداً كبيرة في الخفاء والعلن لتهيئتها من خلال شريحة المتغربين في الداخل ؛ لتجد تلك البرامج التغريبية طريقها الفاعل في أوساط المجتمع الإسلامي في إيران ؛ بهدف خلق تيار ثقافي معارض لكل خطوات التطبيق الرسالي للأنظمة الإسلامية في إيران ؛ بل



والتشكيك في مبادئها التشريعية سواء كان ذلك على الصعيد الاجتماعي العام ، أو على الصعيد الرسمي للمؤسسات والأجهزة الحكومية . ومن محاور تلك البرامج هو مواجهة تطبيق أحكام الحدود الإسلامية ، وفي مقدّماتها أحكام القصاص الإسلامي .

وليست هذه المواجهة العدائية بدعةً خاصّة ابتدعها الغرب لمواجهة بها الثورة الإسلامية وليحدّ من تجربة تطبيق النظام الإسلامي في إيران ؛ بل إن الاستعمار قد استطاع في أغلب بلدان العالم الإسلامي من محوها من اللوائح القانونية والتشريعات القضائية لتلك البلدان ، بما فيها إيران في عهد الشاه المقبور . إلّا إنّهم وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران استنهضوا طابورهم المتغزّب الذي صفوه تحت إشرافهم في داخل إيران عبر عصور الاستعمار المتوالية . وبعد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران أصدرت الجبهة الوطنية الإيرانية - وهي تنظيم علماني قومي على الطريقة الغربية - في عام ١٩٨٢م المصادف ١٣٦٠ هـ . ش (حسب التقويم الإيراني) بياناً احتجّت فيه على اللائحة القانونية التي أعلنتها السلطة القضائية في الجمهورية الإسلامية في إيران بتطبيق عقوبة القصاص الإسلامي بحقّ من يرتكب جرماً ، عقوبته القصاص .

ولمّا كان النظام الذي قام بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران هو النظام الذي يعتمد الإسلام مصدراً تشريعياً مطلقاً له ؛ فقد صوّت الشعب الإيراني بأغلبية ساحقة على إسلامية النظام ودستوره الإسلامي المعلن ، فما كان من الإمام الخميني (ع) إلّا أن يعلن حكم الإسلام في أمثال هؤلاء المعاندين ؛ باعتباره الوليّ الفقيه الحاكم ، والقائد الإسلامي لهذا النظام ، فأصدر في حينه فتواه التي حكم بها بارتداد الجبهة الوطنية الإيرانية عن الإسلام . إلّا إن دوائر الاستكبار الغربي وعملاءه

المترصدين داخل الجمهورية الإسلامية في إيران انتهزوا فرصة الانفتاح الثقافي والإعلامي في إيران ليعاودوا الكرّة مرةً أخرى، بأسلوب جديد لإثارة الشكوك بقيمة الأحكام الإسلامية احتجاجاً على تطبيقها. وكان من أبرز الأحكام عرضةً لذلك هي أحكام القصاص. إلّا إنّ طريقتهم هذه المرّة لم تأت صريحة في الرفض القاطع؛ وإنّما طرحت بطريقة الخطاب الثقافي، والمطالبة بإعادة النظر في أحكام القصاص وغيرها من الحدود الإسلامية على أساس لحاظ التطور الحضاري ومواكبة التجربة الغربية في هذا المجال. وهنا اختلف الموقف عمّا كان سابقاً، إذ أنّ الطرح هذه المرّة جاء بلغةٍ إلقاء الشبهة المفهومية أحياناً، والشبهة المصادقية أحياناً أخرى (حسب اصطلاح الفقهاء)؛ الأمر الذي يلزم منه الردّ العلمي ومواجهة خطابهم الثقافي التغريبي بخطاب ثقافي إسلامي أصيل، يضع النقاط على الحروف، ويجلي البصائر عن حقائق التشريع الإسلامي وإصالته وقدرته على اجتثاث الفساد وردع الظلم، وإقامة القسط والعدل في المجتمع الإسلامي.

ونحن هنا نريد أن نشير فقط إلى منهجية تحرير الخطاب الثقافي الإسلامي في الردّ على مقولات التشكيك وإلقاء الشبهات التي يطرحها المثقفون المتغربون، دون الخوض في تفصيلات الردّ العلمي؛ التي تحتاج إلى بحثٍ تخصّصي تفصيلي، لا تتسع له هذه الكلمة، ولا نفغل عن أنّ هذه الطريقة الجديدة التي سلكوها في المواجهة الثقافية لا تعني بالضرورة أنّهم موضوعيون، وسوف يرضخون للحقيقة العلمية والدليل القاطع؛ بل إنّنا بخطابنا الثقافي الإسلامي هذا نتّم الحجّة عليهم أوّلاً، وثانياً: نرفع الوهم والتشويش عن أذهان بعض المثقفين الإسلاميين الذين تأثروا بهم.

وهنا نريد أن نرشد طلاب الحقيقة إلى منهجية تناول الحقائق ، وطريقة الوصول إلى الحقيقة العلمية في مسألة فلسفة العقاب في الإسلام ، وقيمة أحكامه القضائية ؛ فننتقل من مسلّمات أشار إليها القرآن الكريم وأقرّها العقل السليم ، وهي أنّ الله تعالى خلق الإنسان وكرّمه خلقياً ، وفضّله على كثير من المخلوقات : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾^(١) . فأول كراماته وفضائله في الخلق هو العقل ؛ إذ به يدرك الحقائق ، ويتكامل في مدارج العلم والعرفان ، وبهذا يكون العقل حجة على الإنسان كما يكون حجة له . وقد ورد في الإشارة إلى هذه الحقيقة روايات عديدة ، منها :

ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام : «لما خلق الله العقل قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، فقال : وعزّتي وجلالي ! ما خلقت خلقاً أحسن منك ، إياك أمر وإياك أنهى وإياك أثبت وإياك أعاقب»^(٢) .

وعن الإمام علي عليه السلام قال : «العقول أئمة الأفكار»^(٣) .

وقال الإمام الكاظم عليه السلام : «إنّ لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة ، وحجة باطنة ، فأما الحجة الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وأما الباطنة فالعقول»^(٤) .

ولازم كرامة العقل وفضيلته في الإنسان كرامة وفضيلة أخرى : هي إرادة الاختيار بحدودها الإنسانية التي تمكّنه من الفعل والترك ، وبه تتم نسبة أفعال الإنسان وتروكه إلى نفسه ، وهو الأساس العقلي والشرعي الذي يقوم عليه ميزان العدل في الحساب والجزاء على الأعمال الإنسانية ،

(١) الإسراء : ٧٠ .

(٢) الكافي ١ : ٢٦ / ٢٦ . والمحاسن ١ : ٢٠٨ / ٦٠٨ .

(٣) البحار ١ : ٩٦ / ٤٠ .

(٤) الكافي ١ : ١٦ .

فيثاب على الأفعال الحسنة ، ويعاقب على الأفعال القبيحة . كما جعل الله تعالى العواطف والمشاعر (كالحب والكراهة والرضا والغضب والسرور والحزن ... الخ) عوامل شدة وتحريك وهمزة وصل بين العقل والإرادة ، فقد جاء في ذلك عن الإمام علي عليه السلام قوله : ﴿العقول أئمة الأفكار ، والأفكار أئمة القلوب ، والقلوب أئمة الحواس ، والحواس أئمة الأعضاء﴾^(١) ؛ فلو أدرك الإنسان بعقله الحسن والقبح في الأفعال كإدراكه لحسن العدل وقبح الظلم ، وأن الله تعالى هو الحق المطلق ، وهو الذي يهدي الإنسان إلى الصراط المستقيم في مسيرته الإنسانية نحو الكمال ، ووعى قوله تعالى : ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون﴾^(٢) ؟ ، عند ذلك سيحب الإنسان من خلال إدراكه السليم هذا ما يحب الله ؛ فتتحرك إرادته نحوه ويكره ما يكره الله فتمتنع إرادته عنه ، ويرضى برضا الله ويغضب لغضب الله ... وهكذا تتفاعل كل عواطفه ومشاعره وأهوائه مع إرادة الله تعالى ، وتتحوّل إلى عوامل تحريك نحو الحسنات ، وعوامل منع عن السيئات فيستوي على صراط الله المستقيم فيصدق قول الله تعالى : ﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسيطان الله وما أنا من المشركين﴾^(٤) .

وهنا تكمن الخطورة في وجود الإنسان ، لاجتياز الامتحان العسير الذي يُشير إليه قوله تعالى : ﴿ونفس وما سواها﴾ فألهمها فجورها وتقواها * قد

(١) البحار ١ : ٩٦ / ٤٠ .

(٢) يونس : ٣٥ .

(٣) الأنعام : ١٥٣ .

(٤) يوسف : ١٠٨ .

أفلح من زكّاهما * وقد خاب من دسّاهما ﴿^(١) وقوله تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حيناً من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ ^(٢).

ولعلّ السرّ في تعجّب الملائكة من خلق الله الإنسان الذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نستبح بحمدك ونقدس لك ..﴾ ^(٣) ذلك أنّ الملائكة أدركت أنّ إطلاق العنان لهذا المخلوق العاقل (الإنسان) من خلال تمكينه بالإرادة والاختيار من فعل ما يشاء من الأفعال الاختيارية سوف ينتهي به إلى سفك الدماء ، والعبث والفساد في الأرض ؛ لو غلب هواه عقله واختار طريق الكفر والعصيان وسبيل الفجور والفساد ، فما هو الضمان إذن من عدم وقوع ذلك كله من قبله ؟ ولو سفك بعضهم الدماء وعاث في الأرض فساداً ؛ فما هو الرادع له لحماية غيره من الناس ووقاية نوعه الإنساني الذي خلقه الله لتحقيق كماله الإنساني من خلال تنكّب طريق الحقّ وسبيل الهدى والعبودية الخالصة له سبحانه ؟ وهو القائل جلّ شأنه : ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾ ^(٤) . فكان جواب الله سبحانه وتعالى لهم : ﴿...إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ^(٥) ، وقال لهم أيضاً : ﴿...ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تعلمون﴾ ^(٦) وهي إشارة إلى أنّ الله سبحانه لم يخلق الإنسان عبثاً : ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم

(١) الشمس : ٧ - ١٠ .

(٢) الإنسان : ١ - ٣ .

(٣) البقرة : ٣٠ .

(٤) الذاريات : ٥٦ .

(٥) البقرة : ٢٠ .

(٦) البقرة : ٢٢ .

عبثاً وأنكم إينا لا ترجعون ﴿١﴾ وأن لله تعالى حكمة بالغة في خلقه وأن الأرض يرثها عباده الصالحون ﴿٢﴾ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴿٣﴾ ولتحقيق هذه الحتمية ؛ كان مقتضى اللطف الإلهي إرسال الأنبياء وتنصيب الأوصياء لإرشاد الإنسان وهدايته إلى الصراط المستقيم ، وإعداده خليفة لله في الأرض كما أراد سبحانه ليحكم بالحق ويزهق الباطل ، ويحقق الهدف الإلهي في اجتثاث الظلم والجور وملء الأرض قسطاً وعدلاً ﴿٤﴾ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴿٥﴾ .

وهكذا واكتب بعثة الأنبياء وإرسال الرسل وتنصيب الأوصياء مسيرة الإنسان منذ أول خلقه ؛ ولهذا كانت إرادة الله في جعل أول إنسان مخلوق على الأرض نبياً هو آدم عليه السلام . ومنه انطلقت مسيرة الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام في كفاح مريدٍ وجهادٍ متواصل لإنذار البشرية وإبلاغها رسالات ربّها ، وهدايتها إلى سبيل الرشاد : ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيري إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم * قال الملائكة من قومه إنا لنراك في ضلال مبين * قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (١) ... ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين * أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ (٢) .

﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله

(١) المؤمنون : ١١٥ .

(٢) الأنبياء : ١٠٥ .

(٣) القصص : ٥ .

(٤) الأعراف : ٥٩ - ٦٢ .

(٥) الأعراف : ٦٧ - ٦٨ .

حسباً * ما كان محمداً اباً أحدهم رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً ﴿١﴾ ... ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً * وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ (٢).

ومن حكم إرسال الرسل إتمام الحجة على الناس ﴿من اهتدى فإبنا يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإبنا يضلّ عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (٣).

ولئلا يكون للناس على الله حجة ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً * ورسلنا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلنا مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ (٤).
ولتكون لله الحجة البالغة ﴿قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ (٥).

ولا إقامة حكم الله في الأرض وردع الظلم والجور والعدوان :
﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ (٦).

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس

(١) الأحزاب: ٣٩ - ٤٠.

(٢) الأحزاب: ٤٥ - ٤٨.

(٣) الأسراء: ٢٥.

(٤) النساء: ١٦٣ - ١٦٥.

(٥) الأنعام: ١٤٩.

(٦) النساء: ١٠٥.

واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿١﴾ .

﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور مصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين * وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (٢) .

﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون﴾ (٣) .
وكان الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وكان الإسلام خاتم الأديان والشرائع الإلهية ومهيماً وحاكماً عليها :

﴿ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾ (٤) .

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق...﴾ (٥) .

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (٦) .

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) المائدة : ٤٦ - ٤٧ .

(٣) المائدة : ٤٩ - ٥٠ .

(٤) الأحزاب : ٤٠ .

(٥) المائدة : ٤٨ .

(٦) التوبة : ٣٣ .

شهيدياً^(١).

﴿... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...﴾^(٢).

ومن قوانين وتشريعات الردع والظلم والجور والفساد التي شرعها الله تعالى وأمر أنبياءه بإقامتها والحكم بها ؛ هي القصاص ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْمُ بِالْحَرْمِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِكُمْ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٥).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أَنَّ فلسفة تشريع القصاص هو حفظ الحياة الإسلامية الكريمة برّد سقّاكي الدماء والمفسدين في الأرض في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٦).

فقد جاء عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ : «لأنَّ مَنْ هَمَّ بِالْقَتْلِ فَعَرَفَ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ فَكَفَّ لِذَلِكَ عَنِ الْقَتْلِ كَانَ حَيَاةً لِذِي هَمٍّ بِقَتْلِهِ ، وَحَيَاةً لِهَذَا الْجَانِي الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ، وَحَيَاةً لِغَيْرِهِمَا مِنَ النَّاسِ

(١) الفتح : ٢٨ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) البقرة : ١٧٨ .

(٤) البقرة : ١٩٤ .

(٥) المائدة : ٤٥ .

(٦) البقرة : ١٧٩ .

إذا علموا أَنَّ القصاص واجب فلا يجزؤون على القتل مخافة القصاص»^(١).

وقال رسول الله ﷺ : «أيتها الناس ! أحيوا القصاص وأحبوا الحق ولا تفرقوا ، وأسلموا وسلّموا تسلموا»^(٢).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : «قُلت أربعا أنزل الله تعالى تصديقي بها في كتابه ... قلت : القتل يُفعل القتل فأُنزل الله : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾»^(٣).
وقال الإمام علي عليه السلام أيضاً : «فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك ... والقصاص حقناً للدماء»^(٤).

ويمكننا القول أن الآية الكريمة : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ تُشير إلى فلسفة العقاب في الإسلام وعلة تشريع العقوبات الإسلامية ، وأن القصاص ماهو إلا الفرد البارز من هذه العقوبات ، فيمكننا إذن التعميم والقول بأن نظام العقوبات الإسلامية شرّع لإقامة القسط والعدل والردع عن انتشار الظلم والفساء وتمكين الإنسان من عيش الحياة الإسلامية الكريمة ، خصوصاً في المجتمع الإسلامي الذي تترايط فيه جميع مفردات تطبيق النظام الإسلامي في الحياة ، فترفع عن طريقه الموانع والعقبات التي تعترض سبيل تكامله ، وتسدّ الدرب عليه لسلوك سبيل الله تعالى وإقامة القسط والعدل في حياته الإنسانية في بعديها الفردي والاجتماعي .

وخلاصة القول أن الوعي العميق لمنهجية إدراك وفهم مفردات التشريع الإسلامي لا في مجال القضاء والعقوبات الإسلامية فحسب بل في جميع أبوابه ومجالاته الشاملة لمراقق الحياة الفردية والاجتماعية ،

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (ع) : ٥٩٥ وبحار الأنوار ١٠٤ : ٣٨٨ .

(٢) أمالي المفيد : ١٥ / ٥٣ .

(٣) نور الثقلين ١ : ١٥٨ .

(٤) نهج البلاغة : الحكمة ٢٥٢ .

يلزم منه لحاظ مقولات أساسية في منهج الخطاب الثقافي الإسلامي ،
ومن أهمها :

أولاً : أن للأحكام الإسلامية ملاكات تشريعية مقومة بالمصالح في
الواجبات والمستحبات والمفاسد في المحرمات والمكروهات ، والعلم
بهذه المصالح والمفاسد في إطار التشريعات الإلهية من مختصات العلم
الإلهي ولا نعلم منها شيئاً باستثناء موردين :

المورد الأول : ما يدركه العقل ويصدقّه التشريع وهو ما يصطلح عليه
في أصول الفقه الإسلامي (بالأدلة العقلية)^(١) التي ترشد الفقيه إلى
اكتشاف أحكام تشريعية لا بدّ من إقرارها في القرآن الكريم والسنة
الشريفة ، سواء كانت هذه الأدلة مستقلة لا تحتاج إلى إثبات قضية
شرعية لاستنباط الحكم منها ، وهي ما يُصطلح عليها بـ«المستقلات
العقلية» كمقولة أنّ كل ما حكم العقل بحسنه أو قبحه حكم الشارع
بوجوبه أو حرمة ، كوجوب العدل وحرمة الظلم ، أو كانت هذه الأدلة
عقلية غير مستقلة ، أي تحتاج إلى إثبات قضية شرعية مسبقاً لاستنباط
الحكم منها ، كالقول بأنّ وجوب شيء يستلزم وجوب مقدمته ؛ كالحكم
بوجوب السفر إلى الحج الذي يتوقّف على إثبات قضية شرعية مسبقة
وهي وجوب أداء الحج على المكلف به .

المورد الثاني : ما نُصّ على علّة وحكمة تشريعه ، وهو ما يصطلح
عليه في الفقه بـ«منصوص العلة» حيث يتعدّى الفقهاء من مورده
المصرّح به في النص إلى كلّ مورد توجد فيه نفس العلة والحكمة
بشروطها وحدودها ؛ كالحكم بحرمة الخمر لإسكارها ، فالإسكار هنا

(١) لمزيد من التفصيل راجع دروس في علم أصول الفقه للشهيد السيد محمد باقر الصدر: الحلقة
الثالثة / القسم الأول ص ٢٠٩ .

علة لحرمة الخمر؛ وعليه فإذا وجد الإسكار في شيء غير الخمر ثبتت الحرمة لذلك الشيء لاشتراكه في علة التحريم مع الخمر^(١).

كما أن القول بمبدأ أن المصالح والمفاسد التي هي ملاكات الأحكام الشرعية من مختصات العلم الإلهي، إلا ما علمنا الله إياها أو أرشد عقولنا إليها، ليس منحصراً بمدرسة أهل البيت عليهم السلام الفقهية، بل إن المذاهب الإسلامية الأخرى هي أيضاً تقول بنفس المبدأ إلا أنها تخطئ أحياناً في منهجية إصابته من خلال تطبيق مقولات الرأي المعروفة لديهم «كالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وأمثال ذلك»^(٢) التي تدخل عنصر الرأي الإنساني في الاستنباط الفقهي وتنسبه خطأً بواسطة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وهذا ما يسعى علماء المذاهب الإسلامية وفقهاؤها علاجه من خلال الحوار العلمي التخصصي الهادف.

ثانياً: إن مقولة تأثير تغير الزمان والمكان على الأحكام الشرعية لا تعني إطلاقاً تغير هذه الأحكام الثابتة لموضوعاتها المعيّنة وفق ملاكاتها الواقعية عند الله سبحانه «المصلحة في الواجب والمستحب والمفسدة في المحرم والمكروه»؛ فإن لكل حكم شرعي موضوعاً بحدوده في إطار الزمان والمكان الخاص بذلك الموضوع المعين، كالحكم بحرمة تناول التتن وفق الفتوى المعروفة التي أصدرها المرجع الديني الميرزا الشيرازي في أوائل القرن العشرين^(٣)، فإن موضوع الحرمة هو أن التتن في زمان الفتوى تلبس بالسلطة الاستعمارية الكافرة والواجب هو نفي سلطة الكفار على المسلمين؛ وعليه أصبح التتن بهذا

(١) لمزيد من التفصيل راجع الأصول العامة للفقهاء المقارن للسيد محمد تقي الحكيم.

(٢) نفس المصدر.

(٣) عندما اتفقت الشركات البريطانية مع حكومة شاه إيران آنذاك بحصر تجارة التتن بها كإحدى وسائل التسلط والهيمنة على المسلمين في إيران.

اللاحاظ موضوعاً لحرمة تناوله ، ولذا عندما تغيرت الشروط الزمانية والمكانية بانتهاء حالة التلبس تلك تغير تبعاً لها الموضوع فأصبح التتن مباحاً ، وهذا حكم آخر غير الحكم الأول ولا يعني أن الحكم الأول قد تغير إلى حكم آخر ، وعليه فإن الأحكام الشرعية ثابتة لا تتغير ، والذي يتغير فقط هو الموضوع بلحاظ تغير الزمان والمكان ، ولكل موضوع معين حكم ثابت له لا يتغير ، إذن فالأحكام الشرعية ثابتة لموضوعاتها المعينة ولا تتغير أبداً .

ثالثاً: إن استنباط الأحكام الشرعية التفصيلية من مطلق مصادر التشريع الإسلامي ، بما فيها ما كان مدلولاً للدليل العقلي أو مدلولاً لمنصوص العلة ، أمرٌ علمي تخصصي ، لا يملك القدرة عليه إلا الفقهاء الجامعون لشرائط الاستنباط الفقهي والفتيا ، وهذا أمرٌ عقلي وعقلاني درجت عليه سيرة العقلاء كما هو الأمر في مرجعية الطبيب المتخصص بالطب ، وأمثال ذلك في باقي التخصصات العلمية .

وعليه فلا يصح لكل أحد مهما كانت ثقافته ومعارفه أن يدّعي رأياً وقولاً فقهياً خاصاً في الأحكام الشرعية مخالفاً لآراء الفقهاء المتخصصين إلا إذا امتلك قدرتهم التخصصية والشروط الجامعة للفقهاء المؤهل للاستنباط الفقهي ، كما هو الشأن في الطب مثلاً ، إذ لا يصح لأي أحد أن يدّعي تشخيصاً طبياً للمرض وعلاجه إلا إذا امتلك القدرة العلمية والكفاءة التخصصية والتطبيقية في الطب وشهدت له المجامع العلمية الطبية بذلك .

رابعاً: إنّ وعي التشريع الإسلامي ومعرفة موقعه في سلم الفكر الإنساني لا يتم بشكله الحقيقي الكامل إلا وفق المنهج العقلي في نشوء المعرفة الإنسانية ، والذي ينطلق من العقل الأولي للإنسان ، وبعبارة

أخرى إنّ المنهج الإسلامي في المعرفة قائم على أساس سلوك العقل الإنساني في الاستدلال والإثبات للقضايا من العام إلى الخاص (حسب اصطلاح المنطقيين) ، وهذا المنهج هو الذي يقوم عليه صرح المعرفة الإسلامية وبنائها العقائدي والتشريعي ، فنكتشف عن طريق هذا المنهج العقلي حقائق أولية وأخرى ثانوية تبعاً لها وهكذا ، ومن أهمّها :

أ - إنّ الإنسان - وكما أشرنا سلفاً - كائن تتفاعل فيه بشكل متوازن جوانب جوهرية ثلاث (تمثّل فطرته الإنسانية وحيثيته الذاتية) : أولها ومحورها «العقل» وهو محور القيمة الإنسانية وفيه تكمن قوّة الإدراك . وثانيها «العواطف والمشاعر» ، كالحبّ والبغض والرضا والغضب والسرور والحزن ... الخ ، وهي تحقّق للنفس صور التفاعل والانفعال . وثالثها «الإرادة» التي تعبّر عن قدرة الاختيار الفعلية بحدودها الإنسانية ، والتي تكمن وراء السلوك الإنساني بمعنى الفعل والترك .

ب - إنّ الفطرة (بقواها الكامنة تلك) هي المبدأ الذي ينطلق منه الإنسان في الإدراك ، ويبدأ حركته التكاملية في الوجود . فالمبدأ الذاتي للإنسان فطري وجداني ، لا يحتاج إلى أكثر من توجيهه إلى نفسه لإدراكه ، ومن ثمّ الانطلاق منه . وإنّ أيّ تجاوز لهذا المبدأ «الفطرة» يعني تجاوزاً للهوية الواقعية والحيثية الذاتية للإنسان .

إنّ بدون إدراك الفطرة الإنسانية والإذعان لها سوف لن تستطيع اكتشاف الحقائق المكوّنة للعقيدة الصحيحة ، وإدراك ضرورة إصابة المصالح والمفاسد الواقعية في ملاكات التشريع الذي يجب أن يحكم الحياة الإنسانية . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة «الفطرة» بقوله تعالى : ﴿ فإقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل

لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(١)، فيدرك الإنسان بفطرته أنّ مبدأ الخلق هو الله سبحانه فيقرّر الإيمان بالله تعالى وبتوحيده وصفاته الكمالية، ونفي الصفات السلبية عنه سبحانه؛ وخلق سبحانه للإنسان وسائر الموجودات وولايته المطلقة عليه وعلى كلّ الوجود؛ وإنّ الوجود عالمان: عالم مادي محسوس ومحدود «عالم الشهادة»، وعالم ما وراء المادة المحسوسة وأوسع منها «عالم الغيب» وإنّ الثاني مهيمن على الأول، وإنّ الله لم يخلقه عبثاً؛ بل خلقه ومكّنه لإعمار الحياة وخلافة الصالحين عليها، وإنّ عدله يقتضي الحساب والجزاء، فلا بدّ من المعاد والحساب والثواب للمحسنين والعقاب للمسيئين، وإنّ لطف الله يقتضي بعث الأنبياء وإرسال الرسل وتنصيب الأوصياء ليلبّغوا رسالاته، ويكونوا خلفاء له على الناس في الأرض؛ وهكذا تتكون العقيدة الصحيحة للإنسان، ويدرك أنّ الولاية المطلقة لله ولأوليائه في عالم التكوين والوجود وفي التشريع والحكم.

جـ- إنّ دائرة حركة الإنسان بجوانبه وقواه الجوهرية هذه لا تقتصر على عالم المادّة المحسوس «عالم الشهادة»؛ بل تشمل عالم ما وراء المادّة المحسوسة «عالم الغيب»؛ فهو إذن محاط بعالمين واقعيين: عالم الشهادة، وعالم الغيب، فلو أغمض عينيه عن أحدهما لا يتغير من الواقع شيء، ولا يؤثّر هذا في الثوابت الواقعية؛ فالحقائق التي تمثّل قوائم العقيدة، والمصالح والمفاسد التي تمثّل ملاكات التشريع في عالم الشهادة أو في عالم الغيب أو في كليهما، تبقى ثابتة في لوح الواقع سواء حجب الإنسان نظره عنها وإدراكه لها أم لا، وسواء أذعن لها وأقرّها أم لا.

د - إنَّ الإذعان والتسليم لكلِّيات التشريع الإسلامي وتفصيلاته في جميع نواحي الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية ؛ لا يتمُّ بشكله الإسلامي الكامل إلاَّ بالإيمان الخالص والتسليم العقائدي الراسخ لله ولرسوله ولأولي الأمر الواجب طاعتهم ، وهو مفاد قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يُريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويُريدُ الشيطان أن يُضلَّهُم ضلَالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدُّون عنك صدوداً * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدّمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلاَّ إحساناً وتوفيقاً * أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظّمهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً * وما أرسلنا من رسول إلاَّ ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً * فلا وربك لا يؤمنون حتّى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويُسلّموا تسليماً ﴾ (١) .

هذه إشارات كليّة لأهمّ مقولات منهجية الخطاب الثقافي الإسلامي التي يجب أن يسير وفقها ، ويؤسّس رؤاه على أساسها كلّ من أراد فهم النظريات الإسلامية وعرضها وتقويمها فكرياً وثقافياً ، فكلّ خطابٍ وبناءٍ فكري وثقافي مباني لا يمكن فهمه وعرضه وتقويمه إلاَّ على أساسها ؛ على أننا نعدّ قراءنا الكرام بأننا سنتناول مستقبلاً ، بالعرض والنقد ، أهمّ كليّيات مقولات منهجية الخطاب الثقافي التغريبي إن شاء الله تعالى ، والحمد لله ربّ العالمين .

الشباب ومتطلبات المرحلة

❁ ولي أمر المسلمين آية الله العظمى
السيد الفاضلي «دام ظلّه»

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتماعنا هذا اليوم طافح بالصفاء والصدق وأروقته تظللها
المحبة، إنكم تحيطونني بمحبتكم وأنا بدوري أبادلكم المودة،
والأمل يحدونني بأن تتحول هذه الأجواء الملائية بالحيوية والنشاط إلى
منطلق يعيننا على تبادل الحديث حول أهم القضايا التي هي في صميم
اهتمامنا أنا وأنتم.

بادئ ذي بدء أتقدم بالشكر لكم حيث تتحملون عناء الجلوس في هذا
الجمع الحاشد، وللأخوة القائمين على الإعداد لهذا الاجتماع، ومن
شاركوا في المراسيم، وكذا ابنتي العزيزة التي قرأت الرسالة -
وسأحتفظ بهذه الرسالة وأطالعها بدقة على أمل أن تتوفر لدي فرصة

متابعتها إن شاء الله - وشكري كذلك لأبنائي الأعزاء الذين أنشدوا أبياتاً حزينة من شعر اللاهيجي^(١) ، وإن أية خطوة نخطوها باتجاه تحقيق الأهداف التي يتطلع إليها هذا الشعب سننال عليها الثواب الجزيل من لدن الباري تعالى إن هي اقترنت بالإخلاص .. وتأسيساً على ذلك فإن الثواب يشملكم جميعاً .

حديث الشهيد المطهري حديث العصر

اليوم يوم المعلم واجتماعنا هذا خاص بالشباب ، والعلاقة بين المعلم والشباب علاقة منطقية ودائمية ، وإنني أتقدم من الأعماق بآيات التقدير والتبجيل لمعلمينا الأعزاء ، وليعلم المعلمون والمدرسون في كافة أرجاء البلاد أنني من أكثر الناس إخلاصاً لهم وعرفاناً لقدرهم ، إذ أن عملهم والمهمة التي يحملونها على عواتقهم من العظمة ما يعجز البيان - من قبيل البيان الذي يدلي به أمثالي - عن وصفها .

واليوم يوم الشهيد المطهري أيضاً ، ذلك العالم المعلم الذي أصبح فيما بعد الشهيد المعلم ، وهو لم يحصر العلم بين جنبات قاعة الدرس ، إنه كان يدرس في الجامعة والحوزة ، ويستمر تدريسه ساعات وساعات ، بيد أن تدريسه كانت له مديات واسعة جداً ، وكان يؤلف ويحاضر وعدد تلاميذه في مجال التأليف والخطابة أضعاف عدد تلاميذه في قاعات الدرس ، وكان ينتقي من الحديث ما يلبي مقتضيات الزمان .

ليست لدي الآن الفرصة لأتطرق بالتفصيل لأعمال هذا الشهيد التي قلّ نظيرها ، لكنني أوصيكم بالتواصل مع حديث الشهيد المطهري لما يمثله

(١) أحد الشعراء في محافظة جيلان .

من حديث العصر . لقد انهالت عليه كافة العناصر التي وقف طوداً فكرياً بوجهها وصبّوا عليه حمم هجماتهم الفكرية وتحاملوا عليه اجتماعياً أيضاً ، لكنه صمد أمامهم بمفرده . مَنْ هم أولئك المهاجمون ؟ إنهم المروّجون للثقافة الأجنبية الدخيلة والمضلّون ممن ينصبون المصائد في طريق الشباب ؛ يومها كانت الشيوعية وبعض الأفكار الليبرالية هي الرائجة ، ولم تزل تلك الأفكار تطل علينا في هذه الأيام ؛ فالشيوعية قد ماتت بظاھرھا ، أما الحديث الذي يطرح قراءات مختلفة لمصادر الفكر الإسلامي فهو لم يزل حياً .

الشباب وروح الاستقلال

لأدخل الآن في صلب موضوعي ، حيث كان لي الكثير من الكلام حول قضية الشباب ، كما صدر عن الآخرين الكثير ، بيد أن القضية لم تزل في أهميتها تشغل الأوساط الفكرية والعلمية في مجتمعنا ولا مفر من مواجهتها ، وإنكم الشريحة التي تشكل فحوى قضية الشباب ، ولي معكم حديث بهذا الصدد .

إن عدد الشباب ونسبتهم إلى المجموع السكاني في البلاد يعد ظاهرة مذهشة ، فنصف أبناء شعبنا هم من الذين تقلّ أعمارهم عن الثلاثين ، وقلّ أن اتفق أن يجزّب بلد هو من أكثر البلدان شبابية واحدة من أعظم الثورات وأكثرها فتوة في التاريخ ونظاماً سياسياً هو الأوفر استقلالية في العالم ، إنه اقتران عجيب . وهذا الكم الهائل من الشباب لا يقطن بلداً يحكمه نظام سياسي تابع لأمريكا أو الشركات العالمية الكبرى أو الشركات المتعددة الجنسيات أو هذا البلد أو فلك تلك السياسة ، بل يحيى في بلد يتميز نظامه السياسي بشبابيته ، والشباب بطبيعته ميّال نحو

الاستقلالية ورفع الهام ويأبى الأسر والتبعية ، وإن النظام السياسي في بلدكم اليوم نظام شامخ لم يطأ طئ رأسه أمام أحد أبداً ، ولم ترهبه مدافع الأمريكان وعنجهيتهم ولا الأخطار على اختلافها التي واجهها على مدى اثنين وعشرين عاماً .

إن وطننا يعيش ثورة حديثة وفتية لذلك فهو بحاجة إلى برنامج عمل سريع مقرون بالتخطيط الصائب باتجاه بناء النفس وبلوغ التطور ، كي يتسنى له قطع ألسنة الأعداء وفرض وجوده عليهم علمياً وعملياً ، وهذا ما يستحيل تحقيقه بمجموعة من العجزة الذين ذرّفوا على الخمسين أو الستين ، لكنه في عداد الممكّنات على أيدي شعب نصفه من الشباب ، وها هي قوافل الشباب تقتحم الميدان بسرعة والآفاق في أقصى الجلاء والوضوح على هذا الصعيد .

كلامي هنا ذو شقين : أحدهما موجّه إلى مسؤولي البلاد والقائمين على التخطيط فيها ، أما الآخر فهو لكم أيها الشباب . وحديثي - بطبيعة الحال - مع المسؤولين ليس ابن يومه ، بل هو ما أدليت به أثناء مختلف الاجتماعات العملية مع كبار مسؤولي البلاد أو حتى أثناء الاجتماعات العامة أحياناً ، لكن الشعور يراودني بضرورة تكراره مرة أخرى أو ربما مرات عديدة كي يرتفع صدهاء في الأجواء ، ليزيل كل مانع يقف في طريق المبادرة للعمل .

وظيفة المسؤولين تجاه الشباب

أقول لمسؤولي البلاد والاداريين والمشرفين على التخطيط : عليكم أن تعتبروا هذه القاعدة العريضة من الشباب نهراً هادراً متلاطماً وهو يشق طريقه بشكل متواصل وسيبقى على هذا المنوال على مدى

السنوات اللاحقة؛ وثمة نمطان لاستغلال هذا النهر :

والعلامة البارزة في هذا التعامل هي التخطيط ، والهداية ، وتعبيد الطريق ، وتشخيص الأرض التي تحتاج لهذا الزاد النفيس وهذه الهبة الإلهية وتوظيفها فيها ، لتكون ثمرة ذلك الاخضرار والازدهار والإعمار والنشاط والخيرات .

أما النمط الثاني فهو أن تتركوا هذا النهر دون تفكير به أو تخطيط له أو معرفة لقدره ؛ فماذا ستكون النتيجة حينها ؟ ستجف المزارع وتندثر الحقول من ناحية ، وسيضيع هذا الماء هدراً حيث سيصب بسهولة في المياه الآسنة ، فلا فائدة تُرجى منه . وهذه هي عاقبة النمط الثاني من التعامل ، حيث سيتحول الماء إلى مستنقع تعشعش فيه شتى الأمراض ، والأسوأ من ذلك أن يتحول إلى فيضان يأتي على المكتسبات التي حققها الشعب برمتها .. هذه هي العواقب الناجمة عن فقدان التخطيط والدقة في العمل .

لقد من الله سبحانه على شعبنا بهذه النعمة ، فأين المستفيد منها ؟ ومن ذا الذي يغتنمها في محلّها - وهو المعنى المراد من شكر النعمة - ؟ إنهم الإداريون والمشرفون على التخطيط من أعلى المناصب حتى أدناها .

ثمة بلدان تعاني الأمرين لقلة نسبة الشباب وارتفاع معدل الأعمار فيها ، لكننا عندما نجول بأبصارنا في بلدنا نجد الوجوه الشابة الباسمة ، والهوامات المرفوعة ، والسواعد والأبدان السليمة والقوية ؛ فالشباب يعقب تالؤوا في فكره ، وقوة في بدنه ، فلا بد من معرفة قدر الشاب .

إن البعض لا يتعامل مع هذه الظاهرة بما تستحقه ؛ فبدلاً من المبادرة لوضع الخطط اللازمة التي تصب في صالح الشباب يلجأ أحياناً للترلف

إليهم ، وإنني لأستهجن الإيغال بالإطراء والمديح لجيل الشباب حين مواجهتنا لهم ، فما ذلك سوى تلاعب بالألفاظ وتمرير للأهواء مما لا داعي له ، وما يبعث على الأسف أن البعض قد ابتلي بهذا المرض ؛ فأن بدّر القصور منهم نادوا باسم الشباب ! ومتى ما لاح العجز عليهم علّقوا يافطة الشباب ! إنه لمشكلة التصنع للشباب وأفعال الأساطير لهم ، دون الأخذ بنظر الاعتبار واقع الشباب وهو أجسهم وطبيعة حركتهم والتخطيط الصحيح الذي ينفعهم .

والمشكلة الأخرى تتمثل في تسخير الشباب كسلعة استهلاكية فيتم استغلالهم للمشاركة في الانتخابات وترديد اسم زيد وعمرو لا غير ، وكل ذلك مرفوض البتة . وليس هذا الذي يفترض القيام به ، بل أن يبادر واضعو الخطط في البلاد في الحقول الثقافية والاقتصادية والسياسية لدراسة هذه الظاهرة العملاقة ووضع الخطط الكفيلة بها ، وهذا ما تحتاجه البلاد .

إن بلدنا يمتاز بسعة مساحته ووفرة إمكانياته ، وفي المقابل يعاني من مصاعب عديدة ؛ فهو من البلدان التي تعاني شحّة في المياه وندرة في بعض المصادر الطبيعية حيث تتوسطه صحراء واسعة ، بيد أن هذه السواعد الإنسانية إذا ما استلمت الإيعازات من عقول ناضجة واعية فإنها ستقضي على هذه النواقص وترفعها ، وسيعم الرقيّ بلدنا ، وذاك منوط بالتخطيط العلمي الحكيم . ولقد نقل هذا الشاب العزيز عني قولاً ، وأنا أقول : نعم ، لقد تكرر مني القول بضرورة وجود إرادة وطنية وعامة على كافة المستويات في البلد ، بدءاً من الحكومة ومروراً بأجهزة المحافظات والمدن وانتهاءً بالقرى لمتابعة قضية الشباب ، ولا فارق بين شباب وآخر من حيث سكناه في المدينة أو في الريف أو بين ابن طهران

وبين ابن أقصى مدينة من البلاد ؛ فمزايـا الشباب على حد سواء لدى الجميع ، وهذا ما نحتاجه نحن . ولا أريد هنا أن أرفع المسؤولية عن عواتقكم أيها الشباب ؛ كلا ، فهذا مما لن أتقوّه به أبداً ، وسأتطرق فيما بعد إلى كيفية تشكيلكم لإحدى مرتكزات المسؤولية ، كما لا أريد القول بوجوب حلّ جميع هذه المشكلات خلال فترة وجيزة وزمان قصير ، كلا فهي بحاجة إلى تخطيط بعيد المدى ؛ فمرة يتحقق بعضها خلال عام من الزمن ، وأخرى خلال خمسة أعوام ، وثالثة يمتد بها الزمن إلى عشرة أعوام .. غاية الأمر إن لم يكن هنالك تخطيط فلا ينحصر الأمر بعشرة أعوام ، بل قد يطول المقام حتى عشرات آخر من الأعوام دون أن يثمر شيئاً . وإنني لا أحث أحداً على الاستعجال أبداً ، لا أنتم ولا المسؤولين ، فلا أدعوكم للوثوب والمطالبة والإلحاح ، ولا أدعو المسؤولين للاستعجال والتخبط لتأسيس شيء ما ، ثم يقولون إن هذا كان استجابة لما دعا إليه فلان خلال حديثه في المكان الفلاني ، فلا جدوى من كل ذلك ، بل على الشاب متابعة عمله بتأنٍ - وقد اتضحت معالم مهمته في وقتنا الراهن - وينبغي للمسؤولين الاهتمام بهذه القضية والتفكير بها تفكيراً ينمّ عن المسؤولية والتدبير واعتبارها قضية جوهرية ؛ ففي بعض الحالات نرى لجاناً تتشكل لمتابعة قضايا عابرة وعاطفية وهي لا تستحق أن يكلف شخص واحد أو لجنة بكاملها لمتابعتها . يجب أن يباشر أناس التفكير بهذه القضية والعمل من أجلها على نحو الخصوص . لقد كان تشكيل المنظمة الوطنية للشباب خطوة في محلّها ، وإن ما أطرحه - وإن كنت راضياً عن مسؤوليها - لا ينحصر انجازه على منظمة الشباب ، بل هو مهمة الحكومة ، مهمة التخطيط السياسي والاقتصادي ؛ فعلى الجميع التصدي بأنفسهم لهذه المهمة ، وللمنظمة الوطنية للشباب

دورها التطبيقي والتنفيذي أيضاً ويتعين عليها النهوض به .

وبناءً على ذلك فإن عملية التخطيط البعيد المدى ضرورية .

يجب أن يسود التعاون والتنسيق بين كافة السلطات في هذا المضمار، ومنطلق حتى على التنسيق والتعاون بين السلطات الثلاث خلال أحاديثي أو الرسالة التي بعثتها لرؤساء هذه السلطات إنما مرده الأضرار التي تلحق بالبلاد نتيجة التضاد بين السلطات الثلاث ، الذي يعتمد إلى إذكائه الذين يصبون اهتمامهم على القضايا العابرة والمرحلية ذات الطابع السياسي والقنوي . فيجب أن يسود التعاون بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ، والمسؤولية العظمى في هذا المجال تتحملها السلطة التنفيذية التي يتعين عليها العمل ومتابعة نشاطاتها على كافة المستويات . فهذه القضية أساسية وجدية بالنسبة للبلاد .

إذا ما توفرت هذه المثابرة فإننا سنشهد بلداً يتميز بشبابه بالحيوية والنشاط والفاعلية ، فما أن يمضي عقد من الزمن حتى يشهد المراقب لبلدنا حشداً من السواعد والعقول والأفئدة الفاعلة ، وهي تقتحم كافة الميادين ، يومها لن يستسيغ أحد مغادرة أرض الآباء ، أرض إيران المقدسة العزيزة بحثاً عن لقمة عيش لا قيمة لها متحماً من أجلها امتهان بلد وشعب أجنبي ، حتى وإن عاش بينهم عمراً كاملاً فإنهم يطلقون عليه عبارة الأجنبي وعدم انتمائه لتلك الديار ، وقد تصل الأمور حدّاً بحيث ينهال النازيون - كما في ألمانيا - على الأجانب المقيمين في تلك البلاد ، وكنت قد قلت مراراً : إن هؤلاء ما هم إلا وحوش أنيقة متعطرة تلبست بالمدنية ؛ فأَيّ بلد ينهال شبابه ضرباً للأجانب كالذي جرى مؤخراً في ألمانيا وتبعتها النمسا وإيطاليا ؟ ! إن الوهم يخالط الشباب الإيراني إذا ما

جاز مرتبة عالية في إحدى المنافسات ثم يتوجه إلى تلك الدول طمعاً في أن يعرفوا قدره ! كلا فإنك عندهم أجنبي وغريب بالرغم من عملك لصالحهم وتسخيرهم لك ، وامتصاصهم لجهودك دون مقابل ، بالإضافة إلى نأيك عن ديارك ، وقد يأتي اليوم الذي يعتري السكر شبان ذلك البلد فيطيحون بك ويقولون إنك أجنبي ولا بد أن تلقى بك خارجاً !

إذا ما توفرت هذه المثابرة حينها لن يرغب أحد في الرحيل عن بلده العزيز إيران وعن دياره وينأى بفؤاده عن ساحة العمل والجهاد ، وسيدخل هؤلاء الشباب بأجمعهم معترك العمل العلمي والصناعي والزراعي والخدمي ويزدهر الإنتاج والإبداع ، وبالتالي سيشيدون وطناً متكاملأً من كافة الجوانب ، وما ذلك إلا ثمرة ذلك التخطيط ، وهو الأفق الزاهر الذي سيتمخض عن تلك الإرادة الوطنية وهذا التخطيط . وإذا ما تطلعت عيون ذلك الشاب الداخل تَوّاً لرحاب الدرس والمباحثة إلى ذلك الأفق فإنه سيندفع نحو درسه بكل شوق ورغبة ، وبذلك يرتفع المستوى العلمي في البلاد .

أما البعد السلبي في القضية فيتمثل في إهمالها وعدم التخطيط لها وعدم فسح المجال بين صفوف المجتمع أمام الجيل الصاعد ، فماذا ستكون النتيجة يا ترى ؟ إنها بروز طابور من العاطلين ممن يشكلون عبئاً ثقيلاً على كاهل المجتمع ، حيث لا أمل ولا اندفاع ولا حيوية ولا مستقبل ولا منطق للاعتزاز بالوطن ، بل لا وجود لهذا الاعتزاز من الأساس .. وهذا هو أدنى ما هو مرتقب من عواقب ؛ فهناك ما هو أسوأ منه .

إن المسؤولية تقع على مسؤولي البلاد والمشرفين على أمر التخطيط والتنفيذ ووسائل الإعلام ، والإذاعة والتلفزيون والصحافة ، ويجدر

بالإذاعة والتلفزيون والصحف أن لا تعرض على الدوام أمام الشباب شاباً بيروقراطياً غارقاً في حياة الدعة واللامبالاة والبذخ كأسوة لهم، وينبغي أن لا تلجأ بعض الصحف إلى التفلسف والحديث بنحو يوحى للشباب أن أقصى غاية بالنسبة للإنسان هي جمع الثروة عن أي طريق كان، فإن استطاع الحصول على شهادة علمية فإنها حينذاك تمثل وسيلة لجمع الأموال، وإلا فإنه يسلك أي طريق آخر حتى لو لجأ إلى التهريب أو التذلل وتحمل الإهانات والصغار أو السرقة من الآخرين! يجب أن لا تتخذ الثروة هدفاً أساسياً، فهي لا اعتبار لها، وليست الغاية كل الغاية جمع الأموال، بل الأموال وسيلة لتمشية الأمور الحياتية، وهي أدنى من أن تتحول إلى غاية بالنسبة للإنسان، يجب أن لا توضع أمام الشباب القدوة المنحرفة التي تدفع لديه الشعور بضرورة البحث عن الثروة بدلاً عن الموهبة والإبداع والاجتهاد وطلب العلم والاختصاص! حتى إننا نسأل أحد الشباب عن السبب في تركه للدراسة فيجبنا: لا حاجة لي بالدراسة، فإن عند أبي من الثروة ما يغنيني عنها! وهكذا يتضح أن الغرض من الدراسة هو الثروة.. وحتى لو أدت به هذه الثروة إلى البطالة واللامبالاة والطبيعة الاستهلاكية فإنه لا يرى ضيراً في ذلك أيضاً، فهل في هذا التفكير من صواب؟! إنه أسوأ نمط من التفكير، ولذلك فإن وسائل الإعلام تتحمل المسؤولية أيضاً.

إن بمقدورنا تصور هكذا مستقبل لنا - ليس على المدى البعيد غير المنال وإنما على المدى القريب - وأن نتفاعل به، فلم لا نقدر عليه؟ فلقد صنع شبان هذا البلد خلال عقدي الخمسينات والستينات [حسب التاريخ الهجري الشمسي] المعاجز، حيث قاموا يومذاك بما لا قدرة لأي شعب على إنجازه في نزولهم إلى الشوارع - كنزولكم إلى شوارع مدينة رشت

أو مدن المحافظة الأخرى أو سائر البلاد - وكان ذلك الحضور من القوة ما أشعر النظام المدجج بالسلاح المدعوم بسياسات الاستعمار العالمي بعدم بقاء أية إمكانية له للعيش فاضطر للهروب ، ليذهب بلا رجعة .. وقد تكرّرت هذه التجربة فيما بعد ، في حين لم يشهد لها نظير في أي بلد قبل ذلك ، إذ إن الثورات التي كانت تحدث في سائر المناطق إنما كانت ثمرة العمليات الثورية وحرب المليشيات ودوي الرصاص ، بيد أن تجربة الشعب الإيراني كانت صنعة الشباب .

قبل أن يخطف نيلسون مانديلا النصر في جنوب أفريقية ، وكان قد خرج توأ من السجن ، جاء إلى إيران وكان لي معه لقاء ، فسألته عن الأوضاع في أفريقية الجنوبية فتحدث لي عنها ، فقلت له : إن لدينا تجربة أعتقد بإمكانية تطبيقها في بلدكم ، وهي أن أبناء شعبنا بأغلبيته رجالاً ونساءً نزلوا طواعية إلى الشوارع ودون أن يرفعوا قبضاتهم أو يحملوا سلاحاً أو يتسلحوا بالقنابل اليدوية أو حتى بأدواتهم المنزلية ، بل نزلوا بأبدانهم فقط ، ولم يتدفعوا بشيء أبداً ، بل نزلوا بصدور مشرعة ، وبذلك فقد أثاروا حفيظة النظام فشعر بعجزه عن الصمود بوجههم ، ومن هم الذين يريدون ممارسة الحكم عليهم ؟! وأكدت له أنني أعتقد بإمكانية تطبيق هذه التجربة في أفريقية الجنوبية ، فما كان منه إلا أن يهزّ رأسه ، وبعد مغادرته لم يطل بنا المقام أكثر من شهر أو شهرين وإذا بنا نطالع في الصحف أخبار المسيرات الشعبية الضخمة التي انطلقت من أفريقية الجنوبية ، فأدركت أن هذا الغرس قد أينع هناك حيث تكرّرت تجربة إيران ، إذ غصّت شوارع المدن الكبرى في أفريقية الجنوبية بالسود والتحق بهم بعض البيض معلنين رفضهم للحكم العنصري ، فكانت النتيجة ذاتها ، أي أن القطب الحاكم رأي استحالة قيامه بأي فعل ،

فرحل مخلفاً من ينوبه في الحكم ، وهذا بدوره أدرك عجزه أيضاً فلجأوا إلى نقل السلطة بهدوء بيد السود وأصبح مانديلا نفسه رئيساً للجمهورية.

إنها تجربة يمكن تقليدها ، وهذا الانموذج كان قد حققته سواعد الشباب الإيراني خلال الخمسينات والستينات لتقتدي به الشعوب من أجل نيل حريتها.

لقد جاءت معجزة الثورة الإسلامية في الخمسينات فيما جاءت معجزة حرب السنوات الثماني في الستينات ، وفي بداية الحرب كان بعض الأخوة قد اعتاد العمل وفق التعليمات والأوامر العسكرية التقليدية، وكانوا يقولون بوجوب مقابلة العراق بالمثل فإن تقدم بخمسين دبابة لابد من مواجهته بمثلها ، وحقاً كان رأيهم ، غير أننا لم نكن نمتلك ذلك ! ولقد توجهت ذات ليلة إلى إحدى الألوية المنظمة الذي كان يفترض امتلاكه لـ (١٢٠) دبابة فوجدته لا يملك أكثر من سبع عشرة دبابة ! وكان ذلك اللواء مرابطاً في منطقة حردان لمواجهة القوات العراقية ، فكان الرأي باستحالة المواجهة ، بيد أن الشاب الإيراني - سواء من التعبئة أو الجيش ، ذلك الشاب الضابط في الجيش أو التابع لقوات الحرس الثوري - أثبت إمكانية ذلك وخلق المعاجز .

لم يأت ذلك الجيش المدجج بكافة المعدات الحربية الحديثة كي يذهب، وهل جاء الجيش العراقي إلى إيران ليرجع ؟! فلو كان ينوي العودة لما جاء ، إنه جاء ليستحوذ على خوزستان وينتزع مصادر النفط من الجمهورية الإسلامية ويلصق العار على جبين الجمهورية الإسلامية مشهراً بها لعجزها عن المحافظة على واحدة من محافظات الغنية بالثروة النفطية ، لكنهم اضطروا بعد حين لتغيير طريقهم والعودة إلى

بلادهم تحت وطأة سياط غضب شبابنا ، متحملين كل تلك الخسائر ومنها خمسون إلى ستين ألف من الأسرى ، وعلى اثر ذلك أدرك العالم أنهم هم المعتدون ؛ أي أنهم خسروا الحرب عسكرياً ومثّوا بالهزيمة سياسياً أيضاً . فمن هم الذين أنجزوا ذلك ؟ إنهم شبابنا الذين صنعوا هذه المعجزة ؛ فالشباب الإيراني الذي صنع تلك المعاجز خلال الخمسينات والستينات لم لا يقدر على صنع المعجزة خلال الثمانينات والتسعينات ؟ ولماذا لا يستطيع ترسيخ تلك المعجزة وتعميقها على المستوى العالمي ؟ ولماذا يعجز عن إثبات انموجية الشاب الإيراني لشبيبة العالم بشكل لا يقبل الشك ؟ ما الدليل الذي تقيمونه على ذلك ؟ إنه لأمر قابل للتحقيق .

إنني أقول للمسؤولين : علّموا شبابنا المنعة والعفاف الأخلاقي والثقة بالنفس والاعتماد على الذات والصدق والشجاعة ، ونمّوا لديهم الإرادة الصلبة والانضباط الاجتماعي والوجدان العملي ، ثم أوردوا ذلك بوضع الخطط الضرورية لهم ، إذ ذاك ستصبح كل تلك المهام في غاية اليسر وسيشهد المستقبل تحققها ؛ فأولئك الذين استطاعوا خلال السنوات الاثنتين والعشرين العبور بالبلاد من كل هذه المعابر الخطرة والصعبة مازالت لديهم القدرة لحد الآن ، فلماذا تجذّرون اليأس في أنفسكم ؟ ولماذا تسرّبون ما بكم من يأس إلى الآخرين ؟! فإن كنت محبّطاً ؛ فتنحّ وافسح المجال أمام هذه الحشود لتشق طريقها ، فالإحباط الذي يصاب به شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص ينبغي أن لا يقف حائلاً في طريق شعب عظيم . وأقول أيضاً : عليكم بمصارحة الشباب والصدق معهم بدلاً من التزلف إليهم ، افصحوا عن المصاعب والإمكانيات ، ثم وظّفوا أنفسكم للعمل على توفير الإمكانيات ومعالجة المشكلات ؛ حينها

سيتحول هؤلاء الشباب أنفسهم إلى جيش يعاضدكم في معالجة المشكلات ؛ فالشباب لا يستسيغ أي شيء سوى الصدق على صعيد العلاقات الإنسانية .

الشباب والمسؤولية

إنني أعتقد بأنكم أيها الشباب تتحملون مسؤولية كبرى ، والمسؤولية التي بوسعكم النهوض بها - يا أعزائي - هي أن كل شاب يهفو إلى أن يتمتع وطنه الذي يحيا فيه والديار التي نما فيها بالعزة والرفعة والاقتدار وتزينهما المحاسن ومعالم الجمال ، ويصبو إلى أن يحيا في مجتمع متحضر وتتوفر له مقومات التقدم العلمي والعملية . وهذا كل ما يتمناه أي شاب ، وأمامه من أجل ذلك طريقان : أحدهما واقعي ، والآخر زائف كاذب . ولا بد هنا من سلوك الطريق الواقعي وتقبل مشقاته وتسديد ضربيته .

ماهو الطريق الواقعي يا ترى ؟ إنه يتمثل في أن يعزم الشاب الإيراني على غرس بذرته في أرضه مسخراً من أجلها طاقاته وثروته الثقافية وإرادته ، معتزاً بشخصيته واستقلاله رافضاً تجرع كأس الصغار وتقليد الطروحات الدخيلة ؛ فالحضارة الواقعية التي تليق بشعبنا هي الحضارة الإيرانية الخاصة بنا ، النابعة من مواهبنا الممتزجة الملتصقة بظروف حياتنا ، والسبيل الحقيقي للعلاج هو السبيل الوطني ، فعلينا أن نغرس بذرتنا ونبقى مواظبين عليها حتى إيناعها ونندع تقليد هذا وذاك ، ولا نندفع للسحيت بلسان الأجانب ولغتهم والاستعارة من تجاربهم المستهلكة ، وذلك لا يعني رفض الانتفاع من المنجزات العلمية للآخرين ، فإنني على تمام الاعتقاد بضرورة الانتفاع من التجارب العلمية البشرية

وعدم إغلاق النوافذ أبداً ، بل لنتنقِ الصالح من إبداعات الآخرين .
لقد أوضحت غير مرة ماهو الفرق بين الغزو الثقافي والتبادل الثقافي ؛
فالغزو الثقافي أمر سلبي أما التبادل الثقافي فهو إيجابي .. فتارة يبحث
المرء بنفسه عن الطعام أو الدواء المناسب الذي من شأنه سد النقص في
بدنه وينفعه فيتناوله إذا ما عثر عليه ويدخله إلى جوفه ، وتارة لا نتناوله
باختيارنا ، بل إنهم يكبلوننا ويخدروننا ويزرقون في أبداننا ما يريدون
لا ما نحتاجه نحن ، أليس هنالك فارق بين الاثنين ؟!

ما أقوله هو : على الشعب الإيراني أن لا يتعرى ليدسّ العدو في كيانه
ما يحلو له من نفايات ثقافته مستخدماً في ذلك أحدث الوسائل .

لقد مرّ زمن أغمض المبهورون بالغرب عيونهم داعين لاستلهاهم كل
شيء من الغرب ؛ فما الذي تعلّمه هؤلاء من الغرب ؟ من المزايا الجديدة
لدى الأوروبيين هي المخاطرة وهي كانت منطلق نجاحاتهم ، فهل تعلّم
المبهورون بالغرب تلك الميزة وجلبوها إلى إيران ؟ هل أصبحت لدى
الإيرانيين قابلية المخاطرة ؟ ومن مزايا الأوروبيين الجيدة أيضاً مثابرتهم
وعدم التهرب من العمل ، فهل جاء «المتغربون» بذلك إلى إيران ؟ لقد كان
أكابر العلماء والمخترعين في الغرب وأكثرهم مهارة من أولئك الذين
عاشوا حياة قاسية وانهمكوا سنوات طوال في حجرهم حتى أفلحوا في
تحقيق الاختراعات . وحينما يتصفح المرء حياتهم تتضح أمامه الطريقة
التي عاشوا فيها . فهل جاؤوا بهذه الروحية التي لا تعرف الكلل من أجل
أن يعرفها الشعب الإيراني فقط ؟ هذه جوانب صالحة من الثقافة الغربية
لم يأت بها هؤلاء ، فما الذي جاؤوا به يا ترى ؟! لقد جاؤوا بالاختلاط بين
الرجل والمرأة ، والحرية الجنسية ، والترفع وراء طاوولات العمل ،
والاهتمام بالذات والشهوات !

لما أراد الطاغية رضا خان المجيء لنا بهدايا الغرب كان أول ما جلبه عبارة عن خلع الحجاب وفرضه بقوة حرا به وعنجهيته ، وفرض أن يكون اللباس قصيراً وأن يكون ارتداء القبعة وفق طريقة معينة ، ثم تغيرت فيما بعد ، بل لابد أن تكون القبعة على الطريقة الـ«شاپو» ! وكل من يتجرأ ويرتدي غير القبعة البهلوية التي اشتهرت وقتذاك أو يرتدي الملابس الطويلة فإنه يواجه الضرب والطرده ، ولم يكن مسموحاً للنساء بارتداء الحجاب ، ليس فقط العباءة التي مُنعت يومذاك ، بل حتى لو غطت النسوة رؤوسهن بالخمار وأخفين مقدمة شعورهن فإنهن يتعرضن للضرب ، فلم ذاك ؟! إنه نتيجة السفور الذي ظهرت به المرأة في الغرب ! وهذا ما جلبوه لنا من الغرب ، إنهم لم يأتوا بما هو ضروري للشعب الإيراني ، فلم يجلبوا العلم والخبرة والجد والاجتهاد والمثابرة والمخاطرة - وبطبيعة الحال فإن لكل شعب خصلاً جيدة - إنهم لم يأتوا بكل تلك الخصال ، وما جاؤوا به من فكر وعلم تقبلوه دون تردد بعيداً عن التحليل ، قائلين بوجوب تقبله لأنه صادر من الغرب ، فلا بد من القبول بطريقة الملابس والطعام والتكلم والمشي لأنها وصفة غربية ولا مجال في ذلك للنقاش ! وهذا بمثابة أخطر سم يتناوله أي شعب .

السبيل الأمثل للعلاج هو أن يفكر الشعب بعقله وينظر بعينه ويختار بإرادته ، والذي يقع عليه اختياره هو ما يصب في صالحه . علينا أن نباشر العمل بسواعدنا وأيدينا نحن مع المحافظة على حضارتنا ، وأن لا يقتصر جهدنا على الترجمة ؛ فالبعض ليسوا على استعداد حتى لعرض الفكر المترجم على المعايير ، مدّعين عدم إمكانية مناقشته لأنه فكرة أو معادلة صادرة عن عالم نفس أو عالم اجتماع أو اقتصادي معين ، ومن خالفه كأنما كفر ! لكنهم وبعد عدة أيام يعدلون عن رأيهم ويلتزمون قولاً

آخر فيقبلون القول الثاني دون تحليل ! إنه الشقاء بالنسبة لأي بلد .
السبيل الأمثل للعلاج هو أن يبادر الشعب للعمل بنفسه ومن أجل ذاته ،
ويفكر بعقله ، وهو بنفسه يجتهد ويشق طريقه معتمداً على إبداعه
ومستفيداً من التجارب أيضاً .

أما ما هو الطريق الكاذب للعلاج ؟ فهو أن يقنع الشعب بالتغيير
الظاهري معرضاً عن القيام بتحرك عميق ، فقد تصادفون أمياً جاهلاً
خاوياً من الإرادة والتجربة عاجزاً عن العمل لكنه يتشبه بلباسه وظاهره
بأحد الفنانين أو بشاب غربي ، هذا هو الطريق الكاذب للعلاج . فهل
أصبحت بهذا العمل متمدناً ومتطوراً ؟! ولقد حاول الشاه العميل أن
يجعل من هذا الطريق الكاذب «بوابة الحضارة الكبرى» بالنسبة لهذا
الشعب ، وقد بذلت الجهود على مدى سنوات متمادية في هذا السبيل ،
فكان الانحطاط الأخلاقي قد وصل أقصى مداه ، ولم يكن هنالك نظير
للإفلاس المعنوي والروحي والعملية الذي خيم على هذا البلد ، وكانت
محاولاتهم تتركز على بيع ما تبقى من كيان معنوي في البلاد في سوق
النخاسة تحت يافطة «بوابة الحضارة الكبرى» والحادثة الإيرانية . وهكذا
وقع الشاه الفاسد الجاهل في قبضة الأميركان والصهاينة وعرض
الشعب لاحتقارهم ومهاناتهم ؛ فالحادثة الإيرانية هي نتاج أولئك ، وهذا
بحقيقته لا يمت للحضارة أو الحداثة الواقعية بصلة أبداً . ومن مظاهر
تلك الوصفة الكاذبة هو أن كل منطقة كانت تدرّ عليهم بالأموال كانت
تتحول إلى وكر تعشعش فيه عناصر وذيول الشركات الأجنبية بالاتفاق
مع شركائهم في الداخل من أتباع البلاط والسياسيين المرتبطين
بالأجنبي في ذلك العهد . فهذه الحداثة لا تداوي جرحاً ، بل لا تجلب
للشعب غير الشقاء والعناء والدمار الذي يأتي على كل شيء ، فلو لا قيام

هذه الثورة - ولو أن تلك الصرخة لم تعصف بكل شيء كالرعد فتبعث فيه الحيوية والنشاط وتقتلع القلوب من مكانها - فأن الله وحده العالم بما يكون عليه وضع البلاد الآن . انظروا إلى بعض الدول المتخلفة في آسيا وأفريقية كي تتيقنوا كيف كان وضعنا أكثر سوءاً منها بالرغم من الموقع الجغرافي والأقليمي والتاريخي الممتاز الذي تتمتع به إيران ، بيد أن الثورة أنقذت البلاد وانتشلت الشعب من السقوط في قاع بحر متلاطم لا تقوى على الخروج منه ، وتأسيساً على ذلك فإن مثل هذا السبيل كاذب وحرّي بالشباب عدم اقتفائه .

الشهداء والمجاهدون قدوتنا

إنني أقول للشباب : يا أعزائي ويا أبنائي : دعوا التقليد وفكروا بذلك النهج والسبيل الذي فيه قوة لعقولكم وإرادتكم وتطهير وحصانة لأخلاقكم ، حينها سيتحول كل منكم إلى عماد ترتكز عليه حضارة هذا البلد وثقافة هذا الشعب بحقيقتها ، وإنني أؤكد لكم أن الدوائر الإعلامية الغربية المتطورة - لا سيما الأميركية والصهيونية - تُعد الآن مخطّطاً عملياً يستهدف عقولكم ونشاطاتكم وعواطفكم وإرادتكم ، فلا تتصوروا أن هؤلاء يغطّون في غفلة وعلى مرأى منهم ثلاثون مليوناً من الشباب يزخر بهم بلدنا ، بل إنهم منهمكون بالتخطيط لما يرسمون من أهداف ، وخططهم هذه يستهدفون بها أخلاق شبابنا وعقيدتهم وإيمانهم ، وهذا هو التفسير الذي ينطوي عليه الكثير مما تتداوله أوساطنا الصحفية أو الثقافية ؛ ومن خلال هذه الرؤية تتيسر عملية تحليله ؛ إنهم يسعون إلى تحويل الجيل الذي غدا قدوة للمضحيين من شباب الدنيا إلى جيل متحلل . إنكم تتحمسون اليوم وأنتم ترقبون فلسطين ، وابتنتنا الغريزة قالت :

«يا ليت أبصارنا تمتد إلى فلسطين» فهل تعلمون ممّ تعلم الفلسطينيون ؟ فلسطين اغتصبت منذ خمسين عاماً ، وخلال هذه المدة كانت فلسطين تغصّ بالشباب ، ولكن ممّ تعلم هذا الشاب الفلسطيني الذي أقترح الميدان بهذه الصورة ، وبمن أقتدى ؟ قدوته الشاب اللبناني المجاهد المؤمن الطافح بالاخلاص ، وهذا ما لا أقوله أنا بل هم الذين يصرّحون به ، فهم يرفعون صور السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله لبنان أثناء المسيرات التي ينظمونها في قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن - وهي منطقة فلسطينية - وقد نصبوا راية حزب الله على قبة المسجد الأقصى ، نصبوها بالرغم من ممانعة الصهاينة ، وهكذا فقد أصبح أسوة للشباب الفلسطيني ، وإن أكثر المتابعين لمحطة المنار التلفزيونية التابعة لحزب الله لبنان - والتي تبتّ برامجها على امتداد عشرين ساعة - هم من فلسطيني الأراضي المحتلة ! وهم يستمعون له وكأنهم ينتهلون ماءً عذباً ، وليس فقط يكتفون بالاستماع إليه ، بل يستقبلون كلماته كالعطاشى ، ومن كان قدوة الشاب اللبناني ، ومن أين انبثق حزب الله لبنان ؟ وأية تربة أينع فيها ؟ أنتم قدوته ، وشعاراته نفس شعاراتكم ، وأفعاله هي أفعالكم ، وهو يقلّدكم في عصاة الجبين وفي المسير العسكري للتعبيين .. بناءً على ذلك فإن قدوة ذلك الشاب هم المجاهدون والشهداء الذين تزخر جيلان بأمثالهم ، فأولئك تعلّموا من هؤلاء التضحية في سبيل الله والنطق والعمل من أجله .

لمّا تعرض الشهيد املاكي مساعد فرقة جيلان للقصف الكيميائي كان إلى جانبه تعبوي لم يكن معه قناع للوقاية ، فخلع الشهيد املاكي قناعه وألبسه ذلك التعبوي ! هذه هي البطولة ، وكلاهما استشهد ، غير أن الخلود كان نصيب هذه البطولة .. وهؤلاء هم الذين لا يطويهم الفناء ولا

تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴿١﴾ ؛ إنهم أحياء عند الله وفي قلوبنا وعقولنا وفي أوساط حياتنا . وثمة أب لأحد الشهداء في مدينتكم جيلان عندما جاؤوا بابنه شهيداً محزون الرقبة قبل ابنه من عنقه ولم يتأوه أبداً ! هؤلاء هم قذواتنا ، والأعداء يريدون انتزاع هذه القذوات منا جميعاً والخط من قدرهم في أعيننا ، ثم يبدلونهم بنماذجهم المزيفة الكاذبة ، إنهم يسلبون قيمنا ويبدلوننا بقيمهم !

تحاول وسائل الإعلام الغربية اليوم ، ومن خلال برامجها التي تكلف المليارات وتبثها عبر شاشات التلفزيون أو محطات الإذاعة التابعة لها أو عن طريق اللقاءات التي تجريها - ومما يؤسف له انخداع بعض العناصر في الداخل بها وتحولهم إلى خدم يرددون ما تقول - تحاول الإيحاء بخوائكم وفقدانكم للقابلية ، وما أنتم إلا أوانٍ فارغة ، وهم الذين يمنحونكم القابلية ويفيضون عليكم بها ، ولا خير يرجى منكم اليوم - كما في السابق - وكذا ستكونون في المستقبل أيضاً ! ويتنكرون لتاريخكم محاولين سحقه بأقدامهم ، وذلك لا يقتصر على تاريخكم الممتد عدة مئات من السنين ، بل يحاولون سحق تاريخكم الذي سطرتموه خلال السنوات العشرين المتأخرة والتنكر له ، ويسعون لاصطناع ثقافة جديدة وأنموذج جديد ، وتحويل جيل الشباب والنشء الجديد في إيران إلى جيل حقير ممتن ، كي يتسنى لهم امتطاؤه وتكبيله بأحاييلهم والقيام بما يحلو لهم ، فإن أفضل طريق يستطيعون من خلاله تطويع الإنسان هو الإيحاء له بأنه لا شيء ولا تاريخ له ، وبذلك يتنكرون لمفاخر شعب بأكمله كي يشعر في قرارة نفسه بأنه لا شيء !

لقد كان ميرزا كوجك خان وحيداً وصرخ بوجه تلكما القوتين العالميتين آنذاك - أي روسيا وبريطانيا - فأعلنها : لا لروسيا ولا

لبريطانيا، بيد أن الذين كانوا إلى جانبه كانوا يحاولون مقارعة الحكومة ، ومن بعدها رضا خان الذي كان في طريقه للإمساك بسدة الحكم بالاحتماء خلف روسيا ، فتوجهوا صوب باكو وتعاقدوا وتعاهدوا مع الروس ثم عادوا إلى إيران وأصبحوا عملاء لهم ، لكن ميرزا كوجك خان أبى القبول والمساومة فحارب الانجليز والروس معاً فهو قارع جيوش رضا خان ومن سبقه ، ولم يساوم إحسان الله خان أيضاً ، والشاب من أهل جيلان عندما يقف عند ضريح ميرزا كوجك خان تقع عيناه على رجل قام وحيداً متسلحاً بإيمانه ونقاؤه ؛ وبالرغم من أنه قضى وسط غابات جيلان إلا أنه خلد شخصيته في تاريخ إيران ، إنه رجل نبراس ، وكلما كنا نستذكر اسم ميرزا كوجك خان خلال فترة كفاحنا ونطالع سيرته كنا نستمد القوة منه .. لقد وظف عزيمته وشخصيته وهويته ليمنح جيلاً بأكمله الهوية والشخصية والقوة والإرادة ، وذلك بالغ الأهمية ؛ فقلّة هم أمثاله الذين خاضوا غمار الجهاد غرباء ، لكنكم تشاهدونهم اليوم ليسوا غرباء ، فعجيب أمر التاريخ ؛ فهو لم ولن يدع الشيخ فضل الله وميرزا كوجك خان وخياباني وأمثالهم يبقون على غربتهم كما قضوا غرباء ، أمّا الأعداء فإنهم يحاولون سلب هذه المفاهيم من أيدي الشباب الإيراني .

أهم متطلبات الشباب

كثير هو الحديث عمّا يحتاجه الشباب ، ولقد قلت الكثير ، وهنالك من سبقوني بالحديث عن ذلك أيضاً ، ولكن أتدرون ماهي في نظري أهم متطلبات الشباب ؟ إن أهمّ ما يحتاجه الشاب هو معرفة هويته وهدفه ؛ يجب عليه أن يعرف من هو ، وما الهدف من عمله وسعيه .. فالعدو يحاول

سلب الشباب الإيراني هويّته ومحو الأهداف التي يصبو إليها وتضييب الآفاق أمامه ، فيوحي إليه : أنك مخلوق مهين محدود ، هلمّ إلي واستظل بظلي ! ومن الواضح أن إيران الغنية بثرواتها ومنطقتنا الاستراتيجية المهمة ، وما لشعبنا من تأثيرات بجميع الاتجاهات لا يمكن أن تقع في قبضة الأعداء إلا عن طريق امتهان شخصية الشباب ، وهذا هو المخطط الذي يرسمه الأعداء لكم اليوم . فعليكم أن تكونوا في غاية الحذر ، ولا أقول هذا لكم كي يتبادر إلى الأذهان إفراغ كاهل مسؤولي البلاد من المسؤولية حيالكم ، فلقد سبق لي التصريح بأنهم مسؤولون أيضاً ، لكنكم مسؤولون أيضاً .

وآخر ما أقوله : إنني أرفض رفضاً قاطعاً أيحاءات القائلين بإعراض الجيل الحاضر أو ما يصطلح عليه «جيل الثورة الثالث» عن الثورة وعن القيم الدينية ، أو إنه سيكون كذلك في نهاية المطاف إن لم يكن فعلاً .. لا أنني لا أرى عوامل الفساد الثقافي ولا أعرفها أو أجهلها . كلا ، فإنني على اطلاع تام بأمر الفضائيات وشبكات الانترنت والأفلام وأشرطة الموسيقى ووسائل الفساد ولا أستهيئ بها أبداً ، ولقد أمضيت عمراً بين أوساط الشباب ؛ فمنذ أن كنت شاباً كانت لي علاقات مع الشباب الجامعي خارج الوسط الذي كنت أعيش فيه ، وحتى يومنا هذا لم تنقطع اتصالاتي بالشباب ، وبذلك فإنني على علم بما يراود الشباب ويستهويه ، وما يدور في أوساطنا الشبابية اليوم ، لكنني على اعتقاد بأن الجيل المعاصر في غاية الحصانة والمنعة ، لكنهم أساءوا فهمه ؛ فقد نما هذا الجيل في وسط هو الأكثر نزاهة وطهارة مما كان عليه قبل ثلاثين أو خمسة وثلاثين عاماً ، فالذين ولدوا في هذا الوسط استطاعوا بفضل اهتدائهم الديني إنجاز ذلك العمل الجبار والتعبير عن إيمانهم الراسخ ،

وإنني أعتقد بأن هذا الجيل يتميز عن الجيل الذي سبقه بأنه تربى في وسط أفضل حالاً وهو يتمتع بقابليات ومعلومات عالية؛ فعندما كنت في العشرين لم تكن لديّ من المعلومات ما لديكم الآن أنتم الذين في العشرين من العمر، فالشباب الإيراني المعاصر يتميز بوعيه ومعرفته وبصيرته وحسّته السياسي وقدرته على التحليل، والأسمى من ذلك كله الإيمان.

ما السبب في أن يتحول مسجد جامعة طهران إلى واحد من أكثر مراكز الاعتكاف ازدحاماً خلال أيام شهر رجب، بالرغم من احتدام الهجوم الثقافي الذي عجت به مجموعة من الصحف في العام الماضي ضد الفكر الديني وضد الثورة والإمام وكل شيء؟! من الذي حثّ الشباب للاعتكاف وصيام ثلاثة أيام وعدم مغادرة المسجد، وإمضاء الوقت بالعبادة والذكر والدعاء والتضرع والتوسل؟ من الذي ورّع على الشبيبة بطاقت الدعوى؟ وإنني على علم بأن ثمة مساجد ومحافل في رشت هي كعبة آمال الشباب الذين يرتادونها ليتزوّدوا منها المعنويات.

الشباب الذي تربى في أحضان الثورة يتميز بمعرفته الدينية وإيمانه العميق، وهو بطبيعة الحال بحاجة إلى دوام تغذيته معنوياً وفكرياً. أجل، إنني على يقين بما تحمله الرسالة الموجهة إليّ وتُلي مقطع منها، فينبغي أن توظّف الوسائل والفعاليات الثقافية لجيل الشباب، وعلى الواعين من العلماء والجامعيين المؤمنين الشعور بالمسؤولية حيال الإيمان الذي يحمله الشباب، وعلى المسؤولين في البلاد - لا سيما المسؤولين في المرافق الثقافية، وبالذات في قطاع التربية والتعليم - أن لا يجعلوا من الشباب حقلاً لتجربة الأعمال السياسية، فذاك هو الخيانة بعينها؛ فكل مسؤول أو مدير يتولّى مسؤولية ثقافية ويكرّس عمله الثقافي لخدمة

السياسات الفتوية والحزبية إنما هو خائن ، وإن كلاً من الذين يتوهمون فساد جيل الشباب حينما يرون مجموعة من الشباب ذكوراً واناثاً قد ارتدوا زياً لا يعجبهم وقد لا يكون ذلك سلبياً بالضرورة ، وكذلك أولئك الذين يتصورون امكانية استغلال الشاب سياسياً واستثماره كسلعة سياسية ، كلا الطرفين يقعون في الخطأ ، وهناك طرف ثالث يراوده الخطأ أيضاً وهم أولئك الذين ينتظرون نفاذ عمر النظام الإسلامي على أمل أن يروا بأعينهم نكوص الشباب عن الدفاع عن النظام الإسلامي ، إنهم يخطئون كثيراً .

لقد أخطأ أعداؤنا كثيراً فيما يتعلق بهذا البلد وهذه الثورة وتكرّر الخطأ منهم في مناطقهم للصخر ، فالنتيجة الطبيعية للخطأ هو الإخفاق ، وحيث إنهم لم يعرفوا شعبنا وثورتنا ومسؤولينا وشبابنا ويخطئون التحليل والعمل فإنهم ظلّوا يناطحون الصخر ولمرات عديدة ؛ فعندما انتصرت الثورة ؛ قالوا : إنها لن تدوم أكثر من شهرين ! في حين أن الشعب هو الذي بلغ بهذه الثورة الكبرى إلى ساحل النصر بحركة وصل صداها أصقاع الدنيا ، وعندما انقضى الشهران تساءل المعادون للثورة من السذج في الداخل ما الذي حصل ؟ فقيل لهم : إن الأمر سينتهي بعد ستة أشهر أخرى البتة ! وهكذا مدّدوا هذه الأشهر الستة إلى ستة أخرى ! فهذه الثورة وهذا النظام وهذا الشعب وهذا الجيل مشمولون جميعاً بلطف الباري جلّت قدرته ، وعلينا نحن أنا وأنتم ومسؤولي البلاد أن نعرف قدر هذا اللطف الإلهي وتؤدّي الشكر لله سبحانه على نعمه .

إنني لا أكلّ ولا أرتوي من لقائكم والتحدث إليكم ، ولكن نظراً لأن الوقت قد أخذنا فإنني أنهي حديثي وأستودعكم الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمة الإسلامية

وخيار السلام العالمي في إطار

العلاقة المتوازنة بين الحضارات (*)

✽ الشيخ محمد علي التيسيري

إن التحركات الجادة التي شهدتها الساحة العالمية خلال العامين الماضيين ؛ بهدف بلورة فكرة الحوار بين الحضارات بصيغتها العلمية الموضوعية ، تمثل نقلة أساسية في أساليب تفكير البشرية الرامية إلى تحقيق التوازن في العلاقة بين التيارات الحضارية والدينية والفكرية والقومية التي تتقاسم البشرية ، وبالتالي العمل على تحقيق الطموح الذي طالما حلم الإنسان منذ بزوغ فجره ، وهو حلم تحقيق الأمن والسلام في الأرض . ومهمة كبرى بهذا الحجم ، تستدعي التعامل معها بمزيد من التنظير العلمي الجاد والتخطيط الموضوعي ، من ثم التنفيذ الواقعي الذي يستتبع التحركات الانفعالية السطحية أو



(*) بحث مقدّم إلى : الندوة الدولية حول «الحوار بين الحضارات في عالم متغيّر» المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (آسيسكو) - الرباط ١٠ - ١٢ يوليو ٢٠٠١ م .

الخطاب الإعلامي الدعائي : إذ أن المشاريع التي تتعامل مع مصير الإنسانية ببنى هشة تعتمد الشعار والأهداف الدعائية ، تؤول -دون شك - إلى الإخفاق ، بل وقد يكون لهذا الإخفاق مردودات سلبية . ومن هنا فنحن نكرّر التأكيد على ضرورة التعامل مع موضوع الحوار بين الحضارات تعاملًا علميًا عقلانيًا ، ينطلق من مساحات الاشتراك التي تقف عليها البشرية ، وينظر إلى التقسيمات الحضارية والدينية الإثنية نظرة واقعية تستبطن كل عوامل الاختلاف وإمكانيات اللقاء ، ولا يتجاوز المسلم فيها مبادئه العقائدية وأسسها الشرعية .

وسنحاول في هذا البحث الانطلاق من هذه الحقائق في النظر إلى موضوع العلاقة بين الحضارات ، بهدف تركيز دعائم الطريق الذي يوصل البشرية جمعاء إلى التفاهم من أجل أمنها وسلامها . وهذا الطريق محفوف بالمخاطر والصعوبات والعقبات ، وقضية إزالتها تحتاج إلى تعاقد الجهود وتلاقى الرؤى الخيرة لأبناء الإنسانية الذين يجمعهم مصير مشترك وواقع مشترك ، سواء في حياتهم على الكرة الأرضية التي يتقاسمون تاريخها وجغرافيتها ، أو في حياتهم الآخرة التي سيحصلون فيها على نتائج ما كسبت أيديهم .

الحوار حاجة إنسانية :

منذ أن أحس الإنسان بحالة التنوع في المعتقد والمستوى المعيشي والتوزيع الجغرافي والعمق التاريخي والانتماء الإثني مع الإنسان الآخر ، فإنه دخل في حلبة الصراع من أجل البقاء ومن أجل حياة أفضل أو من أجل فرض واقعه على الآخرين . وأثبتت هذه التجارب للإنسان طيلة

آلاف من السنين ، إنه بحاجة إلى تقنين حالة الصراع والتدافع ، وخفض نسبة سلبياتها إلى أدنى حدّ . ودفعته هذه الحاجة إلى تفهم وجهة نظر الآخر ، من خلال الحوار وتبادل الرؤى والأفكار . وأخذت أساليب الحوار مظاهر وألواناً مختلفة .

وقد تناولها كثير من المفكرين والباحثين وعلماء الدين ورجال السياسة من منطلقات مختلفة ولغايات متنوعة . ولكن القاسم المشترك الذي كان يجمع هذه الرؤى والدعوات هو ضرورة الحوار الإنساني بشتى مضامينه ومجالاته . فظهرت دعوات للحوار بين الثقافات ، وأخرى بين الأديان ، وثالثة بين المذاهب . وهكذا بين الشعوب والحكومات والقوميات وغيرها ، فضلاً عن الحوار بين الحضارات ، والتي ظلت من الدعوات الأساسية والمهمة ، وفي هذا المجال هناك رؤى متنوعة أيضاً ، فهناك من يرى بأن حوار الحضارات يجب أن يتم بين الحضارات المتمثلة موضوعياً ، مثلاً : بين الحضارات الدينية أو الحضارات القديمة أو الحضارات القائمة أو المستمرة في وجودها أو بين المدنيات وغيرها . ولا شك أن لكل مجال أو مضمون من مضامين الحوار أساليبه ومناهجه المستنبطة من طبيعة موضوع الحوار نفسه .

وأود هنا الإشارة إلى أن دعوة رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران للحوار بين الحضارات ، جاءت تنويعاً للجهود الكبيرة التي قامت بها الجمهورية الإسلامية في إيران ، ومنذ تأسيسها ؛ لتركيز حالة الحوار في كثير من مجالاته ، ومنها الحوار بين المذاهب الإسلامية ، والذي تجلّى بعشرات الندوات والمؤتمرات العالمية والكتب والدوريات وغيرها ، وهكذا الحوار الفكري بين المفكرين والباحثين من مختلف بلدان العالم

الإسلامي . وأيضاً الحوار بين الأديان ، ولا سيما بين الإسلام والمسيحية بمختلف مذاهبها ، ويزيدني فخراً أن أكون أحد الداعين لهذه المظاهر الحوارية والقائمين عليها منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً وحتى الآن .

ولا يفوتني هنا أن أذكر بأن الإمام الخميني (ره) كان داعية الحوار الأول ؛ إذ لم تقتصر دعواته على الحوار بين المسلمين ، بل إنه تجاوزها إلى الحوار مع غير المسلمين ، بل ومع غير المتدينين . وأبرز مثال في هذا المجال هو رسالته إلى آخر رئيس للاتحاد السوفيتي ميخائيل غورباتشوف ، والتي فتح فيها باب الحوار مع الحضارات والمدنيات والقوى الدولية . ولكن الموت حال بينه وبين إكمال مشروعه في هذا المجال .. تغمّده الله بواسع رحمته .

الحوار مبدأ إسلامي :

من خلال نصوص القرآن الكريم والصحيح من الحديث الشريف ، نجد أن الإسلام دعا - وبصيغ مختلفة - إلى الحوار . كما دعا إلى التعاون مع الآخر المختلف دينياً ، كمقدمة ضرورية للحوار ، فالتعارف هو مدخل الحوار : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ... ﴾ ^(١) . ويتمثل التعارف بدراسة كل طرف لمتبنيات وأفكار الطرف الآخر من مصادره نفسها ؛ لتكون حجة عليه ؛ فضلاً عن تبادل المعلومات ولقاءات المجاملة ؛ لتكون مقدمة للحوار .

أما الحوار الذي يدعو إليه الإسلام ، فهو حوار هادف ، ويتسم بالتجرد

والموضوعية والعلمية . وقد وضع الرسول ﷺ قواعد هذا الحوار في دعوته : ﴿ قال يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾^(١) . ويريد بذلك الاتفاق على حد معين من مباني الحوار الموضوعي . كما أن الرسول ﷺ في قوله لنصارى نجران ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾^(٢) ، ويقصد التجرد في الحوار للوصول إلى الحقيقة مهما كانت ، برغم يقينه بصحة معتقده ، إذ أن هذا اليقين لم يمنعه من الإيحاء إلى الطرف الآخر بأنه سيدخل الحوار دون أن يحمل مواقف ميّنة أو أحكاماً معدّة سلفاً .

والقرآن الكريم ملئ بمختلف ألوان ومظاهر الحوار ، ولا سيما الحوارات التي يقف الأنبياء والصالحون طرفاً فيها ، والطرف الآخر أقوامهم أو الحكام أو أتباع المعتقدات والديانات الأخرى . وقد رسم القرآن الكريم الخطوط العامة لمناهج وأساليب كل مظهر من مظاهر الحوار تلك . كما وضع أهدافاً مدروسة للحوار . فالحوار ليس هدفاً بذاته ، بل هو وسيلة لتحقيق أهداف تعود بالفائدة على الدين الحنيف أو الإنسانية . وفيما يرتبط بفكرة حوار الحضارات بثوبها الجديد ، فإنها فكرة هادفة جادة ، ولا تخرج عن كونها مبدأً إسلامياً ولغة قرآنية ، ولعل من أبرز أهدافها محاولة التمهيد لتوازن دولي ووفاق علمي يكون فيه للحضارات والثقافات والحكومات والشعوب دور أساسي ، ومحاولة لسد الباب أمام قوى الظلام والشر التي تمارس مختلف ألوان التمييز السياسي والعنصري والجغرافي بين شعوب العالم ، إضافة إلى محاولة من التكافؤ والشعور بالمسؤولية لدى كل من يقيم على هذه الأرض - تجاه الأرض وسكانها وبيئتها ومستقبلها . وبالتالي العمل المشترك على

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) سبأ : ٢٤ .

نشر السلام والأمن في كل العالم ، وهو الهدف الذي يدعو إليه الإسلام ..
دين السلام والحوار .

المناخ المناسب للحوار :

لاشك أن أي شكل من أشكال الحوار لابد أن يتم في مناخ مناسب ، يسوده الأمن والسلام ، ويتسم بتكافؤ الفرص بين المتحاورين ، وحرية التعبير عن الرأي ؛ وأن لا يكون حوار القوي والضعيف أو الحاكم المستبد والمحكوم ، ففي هذه الحالة يضيع أي تكافؤ بين المتحاورين ، ويكون منطق السيف والخوف هو المتحكم بمسار الحوار ، ومن الطبيعي أن مثل هذا الحوار لا يتمخّض عن أية نتيجة نافعة . وإذا خصّصنا الأمر في الحديث عن الحضارات ؛ فإن إيجاد المناخ المناسب للحوار بينها ، هو الشرط الأساسي لدخول مثل هذا الحوار ؛ لأن الحضارات تتباين فيما بينها في حجم القوة ونوعية الامتداد والاستمرار وطبيعة أدوات التعبير التي تمتلكها . والمناخ المناسب الذي يتمثل في الحوار المتوازن هو الوجه الآخر للعلاقة المتوازنة المتكافئة بين الحضارات . والتي تختلف فيها أدوات الضغط ومنطق الترغيب والترهيب . ولا نقصد هنا بأدوات الضغط الأدوات العسكرية فحسب ، بل أدوات الضغط بكل أشكالها ومضامينها ، والتي تعبّر عن تفوّق طرف على آخر ، ومنها الأدوات السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية ، وصولاً إلى أدوات الاتصال والتعبير عن الرأي ، بل حتى مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية ، التي تؤسس لآيديولوجية التفوق والقوة لدى عرق دون آخر ولون دون آخر ، فهذه المناهج يمكنها أيضاً

أن تكون أدوات للضغط خلال الحوار ، فيستثمرها المتفوق في هذه المرحلة الزمنية^(١)؛ للقيام بالتأثير النفسي على الأطراف الأخرى ومحاولة مصادرة آرائها ، وإيقاع الهزيمة بها بسلاح المنهج العلمي المزعوم .

الحوار وهدف تحقيق الأمن والسلام :

الأمان مطلب إنساني فطري جذوره من أهم غريزة وجدت في فطرة الإنسان وهي غريزة «حب الذات» . وتعمل هذه الغريزة مع باقي الغرائز الأخرى بشكل متناسق ، لتحقيق سير إنساني متوازن نحو الأهداف التكاملية العليا للإنسان ؛ فلا يكفي وجود الدوافع الغريزية لتأمين المسير المتوازن ، وإنما يجب تأمين جوّ طبيعي للذات الفردية والذات النوعية ؛ كي تدفعها - تلك الدوافع - نحو أغراضها المنشودة .

وتأكيداً من الفطرة نفسها على توفير الجو الآمن ، نجد العناية الإلهية قد غرست فيها بديهيات الحكمة والميول نحو العدل ، والنفور من الظلم والإعتداء ، بل ومنحتها القدرة على تعيين الكثير من مصاديق العدل والظلم ، مما يمهد لها السبيل للاتصال بالخالق العظيم وتقديم معاني الولاء له ، وحينئذٍ تفتح لها آفاق الوحي . وتكتشف بذلك الاطروحة السماوية الرحيمة التي تعطيها المخطّط الكامل للمسيرة . وتضمن لها كل ما يوصلها إلى أهدافها .

(١) ونقصد به المتفوق عسكرياً وسياسياً واقتصادياً في هذه البرهة الزمنية التي نعيشها الآن، وهذا التفوق النسبي الزمني يحاول المتفوق أن يلجته في إطار ما يسميه بمناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، واعتباره حقيقة علمية ثابتة على مستوى المكان والزمان. بيد أن حقائق الزمان والمكان تشير إلى عكس ما تذهب إليه تلك المناهج.

فالأمن - إذن - حاجة إنسانية دائمة لا تغيّرها الظروف ، وليست ظاهرة عرضية حتى يقال : بأمنها معلولة لوضع اجتماعي معيّن إذا ما تبدّل تبدّلت هذه الظاهرة معه . ومن هنا فمن الطبيعي أن نتصور الحاجة إلى نظام شامل يتكفّل حماية الأمن الفردي والاجتماعي على مدى مسيرة الإنسان الطويلة . ولا يمكننا أن نتصور حدوداً لمسألة حماية السلام والأمن إلّا في إطار مسألة التكامل الإنساني ذاتها . وذلك أمر طبيعي ، بعد أن ندرك أن الفطرة هي - إجمالاً - معيار الحقوق الإنسانية كلها ، وأنها أيضاً تحدّد إنسانية الإنسان وأهدافه ، وتفرض حماية الأمن الإنساني لتحقيق الهدف الكبير ، وحينئذ لن يقبل الأمن تحديداً إلّا إذا خرج عن وظيفته الحياتية ، وعاد عنصراً ضد الأمن نفسه ، فلا معنى - إذن - لضمّانه . وإلّا فكيف نتصور الفطرة التي أعلنت الحاجة إلى الأمن وهي تسمح للفرد بالقضاء على أمن نفسه هو ، أو أمن الآخرين ، وبالتالي على أمن المسيرة الإنسانية كلها دون أن تحدّده بما يردعه عن فعلته ، حتى لو أدّى ذلك إلى تهديد أمنه ؟ .

وإذا شئنا تتبع المحاولات الإنسانية الحضارية الجادة لتوفير نظام آمن للبشرية جمعاء ؛ فإن علينا أن نتتبع - أولاً - محاولات الأديان ، باعتبارها أقدم الظواهر في حياة الإنسان وأكثرها دعوة للكمال كهدف إنساني ، وأشدّها سعياً لتحقيقه ، ثم نستعرض - ثانياً - محاولات الفلاسفة المتنوعة لبناء القوة العادلة العاقلة التي تضمن للبشرية هذه الحاجة . ونصل - ثالثاً - إلى المحاولات الشخصية والجماعية لضم العالم تحت حكومة واحدة ، منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا ، بشتى الحجج والدوافع والشعارات ، وفي طليعتها شعار تأمين العدل لكل البشرية ، والدفاع عن حقوق المحرومين وتوفير السلام العالمي .

خيارات البشرية لتحقيق الأمن والسلام :

هناك عدة خيارات أمام البشرية ، متمثلة في الأطروحات التي جربتها البشرية أو لم تجربها . وكلها ترفع شعار تحقيق الأمن والسلام العالمي ، ولكنها تختلف في المضامين والوسائل والأساليب ، وأهمها :

١ - السيطرة الدكتاتورية على كل العالم بالحديد والنار ، بذريعة أنها الوسيلة الوحيدة لضمان الأمن العالمي . هذه الأطروحة - كما نرى بوضوح - تحمل في داخلها تناقضاً يصعب إزالته أو تسويغه ، حتى من قبل الذين يتبنونها ، الأمر الذي يضطرهم لرفع شعارات أخرى لتسويق نواياهم الحقيقية غير السليمة . وأبرز من تبنى هذه الأطروحة : «النازيون» .

٢ - السيطرة الطبقية . أي سيطرة طبقة معينة على باقي طبقات المجتمع العالمي ؛ باعتبارها المقدمة الوحيدة لخلاص البشرية من شرور الاستغلال والعدوان والاستعمار ، والتي تحقق الانسجام الوحيد مع نوعية الانتاج الاقتصادي ؛ الأمر الذي يؤدي إلى توفير كل حاجات الناس دون استثناء وقيام المجتمع الشيوعي الذي يحقق كل الرغبات العامة ، وتخفف فيه الذاتية وتسوده (نحن) الإنسانية ، حتى لا تبقى هناك أية حاجة للقانون أو القضاء أو الدولة . وهذه الأطروحة ليست إلا خيلاً جامعاً لا ينسجم مع فطرة الإنسان وأصالتها ، بل إنه ينفي أية جذور فطرية ، مما يؤدي بالتالي إلى نفي إنسانية الإنسان نفسها . هذه النتيجة يرافقها بطبيعة الحال - اعتداء تاريخي مريع على كل مرافق الأمن ووسائل السلام . وسلب قاس للحريات والحقوق الإنسانية . وهو ما حفلت به التجربة التاريخية للأطروحة ، من ممارسات عنف واضطهاد

وسفك للدماء ، صادرت كل دعامة للأمن والسلام ، برغم أنها تجربة انهارت قبل أن تحقق أي من أهدافها الأساسية .

٣ - الشعوب الحرة المتعايشة التي تحكمها النظم الديمقراطية . والتي تتنافس فيما بينها تنافساً حراً يعود على الإنسانية جمعاء بالخير والأمان . وبرغم أن هذه الأطروحة لم يصرح بها أحد بصورة نظرية متكاملة ؛ ولكنها تعبير عن الواقع الذي تدعو له الأطروحة الرأسمالية الليبرالية والديمقراطية ، والتي تعتقد بأن الحرية هي أساس السعادة الإنسانية وهي التي تكفل تحقيق التكافؤ بين الشعوب ، وبالتالي تعميم السلام في الأرض . وتفسّر هذه الأطروحة الحرية بما ينسجم وتحقيق الفرد لطموحاته ، باعتبارها مدخلاً لتحقيق المجتمع لكافة طموحاته وتقدمه على المدى البعيد . وتفترض هذه الأطروحة إمكانية قيام حكومات ديمقراطية - بكل ما للديمقراطية من معنى نظري - في كل أنحاء العالم . وأن هذه الحكومات تتعامل مع بعضها على أساس التنافس البناء دون تعدٍ على حدودها وحقوقها . ويتم ذلك في إطار عرف دولي مدوّن يضمن طرح أسس عادلة للعلاقات الدولية . وهذه الافتراضات هي - في حقيقتها - مجرّد خيال ؛ لأنها لا تمتلك أي أساس إنساني واقعي ولا تؤيدها التجربة التاريخية الحضارية الإنسانية . إذ أن الإنسان الذي يملك أبعاده النفسية ونزعاته الذاتية ، إذا لم تضمن له التربية الروحية التامة ، وسلبنا كل ما يؤدي إلى تربية إنسانية ، وسرنا به نحو حيوانية منظّمة ؛ فإن من المستحيل تصوّر سير تكاملي طبيعي ومتوازن له . وإذا تجاوزنا الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي ، فسنرى أن التجربة التي مارستها الأنظمة الديمقراطية التقليدية منذ انبثاقها وحتى الآن ، وما أسفر عن ذلك

من حروب وحركات استعمارية وانتهاك لحقوق الشعوب الأخرى وعدوان على الحريات الإنسانية ، لا يمكنها خلق أية أرضية للأمن والسلام العالمي .

٤- القبول بالواقع القائم على ما هو عليه ، وقيام تنظيم دولي على غرار منظمة الأمم المتحدة ، تأخذ على عاتقها تنظيم العلاقات بين الدول والشعوب ، وإصدار بيانات ومقررات وبروتوكولات عالمية ملزمة ، بهدف ضمان السلام العالمي ، ومن ثم السهر على استمراره من خلال مختلف الآليات . ومن هذه الآليات : أنها منحت كل الدول - على اختلاف عدد سكانها وحجم مساحتها وقوتها - مقعداً واحداً وصوتاً واحداً في الجمعية العامة . بينما منحت مجموعة من القوى العظمى حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي ، والذي شكلته هذه الأطروحة لحفظ الأمن العالمي وضمانه !! وهذه الأطروحة - هي الأخرى - مليئة بالسلبيات، وأبرزها آلية ضمان حفظ الأمن نفسها ، والتي أعطت من خلالها للدول الكبرى حق النقض في مجلس الأمن ، وهي دول تسعى لتحقيق مصالحها على حساب الدول الأخرى ، إضافة إلى أن هذه الأطروحة لم توجد أية آلية لإلزام الدول بقوانينها ، وبذلك يمكن لأية دولة أن لا تنضم للمعاهدة أو البروتوكول الذي لا تجده منسجماً مع أهدافها ورؤاها . وإذا ما وجدت قوانين عقوبات دولية رادعة - وهي نادرة - فإن القوى الكبرى هي التي تنفذها وفقاً لما تمليه عليه مصالحها وليس وفقاً لمصلحة الأمن العالمي . وبذلك فإن السلام العالمي في هذه الأطروحة يُنظر إليه من خلال مصالح القوى العظمى فقط ، فهو إذن - سلام ضد السلام .

٥ - الدولة العالمية الواحدة ، القائمة على أساس التوحيد الإلهي ، والقسط والعدل ، والشورى ، والقيادة الإنسانية الرشيدة ، والنظام الإنساني الذي يقرّ حرية الإنسان وحقوقه في مضامينهما وأشكالهما التكاملية الطبيعية . وهذه الأطروحة تتمتع بكل نقاط القوة التي تجعل منها الضامن الوحيد للسلام العالمي . فضلاً على أنها لا تحتوي على نقاط الضعف الموجودة في الأطروحات الأخرى التي استعرضناها ، إلا أن هذه الأطروحة - برغم واقعيّتها ووجود الإمكانية الكاملة لتحقيقها - تواجه عقبات كأداء ، وتحتاج إلى تضحيات جسيمة ، ولكنها تبقى الخيار الوحيد للبشرية . ومن هنا نرى ضرورة الاتجاه نحو المبادئ التي تدعو لها هذه الأطروحة ، واكتشاف المبدأ الأصلح الذي ينسجم مع أسسها ومعالِمها وروحها ، ثم التعرف على الأمة التي تحمل هذا المبدأ ، والعمل على تأصيل خصائص هذه الأمة ، والانطلاق - بعد ذلك - لنشر حالة الإيمان بهذه الأطروحة بين أبناء البشرية ، ولكي لا نتهم بأننا نجنح إلى الخيال في عرضنا لهذه الأطروحة ؛ فإننا نؤكد على أن هذه الأطروحة هي الخيار الذي يطرحه الإسلام نفسه لإنقاذ البشرية ونجاتها من الظلم والجور ونشر القسط والعدل والسلام في ربوع الأرض . وينبغي أن نلاحظ حقيقة مهمة ، وهي : أن مثل هذه الدولة العالمية لا توجب - بالضرورة - أن يكون أبنائها على دين واحد تستوعبه هذه الدولة ، إلا أن ذلك ليس شرطاً ضرورياً لقيام هذه الدولة .

ونحن نعتقد بأن البشرية ستسير باتجاه تحقيق هذا الهدف - عاجلاً أم آجلاً - إذ أرادت لنفسها أن تضمن مسيرة متوازنة واحدة متكاملة تحقق أهداف الإنسان ، وتضمن تناسباً بين الثروة الموجودة في الطبيعة

وسرعة التكاثر الإنساني واحتياجات الأجيال الجديدة ، وتضمن سلاماً عالمياً يغني العالم عن الحروب والنزاعات التي لا طائل من ورائها غير إفناء الإنسانية وإهدار ثرواتها ، وتضمن - أخيراً - الحقوق والحريات للإنسان بصورة حقيقية ، وفقاً للموازن المعنوية العادلة التي تخدم تقارب البشرية عموماً وبالتالي فإن هذا التصور هو طموح نسعى إليه ويجب أن نعمل للتمهيد له^(١).

حكومة السلام العالمية والتمهيد لها :

إن حكومة السلام العالمية هي حقيقة إنسانية ، كما هو حقيقة دينية وإسلامية ، فالبشرية على مختلف معتقداتها وأيديولوجياتها تراهن على الزمن الذي تقوم فيه حكومه العدل العالمية ، وهو رهان يستند إلى قاعدة الوعود التي تحتويها الفلسفات والأديان ، والمتمثلة بحتمية استتباب السلام في أرجاء العالم في ظل حكومة تربط عدالة الأرض بتعاليم السلام . وهذه الوعود لا تقتصر على الإسلام فحسب برغم أن الإسلام يعطيها شكلاً ومضموناً عقائدياً في غاية الوضوح ، ويتحدث عنها كحقيقة تربط بين ماضي الإنسانية وحاضرها ومستقبلها ، ويطلق على هذه الحقيقة اسم حكومة المهدي المنتظر ، التي ستعم العالم أجمع ، وتنشر العدل والقسط والسلام فيه ، وتقضي على كل ألوان الظلم والجور والعدوان . ومن هنا فقضية المهدي ترتبط بمصير الإنسانية جمعاء أو مصير الأرض برمتها ، وحرى بجميع سكان الأرض أن يجعلوها مادة للحوار فيما بينهم . ونحن كمسلمين مكلفون بالتمهيد

(١) انظر : للكاتبة نفسها، الإسلام والأمة والسلام العالمي، بحث ألقاه في مؤتمر عقد في عام ١٩٨٨م بمدينة لاهاي بهولنדה.

لعصر ظهور هذه الحكومة ، وهو ما أطلقت عليه الأدبيات الإسلامية مصطلح «الموطئون»^(١).

ونطرح هنا مجموعة من المقدمات التي ينبغي لهؤلاء «الموطئين» توفيرها في إطار عملية التمهيد لتحقيق الحتمية الموعودة :

١ - إعادة القيم المعنوية التي تدفع الإنسان باتجاه التخلص من المعايير والقيم المادية الأرضية ، والتمسك بالقيم الروحية السامية ، وهي مهمة تقع على عاتق كل الأديان والمعتقدات الروحية والإنسانية الصافية .

٢ - تركيز حالة الحوار بين الأديان ، دون أن تقتصر محاوره على القضايا اللاهوتية ، بل تتعداه إلى التعاون في جميع قضايا الإنسان ، ومحاولة تلبية حاجاته المادية والروحية .

٣ - معالجة المشاكل الاجتماعية معالجة عصرية وافية ، من خلال دراستها بعمق ودقة وموضوعية .

٤ - العمل الجاد على تطبيق مبادئ حقوق الإنسان وتوسيعها ورفع ما يشوب نظريتها من نقاط ضعف واستغلال ، ومنها إمكانية الاستغلال السياسي والازدواجية بين النظرية والتطبيق وسياسة الكيل بمكيالين .

٥ - إشاعة مفهوم الحكومات القائمة بصورة حقيقية على إرادة الشعوب ، والتي تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه .

٦ - الدفاع عن الثقافة العالمية على الفطرة الإنسانية ، أي الثقافة التي تنسجم مع فطرة سكان الأرض وتمثل المساحة الإنسانية المشتركة فيما بينهم ، وفي الوقت نفسه تحترم الخصوصيات الثقافية للشعوب .

(١) انظر : للكاتب نفسه، مقدمة كتاب بحث حول المهدي للإمام الشهيد محمد باقر الصدر.

وهذا يعني رفض ما يعرف بالعولمة بكل ألوانها ، ولا سيّما العولمة الثقافية التي تقوم على أساس هيمنة ثقافة المتفوقين سياسياً وعسكرياً وإعلامياً واقتصادياً ، أو التي تضمن مصالح القوى العظمى بذريعة عولمة الثقافة .

٧ - إشاعة روح التسامح الديني والثقافي بين أتباع مختلف الأديان والمعتقدات مع الاحتفاظ بالقيم الفطرية ، وهذا لا يعني توزيع الحقيقة بنسب متوازنة على الجميع بالصورة التي تقول بها فرضية التعددية بمناهجها الغربية ، بل يعني السماح للرأي الآخر ، والقبول به كرأي مختلف ، والتحاور معه ، للوصول إلى مساحات وقناعات مشتركة .

٨ - تقوية بنية العائلة وتركيز قيم التعاضد والتكافل والتعاون فيها ، باعتبار العائلة اللبنة الأساسية للمجتمع الإنساني .

عالمية الإسلام وطموح تحقيق الأمن والسلام :

لا شك أن الإسلام يحمل في داخله القابلية المطلقة على تحقيق كل طموحات الإنسان في حكومة الأمن والعدل التي تنشر السلام في كل الأرض ، ويعلن الإسلام عن هذه القابلية ويقيم الأدلة على صحتها . فالإسلام - أولاً - هو دين عالمي ورسالته موجهة لكل البشرية ، فهو - إذن - الصيغة التي يريد الله تعالى للبشرية : ﴿ يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾^(١) . ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾^(٢) كما أنه الصيغة التي تنسجم مع الفطرة بكل أبعادها وقيمها : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس

(١) الأعراف: ١٥٨ .

(٢) سبأ: ٢٨ .

عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم^(١). وهو دين التكامل والحياة الحقّة : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾^(٢). والإسلام ثانياً هو الدين الذي يدعو إلى تشكيل دولة عالمية تقوم على أساس التوحيد ، وتسعى لبناء القسط ، ونشر العدل ، وتحقيق مبدأ الشورى في شتى نواحي الإدارة ونظم الحياة . ويضع نظاماً لقيادة عادلة رشيدة ، ويعترف بالحرية الإنسانية الفكرية والشخصية والسياسية والاقتصادية ، ولكن في اطر عادلة حكيمة تضمن بقاء الحرية دعماً لمسيرة التكامل ، بدلاً من تحوّلها إلى معول يهدم أركان هذه المسيرة ، كما تضمن حقوق الإنسان كأروع ما يكون الضمان بعيداً عن الادعاءات الفارغة والتناقضات التي ابتلي بها «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» ، بالرغم مما فيه من جوانب إيجابية . ومن تلك الحقوق حقوق أتباع الأديان الأخرى التي تعيش في كنفه وتنعم بما يضمنه لها من قوانين تجعلها تحيا حياة ملؤها الأمان والرفي .

كما أن الإسلام بعد أن ينفي كل معايير التمايز المادية ، من قبيل التمايز العرقي ، واللوني ، والمالي ، والجغرافي ، والمقامي ، وغير ذلك ، يقيم بناءه الاجتماعي على أساس معايير الالتزام المبدئي ، والعلم ، والخدمة التضحية في سبيل الإنسان ثالثاً ﴿قل هو يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٣) . ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٤) ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً﴾^(٥) . هذا ، في حين إنّه يركّز على المحرومين

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) الأنفال : ٢٤ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) الحجرات : ١٣ .

(٥) النساء : ٩٥ .

والمستضعفين من الناس ويعمل على إنصافهم من ظالمهم المستكبرين ، ويقا تل في سبيلهم حتى يستنقذ حقوقهم .

وبالنسبة للسلام والأمن في العالم ، تجد الإسلام - بمقتضى انسجامه مع الفطرة - يعتبر (الأمن) من نعم الله الكبرى على الإنسان : ﴿ فليعبدوا ربَّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ ^(١) . ويعتبر الأمن العبادي من أرقى حالات الإنسانية التي وعد المؤمنون بها عبر التاريخ : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبذلنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ ^(٢) ولكي يوقر لكل المؤمنين في الأرض ميداناً حُرّاً يلتقون فيه في ظل ولاية الله تعالى وفي ظل رحمته ويقولون فيه كلماتهم الحقَّة ؛ فقد جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتَّخذوا من مقام إبراهيم مُصلًى ﴾ ^(٣) .

فالأمان هبة الله للبشرية - يجب أن يتوفر لها بشكل دائم . اللهم إلا أن يعمل بعضهم على محاربة دين الأمان والوقوف في وجه التكامل الإنساني وحرف المسيرة المتوازنة ، وحينئذ فلا معنى للأمان . ومع ذلك نجد الإسلام يدعو الدولة الإسلامية إلى الجنوح للسلام إن بدت مثل هذه الرغبة من الطرف الآخر فقال : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ ^(٤) . ولكي لا يتحوّل الاختلاف العقائدي إلى نزاع دموي عنيف ؛ يدعو الإسلام مخالفيه إلى كلمة سواء بينه وبينهم فيقول : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبدوا إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتَّخذ

(١) قريش : ٣ - ٤ .

(٢) التوبة : ٥٥ .

(٣) البقرة : ١٢٥ .

(٤) الأنفال : ٦١ .

بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴿١﴾ كما يربِّي الإنسان المسلم دائماً على الدفع بالتي هي أحسن لنفي العداوة والبغضاء . إلا أننا نؤكد أن هذا كله إنما يتم مع أولئك الراغبين في السلام . أما المحاربون لله ورسوله ونظامه ، والساعون للفساد في الأرض من المستكبرين فليس لأحد أن يهادنهم ويسالهمهم في مسعاهم الهدام .

الأمة الإسلامية والمسؤولية تجاه السلام العالمي :

إن الأمة الإسلامية - بطبيعة الحال - هي حاملة رسالة الإسلام ، وهي الأجدر بالسعي الحثيث لتنفيذ توجهات الإسلام الإنسانية على الصعيد العالمي . الإسلام يصف هذه الأمة بأنها خير أمة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ (٢) وهل هناك شيء أعرف للنفوس السليمة من السلام والأمن القائم على أسس رصينة ؟

إن الإسلام يعطي مفهوم الأمة مساحة إنسانية واسعة تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية عندما يخاطب مجموع الأمم الموحدة بقوله : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (٣) وعندما يجعل كل الأنبياء في مسار واحد لتحقيق هدف واحد : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٤) ﴿ ولقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ (٥) . وهو يحمّلها المسؤولية العالمية في شتّى المجالات عندما يجعلها الأمة الشاهدة على الناس ، وهو مفهوم حضاري

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) الأنبياء : ٩٢ .

(٤) النحل : ٣٦ .

(٥) الحديد : ٢٥ .

واسع : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (١).

ونعرف هذا المضمون الحضاري من التقابل بين شهادة الرسول على الأمة وشهادة الأمة على الناس ؛ باعتبارها شهادة النموذج والمعيّار على كل السلوكات الأخرى ، وعلى هذا الغرار تأتي الأوصاف الأخرى من قبيل : الأمة الخليفة . والأمة القائمة بالقسط وغير ذلك .

وعليه . فمسؤولية الأمة الإسلامية كبيرة تجاه السلام بمعناه الحقيقي وهي كمسؤوليتها تجاه توفير الأجواء المناسبة لمجموع البشرية لتتجلى طاقاتها البشرية في مجال عبادة الله ونفي مظاهر الطاغوت (وهو المرض الخطير الذي يعمي الفطرة) وبالتالي السير لإعمار الأرض وتكوين المجتمع العالمي الذي يعبد الله آمناً لا يشرك به شيئاً : ﴿ وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ (٢).

وعندما نتصور المسؤولية ؛ يتبادر إلى الذهن تصور الشروط الطبيعية التي يجب أن تتوفر أولاً حتى يمكن القيام بالمسؤولية الجسيمة . والتناسب بينها وبين شروطها أمر طبيعي . وما نتصوره من شروط يتلخص في ما يلي :

١ - وعي الأمة الإسلامية - بكل تأكيد - لإسلامها بأسسه العقائدية ومفاهيمه ونظمه التي تمتد إلى كل مجالات الحياة .

٢ - سعيها الحثيث لتطبيق التعاليم الإسلامية وتجسيدها في حركتها الاجتماعية ، وتحكيم النظم الإسلامية سياسياً وفردياً .

٣ - وجود سعي حثيث لبناء الذات المسلمة بناء أخلاقياً يضمن لها الرقي المعنوي والتكامل النفسي ، كما يغذيها بكل عناصر تغليب

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) التوبة : ٥٥ .

المصلحة الاجتماعية على المصلحة الفردية الضيقة ؛ وذلك عبر اليقين بسعة الحياة إلى حد الخلود وتركيز الحب الإلهي في النفوس بشكل يسمو بالإنسان على أنماط التعلق الشديد بالدنيا ، وهي أخوف ما يخاف على الإنسان المسلم الواعي .

إننا نؤكد على ضرورة توقّر عنصر البناء الروحي باعتباره الممّون الرئيس للإنسان بعناصر الصبر والتضحية في سبيل المبدأ وتجاوز العقبات الكبرى : ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ وما أدراك ما العقبة ﴿ فك رقية ﴾ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴿ يتيمًا ذا مقربة ﴾ أو مسكينًا ذا مقربة ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ (١) .

٤ - على إن البناء الأخلاقي يجب أن يصاحبه بناء نفسي ثوري عاطفي حار ، يدفع المسلم للتحرق الدائم لإسلامه ولقرآنه وقوانينهما ، والجهاد لتطبيق هذه التعاليم والتفاعل العاطفي مع كل الحوادث التي تلمّ بالرسالة وبالأمّة ، ولا يقف منها ، كل موقف اللامبالاة والرهبة والانعزال عن التيار العام . فيجب أن تؤرّقه كل ضربة توجه للمستضعفين في الأرض ، ويجب أن تؤلمه كل خطوة ظالمة يخطوها المستكبرون الظالمون ، ويجب أن لا يقرّ له قرار عندما ينتهك حكم من أحكام الله ، أو يسلب منصب إسلامي من قبل المتسلطين ، أو تهدر ثروة إسلامية في سبيل تحقيق الأهداف المحرّمة ، أو تنهب أرض أو يقتل شعب ، أو تنتهك حقوق مسلمة . ونحن نعتقد أن فقدان مثل هذه الروح الثورية يعني فقدان خصيصة حركية ضخمة قد تؤدي إلى موت الأمّة أو قعودها عن واجباتها التاريخية .

٥ - حصول التقدم العلمي والحضاري المطلوب ، فلا تستطيع أمّة أن

تدّعي لنفسها أنها الطليعية في حين تسبقها الأمم الأخرى في المضمار العلمي والتقني والتطبيقي الإداري ، وفي مجال إدارة دقّة السياسة الخارجية ، ووعي الأحداث العالمية ، واتخاذ المواقف المناسبة منها .

٦ - الوحدة الإسلامية هي أهمّ عامل يجب توقّره في الأمة الإسلامية ، وبدونها لن تستطيع الأمة أن تحقّق أيّاً من أهدافها الحضارية ، بل ستبقى لقمة سائغة بيد أعدائها . وقد وضع الإسلام خطّة واسعة الأبعاد لتحقيق هذه الوحدة الإسلامية بأمتن ما يمكن ، وأهمّ هذه الأبعاد :

أ - وضع تصوراً كونياً موحّداً وركّزه في أذهان المسلمين ليشعروا بوحدة الكون وترابطه في إطار التوحيد الإلهي الخاص .

ب - أقام العلاقة بين حلقات التاريخ الإنساني على أسس واحدة .

ج - وحد المنطلقات الإنسانية والأهداف والسبل ووازن بين المنطلقات والأهداف .

د - أقام دوائر متداخلة من العلاقات الاجتماعية التي تعمل كلّها على تحقيق الغرض .

هـ - ركّز نوعاً رائعاً من الترابط في المشاعر والمقاييس الموحّدة .

و - أقام النظم الإنسانية المختلفة لتقوية الروابط بين أبناء الأمة الإسلامية في شتى المجالات العبادية والاجتماعية والحقوقية والاقتصادية وغيرها بما لا يتسع المجال له هنا^(١) .

وأخيراً .. فإن مجمل هذا التصورات نضعها بين أيدي دعاة الحوار بين الحضارات للتأمل فيها وتدارسها ؛ بغية الوصول إلى مساحات مشتركة تقف عليها البشرية ، وتحقّق من خلالها الأمن والسلام في العالم .

(١) انظر: للكاتب نفسه، الإسلام والأمة والسلام العالمي (مصدر سابق).

* قواعد أصول الفقه :

٩ - صيغة الأمر حقيقة في الوجوب

١٠ - الجملة الخبرية المستعملة في مقام

الطلب ظاهرة في الوجوب

* إعداد : لجنة فقه أهل البيت عليه السلام

* نص القاعدة : صيغة الأمر حقيقة في الوجوب^(١)

توضيح القاعدة :

١ - قد ذكر لصيغة الأمر معان عديدة : منها الترجي والتمني
والتهديد والإنذار والإهانة والاحتقار والتعجيز والتسخير والطلب^(٢).

والمقصود بالبحث هنا هو هيئة الأمر بمعناها الأخير سواء قلنا يكون
المعاني الآخر مجازات أو من الدواعي .

قال الإمام الخميني : «رضوان الله تعالى عليه» : هيئة الأمر موضوعة
للعبت والإغراء ، والدليل هو التبادر^(٣).

(١) الكفاية : ٧٠ .

(٢) راجع الكفاية : ٦٩ ، والمحاضرات ١ : ١٢١ ، ودروس في علم الأصول ١ : ٢٢٥ .

(٣) مناهج الوصول ١ : ٢٤٣ .

وقال المحقق الخراساني «رضوان الله تعالى عليه»: «قصارى ما يمكن أن يدعى أن تكون الصيغة موضوعاً لإنشاء الطلب فيما إذا كان بداعي البعث والتحريك لا، بداع آخر، فيكون إنشاء الطلب بها بعثاً حقيقة، وإنشاؤه بها تهديداً مجازاً، وهذا غير كونها مستعملة في التهديد وغيره^(١)».

وقد ناقشه الإمام الخميني «رضوان الله تعالى عليه»: بأنه إن كان مراده الطلب الحقيقي المتحد مع الإرادة على مذهبه حتى يكون معنى «اضرب» أريد منك الضرب؛ فهو ممنوع، والسند التبادر، وإن كان المراد الطلب الإيقاعي؛ فلا نتصور غير البعث والإغراء شيئاً آخر نسميه الطلب حتى ينشئه المتكلم بداعي البعث، ومع فرضه مخالف للتبادر والتفاهم العرفي في كل لغة^(٢).

٢- إذا استعملت الهيئة في الطلب بداعي البعث أو في البعث والإغراء - على اختلاف المباني - فالظاهر اعتبار العلو والاستعلاء كما تقدم في القاعدة السابقة.

فبعد هذه التوضيحات نقول:

قد اختلفت كلمات الأصوليين في أن دلالة صيغة الأمر على الوجوب هل هي بالوضع أو بالإطلاق أو بحكم العقل أو بحكم العقلاء؟ على أقوال أربعة:

القول الأول: هو كون الصيغة حقيقة في الوجوب، وبه قال المحقق

(١) الكفاية: ٦٩.

(٢) مناهج الوصول ١: ٢٤٤، ٢٤٥.

الخراساني ، والشهيد الصدر ودليله التبادر^(١).

القول الثاني : هو ظهور الصيغة في الوجوب بالإطلاق وبه قال المحقق العراقي^(٢). وتقريبه : أن الطلب الوجوبي هو الطلب التام الذي لا حد له من جهة النقص والضعف بخلاف الاستحبابي ، فإنه مرتبة محدودة بحدّ النقص والضعف ، ولا ريب في أنّ الوجود غير المحدود لا يفتقر في بيانه إلى أكثر ممّا يدل عليه ، بخلاف المحدود ، فإنه يفتقر إلى بيان أصله وحدوده ، وعليه يلزم حمل الكلام الذي يدلّ على الطلب بلا ذكر حد له على المرتبة التامة وهو الوجوب ، كما هو الشأن في كل مطلق^(٣).

والقول الثالث : هو أنّ الصيغة حجة على الوجوب بحكم العقل ، وبه قال المحقق النائيني^(٤) والسيد الخوئي^(٥).

وتقريبه : أنّ العقل يحكم بأنّ وظيفة العبودية والمولوية تقتضي لزوم المبادرة وقيام العبد بامتثال ما أمره به المولى وعدم الأمن من العقوبة لدى المخالفة إلا إذا أقام المولى قرينة على الترخيص وجواز الترك ، فالحاكم بالوجوب إنما هو العقل دون الصيغة لا وضعا ولا إطلاقاً^(٦).

والقول الرابع : هو كون الصيغة حجة على الوجوب بحكم العقلاء ، وبه قال الإمام الخميني^(٧) «رضوان الله تعالى عليه».

(١) الكفاية : ٧٠ ، ودروس في علم الأصول ١ : ٢٢٧ .

(٢) نهاية الأفكار ١ : ١٨٠ .

(٣) راجع الكفاية : ٧٢ ، ونهاية الأفكار ١ : ١٦٢ .

(٤) فرائد الأصول ١ : ١٣٦ .

(٥) المحاضرات ١ : ١٣١ .

(٦) راجع فرائد الأصول ١ : ١٣٦ ، والمحاضرات ١ : ٢ - ١٣١ .

(٧) مناهج الوصول ١ : ٢٥٦ .

وتقريبه : أن الأمر الصادر من المولى واجب الإطاعة بحكم العقلاء كافة ، وليس للعبد الاعتذار باحتمال كونه ناشئاً من المصلحة غير الملزمة ، ولا يكون ذلك لدلالة لفظية أو مقدّمات حكمة ، بل نفس صدور البعث موضوع حكم العقلاء بلزوم الطاعة حتى يرد منه ترخيص^(١).

الاستثناءات :

أ - الأمر بعد الحظر أو توهمه :

إذا وقع إنشاء الأمر بعد الحظر أو توهمه فهو لا يفيد إلّا نفي الحظر لا أزيد .

وقد ذكر المحقق العراقي في وجهه : «إننا لو بنينا على حجة أصالة الحقيقة من باب الظهور التصديقي كما هو التحقيق ، ففي ذلك لا مجال للحمل على الوجوب ؛ لأنّه بمحض اقترانه بما يصلح للقرينية ينتفي ظهوره فيما كان ظاهراً فيه ، فلا يبقى له ظهور في الوجوب ، بل ولا في الاستحباب أيضاً ... ضرورة أنه بعد ارتفاع ظهوره في الوجوب لا مقتضى في تعيين ظهوره في غيره من الاستحباب أو الإباحة بالمعنى الأخصّ ... نعم ، يستفاد من هذا الأمر عدم الحرج في الفعل وإباحته بالمعنى الأعمّ الذي هو جامع بين الوجوب والندب والإباحة بالمعنى الأخصّ ...»^(٢).

الأمثلة :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾^(٣) ، الواقع بعد الحظر عن

(١) مناهج الوصول ١ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) نهاية الأفكار ١ : ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٣) المائدة : ٢ .

الصيد حال الإحرام .

٢ - قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ ﴾^(١) . الواقع بعد الحظر عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة .

ب - الأوامر الإرشادية :

قد يتفق أحياناً أن تكون الصيغة دالة على الإرشاد والإخبار عن الحكم الوضعي ؛ كما في قول الإمام عليه السلام : « اغسل ثوبك من أبوال ما لا يؤكل لحمه »^(٢) ، فليس مفاده طلب الغسل ووجوبه ، بل الإرشاد إلى نجاسة الثوب بالبول وأنّ مطهره هو الماء .

وكما في قول الإمام عليه السلام : « استقبل بذبيحتك القبلة »^(٣) ، فليس مفاده الطلب والوجوب ، لوضوح أنّ شخصاً لو لم يستقبل بالذبيحة القبلة تحرم عليه الذبيحة ، فمفاد الأمر إذاً الإرشاد إلى شرطية الاستقبال في التذكية .
وكما في أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء ، فليس مفاده إلّا الإرشاد إلى ما في الدواء من نفع وشفاء^(٤) .

* نص القاعدة : الجملة الخبرية المستعملة في مقام الطلب ظاهرة في الوجوب^(٥)

توضيح القاعدة :

١ - لا إشكال في استعمال الجمل الخبرية في مقام البعث والطلب ،

(١) الجمعة : ١٠ .

(٢) وسائل الشيعة ٢ : ١٠٠٨ ، الباب ٨ من أبواب النجاسات الحديث ٢ .

(٣) وسائل الشيعة ١٦ : ٢٦٥ ، الباب ١٤ من الذبائح الحديث الأول .

(٤) دروس في علم الأصول (الحلقة الثالثة) القسم الأول : ٨٢ .

(٥) الكفاية : ٧٠ .

وإنما الكلام في كيفية دلالتها على البعث :

أ - قال المحقق الخراساني «رضوان الله تعالى عليه» : لا يخفى أنه ليست الجمل الخبرية الواقعة في مقام الطلب مستعملة في غير معناها ، بل هي مستعملة فيه إلا أنه ليس بداعي الإعلام والحكاية ، بل بداعي البعث^(١).

ب - قال الإمام الخميني «رضوان الله تعالى عليه» : الذي يمكن أن يقال في كيفية الدلالة هو أن الجمل الخبرية مستعملة في معانيها الخبرية بدعوى تحققها من المخاطب ، مدّعيًا أن المخبر به أمر يأتي به المخاطب من غير احتياج إلى الأمر لوضوح لزوم إتيانه بحكم العقل ، كما إذا قلت : «إن ولدي يصلي» بداعي إغرائه بذلك ، فإنك تستعمل الجملة في معناها بدعوى كون الأمر بمكان من الوضوح لا يحتاج إلى الأمر بل يأتي به بتمييزه وعقله ، وما ذكرنا موافق للذوق السليم والمحاورات العرفية^(٢).

ج - قال المحقق العراقي «رضوان الله تعالى عليه» : إن الجمل الخبرية كانت مستعملة في معناها الحقيقي الإخباري ، وكان الغرض والداعي من الاستعمال أيضاً هو الإعلام والإخبار دون الطلب والبعث ، ولكن إعلامه بتحقيق الفعل من المكلف إنما كان بلحاظ تحقق مقتضيه وعلته وهو الإرادة والطلب ، حيث إن المولى لما كان مريداً للفعل من المكلف وكان طلبه وإرادته للفعل علة لصدوره من المكلف ولو بمعونة حكم عقله بوجوب الإطاعة ؛ فلا جرم فيما يرى طلبه متحققاً يرى كأنه وجود المقتضى (بالفتح) وهو العمل في الخارج ، فمن هذه الجهة يخبر بوقوعه

(١) الكفاية : ٧١ .

(٢) منهاج الوصول ١ : ٢٥٧ .

من المكلف بمثل قوله : «تعيد الصلاة» مثلاً^(١).

د - قال الشهيد الصدر «رضوان الله تعالى عليه» : إنّ الجمل الخبرية تكون إخباراً عن وقوع الفعل من الشخص غير أنه يقيد الشخص الذي يقصد الحكاية عنه بمن كان يطبّق عمله على الموازين الشرعية ، وهذا التقيد قرينته نفس كون المولى في مقام التشريع لا نقل أنباء خارجية^(٢).

٢ - اختلف الأصوليون في كيفية دلالة الجملة الخبرية المستعملة في مقام البعث على الوجوب ، هل هي بالإطلاق أو بحكم العقل أو بحكم العقلاء ؟ وقد تقدم تقريب كل ذلك في قاعدة كون الصيغة حقيقة في الوجوب ، فراجع .

التطبيقات :

١ - ما رواه منصور بن حازم عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : «إذا طهرت الحائض قبل العصر صلّت الظهر والعصر ، فإن طهرت في آخر وقت العصر صلّت العصر»^(٣).

٢ - ما رواه العيص عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : «سأله عن رجل مات وهو جنب ، قال عليه السلام : يُغسَلُ غسلة واحدة بماء ثم يُغسَلُ بعد ذلك»^(٤).

٣ - ما رواه عبد الرحمن بن الحجاج أنه قال : «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يتكلم ناسياً في الصلاة ، يقول : أقيموا صفوفكم ، فقال : يتمّ صلاته ثم يسجد سجدةً...»^(٥).

(١) نهاية الأفكار ١ : ١٨١ .

(٢) دروس في علم الأصول ٢ : ٨٣ .

(٣) وسائل الشيعة ٢ : ٥٩٩ ، الباب ٤٩ من أبواب الحيض ، ح ٦ .

(٤) وسائل الشيعة ٢ : ٧٢٢ ، الباب ٣١ من أبواب غسل الميت ، ح ٦ .

(٥) وسائل الشيعة ٥ : ٣١٣ ، الباب ٤ من أبواب الخل في الصلاة ، ح ١ .

التعددية الدينية

(١)

✽ الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي

الأزمة الكبيرة في عالمنا المعاصر:

إن أنسب إسم يطلق على العصر الذي نعيش فيه ، وخصوصاً في العقود الأخيرة هو إسم الأزمة الثقافية ، وقد مرّ على تاريخ التمدن البشري مراحل مختلفة أطلق عليها أسماء خاصة وبمناسبات متعددة ، لعلّه في أيّ مرحلة من المراحل لم تمر في أكثر دول العالم أزمة ثقافية بهذه السعة والشمولية . فإذا نظرنا اليوم إلى المسائل الثقافية في البلدان المتقدمة لوجدنا الضياع والإبهام والمأساوية العجيبة ، ووجدنا التشكيك الفكري الشديد الذي لم يُعهد له مثيل على مر التاريخ .

فقد مرّ على الساحة الثقافية اليونانية في العهد القديم مجموعة بإسم السفسطائيين كان لهم بعض الظهور والبروز ولكن ما فتئ أن بردت حركتهم التشكيكية وانتهت ، وفي القرن الأول والثاني للميلاد ظهرت



موجة الشك ثانية على يد «بيرون» وبعض أتباعه ، إلا أنها لم تمكث مدة طويلة . وكانت الموجة الثالثة بعد عصر النهضة ، وكان لها النفوذ والشمولية أكثر من أي مرحلة سابقة ، إلا أنها مع ذلك لم تكن لتشمل كل المحافل الثقافية والجامعية في العالم . ولكن وجدت في السنوات الأخيرة موجة جديدة تدعو للشك ، وهي أشدّ وأوسع بكثير من الأمواج السابقة ، تشمل جميع المحافل العلمية والثقافية والجامعية في العالم إلا بعض الموارد الاستثنائية . فقد ساد الضياع والاضطراب الثقافي ولاقت جميع أنواع الفلسفات والمدارس التشكيكية والنسبية وأمثالها - التي وإن لم تحمل إسم الشك ظاهراً إلا أن محتواها لا يخلو من عناصر التشكيك - ، رواجاً إلى درجة أصبح يُستهزأ في الأجواء الثقافية العالمية بالذي يدّعي الجزم واليقين في بعض المسائل ، وإذا أرادوا أن يحقّروا أحداً نسبوا إليه أنه من أتباع مدرسة الجزم واليقين . نعم لقد أصبحت مدرسة الجزم عاراً علمياً ، ولاقى في المقابل مذهب الشك والنسبية والنفي المطلق رواجاً عاماً ، سيطر على الأجواء الفكرية والثقافية للعالم ، أصبح فيه من يدعي اليقين ببعض الأشياء وأنه يفهمها بشكل كامل ساذج الفكر ويتهم بعدم العمق والعلمي والمعرفي .

لقد قلت في أحد الأماكن إن إطلاق اسم عصر الجاهلية الجديد على هذا العصر إسم على مسمى ، حيث أنهم يفتخرون بقولهم لا نعلم ، ويقولون علينا أن نصل إلى مستوى نفهم جيداً أن الشك يسري إلى كل شيء ، ولا يوجد شيء يقيني ، بمعنى الاعتراف بالجهل والشك في كل شيء . نحن نواجه هذه الجاهلية الجديدة مقابل تلك الجاهلية التي ذكرها القرآن

بعنوان الجاهلية الأولى ﴿... ولا تبرزن تبرج الجاهلية الأولى...﴾^(١).

فهم يعتبرون أن أتباع مدرسة الجزم واليقين دليل الانحراف واللاوعي ، ونحن نرى في المقابل أن أتباع مذهب الشك والنسبية المطلقة، التي يُدافع عنها في هذه الأيام ، دليل الجهل والغباء ، فقد تعلمنا من القرآن الكريم السعي خلف المعارف اليقينية ، وطرد الشك وامتلاك اليقين ، ففي صفحات القرآن الأولى وفي بداية سورة البقرة يقول الكتاب الكريم : ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ وهذه هي الثقافة القرآنية كلما أرادت أن تلوم المحرّفين والمجموعات الضالة وصفتهم بأنهم أتباع الشك ، على عكس ما نراه هذه الأيام تماماً حيث يصفون من يتّهمونه بعدم المعرفة العلمية بأنه من أتباع اليقين !!

التعددية والتسامح والتساهل آليات لعمل صانعي الأزمات :

على كل حال ، نحن نعتقد أن النسبية ومذهب الشك آفة كبيرة على المجتمع البشري ، ونقصان لمجتمعنا ، وتؤدي إلى ضياع كل القيم والثقافة والاعتقادات التي ضحّينا من أجلها قروناً ، والآن ماذا نفعل في مقابل موجة الشك العالمية ، التي نعتبرها أزمة ومرصاً خطيراً ؟ ونحن باعتبار أننا حكومة وبلد إسلامي ماذا يجب أن نفعل في المجال الثقافي ، علاوة على ما يجب فعله في المجالات الأخرى من اقتصاد وصناعة وعلم ؟ ومن الطبيعي أننا لا نقصد من الثقافة ذلك الإصلاح الجديد ، الخاص بالرقص والموسيقى والغناء ، وإنما نعني القيم والمعتقدات الدينية ، ونحن نعتقد أن الإسلام يمتلك مجموعة من الأصول والقيم

الثابتة والقطعية الأصلية ، وعلينا أن نحافظ عليها أولاً ، وندعو الآخرين إليها ثانياً ، لا أن نتراجع ونفعل في مقابل أمواج العلمانية والليبرالية والتعددية ومئات التيارات الفكرية الأخرى ، ويسعى اليوم أعداء الإسلام بشتى الحيل والألاعيب الثقافية المختلفة ، لتضعيف اعتقادات وقيم الناس لا سيما الشباب منهم ، ومن تلك الحيل ترويج ذلك التفكير الخطير الذي يحمل اسم التعددية .

يقول التعدديون : يمتلك الناس أفكاراً مختلفة وأذواقاً متعددة ، وكل فكر وذوق يتبناه الشخص أو المجتمع محترم لديه ، ونحن علينا أن ننظر إليه نظرة احترام أيضاً ، ونحن إذا كنا نمتلك فكراً أو ذوقاً معيناً ؛ فعلى الآخرين أن يحترموا ذلك أيضاً ، فلا ينبغي لنا التعرض لأفكار الآخرين ولا نابئ أن تحلّ أفكار الآخرين مكان فكرنا ، فليس لأحد الحق أن يعتبر رأيه وفكره حقاً بشكل مطلق ، بل عليه أن ينتبه إلى أن هناك أفراداً آخرين لهم فكرهم ورأيهم . وما هو الدليل على أن فكرك هو الصحيح وفكر الآخرين هو الخطأ ؟ وبأي دليل تُخطئ فكر الآخرين وتصحح فكرك ؟ فإذا اعتنقتم الإسلام فغيركم يعتنق المسيحية أو البوذية أو أي دين آخر ، ولا يوجد أي دليل على أن إسلامكم أفضل من بقية الأديان ؛ فلا بد أن يسود الاحترام فيما بيننا ويحترم كل مناّ عقائد الآخر ، وأن لا نتعصب ونسعى لإظهار ديننا وإبطال دين الآخرين ، بل لابد من أن يسود التسامح والتساهل في التعاطي مع أفكار وعقائد الآخرين ، ونُبقي مجالاً لذلك الاحتمال ، وهو لعل الآخرين على صواب .

ويعتبر هذا التفكير - كما أشرنا - وسيلة تستفيد منه القوى الاستعمارية في العالم للحدّ من انتشار الثقافة الإسلامية وبالخصوص

الثورة الإسلامية في إيران ، ولإيجاد الأرضية للثقافة المادية والإلحادية الغربية ، وقد اتبعت بعض وسائل الإعلام وبعض المنابر هذا الخط الفكري ، واتسعت دائرته إلى درجة تأثرت به بعض الشخصيات التي لم نكن نتوقع منها ذلك أبداً .

مسؤوليتنا المهمة تجاه الشباب :

لقد كانت شخصية الإمام عليه السلام وعظمته كبيرة جداً تؤثر على أفكار ونفسيات المريدين ومُحبّيه ، وكانت تلقى كلمات الإمام عليه السلام وأفعاله قبولا ولا تواجهه أي اعتراض وأي تردد ؛ وهذه المسألة كانت ملازمة لشخصيته الاستثنائية ، ولذا لا يمكن لها أن تبقى دائماً ولجميع الأجيال ، ومن هنا كان علينا أن نفكر - إذا كان نهجه وأفكاره صحيحين واقعاً - كيف ندافع ونحافظ على هذا النهج ونقوم بالترويج له ، ولا يكفي أن نقول للأجيال الصاعدة «هكذا تصرّف الإمام وهكذا قال» ، فإن ذلك الحب والحماس ، الموجود في جيل الثورة الأول ، وما كنا نراه من عشق للشهادة والجهاد ، من الطبيعي أن لا يكون موجوداً في الأجيال اللاحقة التي لم ترّ الجمال الملكوتي للإمام عليه السلام عن قرب ، ولم تسمع إرشاداته في كل يوم وكل أسبوع ، فلذا علينا أن نبين للأجيال ذلك النهج بالمنطق والأدلة المقنعة .

نحن لو وضعنا أنفسنا مكان الشباب الذي بلغ الرشد والعقلانية توّأ ، والذي يواجه كل يوم آراء وثقافات مختلفة ومتناقضة ؛ لوجدنا أن المسائل ليست على تلك البساطة التي تظن ، بل يلح السؤال في كيانهما بأنه ما الدليل على صحة وأحقية رأي ونهج الإمام عليه السلام من بين جميع هذه

الأفكار والآراء المختلفة والمتضادة .

وما هو الدليل على أن الإسلام أفضل الأديان ؟

أليس في العالم جماعات تتبع المسيحية أو أدياناً أخرى ؟ من أين نعلم

أن دينهم وعقائدهم ليست أفضل من الإسلام وأفكار الإمام ؟

لماذا عليّ أن أقبل الإسلام والثورة والإمام وأفكاره ؟ وأسئلة أخرى

كذلك ، كلها مسائل موجودة في أذهان شبابنا تجول في خاطرهم

ويصرّحون بها أحياناً على ألسنتهم . وبهذا البيان يتضح أن الأرضية

الذهنية ملائمة لترويج التعددية ومذهب الكثرة في المجال الديني

والثقافي .

ويحجب المذهب التعددي عن هذه الأسئلة المطروحة وأمثالها : بأن

للإنسان الخيار بانتخاب الدين الذي من بين هذه الأديان الموجودة ،

حيث أنها كلها على حدّ سواء ، وكلها أديان جيدة رغم وجود بعض

الاختلافات البسيطة فيما بينها ! ولا يمكن أن نعتبر الإسلام أفضل من

غيره لاتباع مليار مسلم في العالم له وذلك لوجود خمسة أضعاف هذا

العدد تعتقد بغير الإسلام .

وقد صادفت أشخاصاً متعددين في بلاد مختلفة يعتنقون المسيحية ،

ولكن في نفس الوقت يقولون إن الإسلام دين جيد ، وعندما كنت أسألهم :

لماذا لا تعتنقوا الإسلام ؟ كانوا يجيبون لأن الدين المسيحي دين جيد

أيضاً . وحتى البابا قد اعترف بأن الإسلام دين سام ومتقدم ، ولكن لا

يعني ذلك منه أن المسيحية دين رديء أو أن الإسلام أفضل من

المسيحية ، وإنما عندنا دينان كل منهما جيد وهما : الإسلام والمسيحية .

ولو صادفنا زعيم البوذيين - حيث يتبع هذا الدين ملايين الناس في

العالم - فمن المحتمل أن يقول أيضاً: البوذية دين جيد والإسلام كذلك .
هذه هي التعددية الدينية ، وهي تعني أنه لا يوجد دين واحد جيد فقط
بل الأديان الجيدة متعددة ، ولا ينبغي أن يصرّ الشخص على أن شرط
دخول الجنة والسعادة الأبدية هو الإسلام ، بل يمكن أن يكون المسيحي
والزردشتي والبودي وغيرهم من أهل الجنة والسعادة . وكذلك بالنسبة
للمذاهب المتعددة في دين واحد ، فكلها على حق وجيدة ولا ترجيح
لمذهب على آخر ، فليس للشيعي مثلاً أن يُخطئ السني ، وليس
الكاثوليكي أن يُخطئ البروتستانت أو الأورثوذكسي ، وهكذا .

ماذا يقول التعدديون ؟

يقوم التعدديون لتأييد التعددية الدينية بالاستشهاد بمظاهر مختلفة
من التعددية ، فعلى سبيل المثال يقولون : يدير دول العالم اليوم أنظمة
متنوعة ومختلفة من الحكومات ، ففي بعض الدول المتقدمة كاليابان
وبريطانيا يسود النظام الملكي ، وفي كثير من الدول يسود النظام
الجمهوري ، والنظام الجمهوري على أنحاء متعددة ، فبعضها يعتمد على
النظام الرئاسي وبعضها يعتمد على النظام البرلماني ، وعندما يطرح هذا
السؤال «أي نظام أفضل من بين هذه النظم؟» فإننا لا نجد جواباً قاطعاً في
أبحاث فلسفة السياسة ، بل نراهم يقولون أن كل واحد من هذه الأنظمة له
محاسنه وله مساوئه ، ولا نقول عن واحد منها بأنه رديء بل كلها جيدة ،
وفيها جوانب جيدة ، وهذه هي التعددية السياسية ، أي عندما نريد أن
نتخّذ سياسياً ؛ فليس من الضروري أن نقول أن هناك نظاماً واحداً فقط
هو الجيد والصحيح ، وبقيّة الأنظمة باطلة وفاسدة .

وكذلك الأمر بالنسبة لتعدد الأحزاب السياسية وائتلافها بالنسبة لتشكيل الدولة والحكومة ، فإنه مثال آخر للتعددية السياسية ، فلا يمكن القول بأن حزباً واحداً ، من بين الأحزاب المتنوعة في البلد والتي لها آراؤها السياسية المختلفة ، هو الصحيح ونقوم بوضع بقية الأحزاب جانباً . وإذا أجمع الناس تقريباً في بلد ما على تأييد حزب معين ، فإن ذلك علامة على تخلف البلد وانحطاطه عندهم ، وأما البلد الراقي والمتمدن بنظرهم فهو ذلك البلد الذي فيه اتجاهات سياسية متعددة وكل مجموعة من الناس تتبع حزباً غير ما تتبعه المجموعة الأخرى ، وهذا التعارض في الآراء بين الأحزاب المختلفة يؤدي إلى التنافس بين الأحزاب ، فتكون الأحزاب البعيدة عن الحكم مراقبة للأحزاب الحاكمة ، وكل من الأحزاب يترقب ضعف وأخطاء الأحزاب الأخرى ، وينجر هذا الاختلاف إلى أن تراقب الأحزاب نفسها بحذر ، وتسعى لجبران النقص والضعف والانحرافات لتكون أعمالها جيدة وسالمة فينالوا رأي الناس ورضاهم ، وكل ذلك يؤدي إلى تقدم عمل المسؤولين والسياسيين في البلد ، بما يرجع بالنفع على عموم أفراد ذلك المجتمع ، وعلى هذا الأساس نرى التعددية السياسية وكثرة الأحزاب أمراً مفيداً ومطلوباً ، وأما النظم السياسية ذات الاتجاه الحزبي الواحد فغير مفيدة ولا تؤدي ما تؤديه الأنظمة ذات الاتجاهات المتعددة الأحزاب .

وأما الكلام عن المجالات الاقتصادية ، فواضح للغاية بأن تعدد وازدياد القدرات والأقطاب الاقتصادية أمر مطلوب فعلاً ، بخلاف الاقتصاد الذي يعتمد قطباً واحداً فإنه لا يمكن تبنيه ولا الدفاع عنه لما فيه من عيوب ومضار كثيرة . وفي مجال تعدد القدرات والأقطاب

الاقتصادية نرى وجود تنافس فيما بينهم تجعل السلعة والبضاعة تصل إلى المستهلك بأفضل كيفية وأرخص قيمة ، وينمو الاقتصاد ويتسع بالشكل المطلوب ، بينما إذا لاحظنا الاقتصاد المنحصر بقدرة القطب الواحد ، فلن نرى تلك المنافسة التي تجعل من البضاعة على ذلك المستوى من الكيفية الجيدة أو القيمة المنخفضة ، ولا نرى ذلك النمو الاقتصادي المطلوب . إذا التعددية الاقتصادية أمر مفيد ومطلوب أيضاً .

فالتعدديون عندما يذكرون هذه الموارد ، يخلصون إلى هذه النتيجة وهي: أن التعددية كما هي مفيدة ومطلوبة في مجال السياسة والاقتصاد، لابد أن تكون مفيدة ومطلوبة في مجال الدين والثقافة أيضاً، فلا بد أن تكون الساحة الاجتماعية مستوعبة لجميع الأديان ، ولا بد أن نعتقد أيضاً أن لا تفاضل بين الأديان إطلاقاً ، وأن قبول أحد الأديان يساوي قبول الآخر ، وأن تقسيمها إلى ماهو حق وماهو باطل ، أو إلى ماهو كامل وماهو ناقص ، أو إلى ماهو جيد وماهو رديء ، تقسيم لا معنى ولا أساس له ، فالإسلام والمسيحية ، والشيعية والسنة ، والبروتستانت والكاثوليك وجميع الأديان والفرق والمذاهب كلها طرق إلى الحقيقة الواحدة ، وكلها سبل مستقيمة إلى المنزل المقصود وساحل النجاة ، وأما التعصب لأي واحد منها فعلامه على قلة العقل ، فالعاقل الذكي كما قبل بالتعددية الاقتصادية والسياسية ، كذلك يقبل بالتعددية الدينية ويكون تعدد الأديان بالنسبة له أمراً طبيعياً ومقبولاً ومعقولاً .

هذا هو الفكر الذي يروج له في المجتمع بأساليب مختلفة ، وكما أشرنا سابقاً بالنسبة للسؤال الذي فرض نفسه على شبابنا - بعد أن سلمنا بالتعددية في مجال السياسة والاقتصاد ، وأنه لكي يحصل الاقتصاد

مثلاً على نموّه المطلوب في بلد معين ينبغي أن لا نجد عندهم وجهة نظر واحدة بل أن الاختلاف بينهم طبيعي جداً ، ولا ضرورة لأن يتفقوا في وجهات النظر - وهو : لماذا لا تقبل بالتعددية في مجال الثقافة والدين ؟ و يترقى السؤال عندهم إلى صياغة أخرى وهي : لماذا الإصرار على الاعتقاد بالإسلام أو بالمسيحية ؟ وماهي الضرورة الداعية لأن يعتقد الإنسان بوجود الله ؟ فإن هناك أشخاصا كثيرين لا يعتقدون بوجود الله أو على الأقل يشكّون بوجوده ، وهذه عقيدة أيضاً إلى جانب تلك المعتقدات ، فلماذا لا نتبنّى هذه العقيدة ؟

وعلى هذا الأساس نرى أن المسألة جدية وأكبر من أن تُحلّ بكتاب ، وتستدعي أن نشمّر عن سواعد الجدّ فنستقبل أسئلة الشباب برحابة صدر ، ونقدّم لهم الأجوبة المنطقية والاستدلالية .

الردّ على الدليل الأول للتعدّدين :

وأما في مقام الجواب على ما ذكره التعدّديون من أدلة فنقول :
إننا لا نرى وجود أي تلازم منطقي بين قبول الكثرة والتعددية في الاقتصاد والسياسة ، وبين قبول التعددية في الدين والثقافة ، وبعبارة أخرى ، إن البيان الذي قدموه يتلخص بالمقولة التالية وهي : «بما أن التعددية في الاقتصاد والسياسة وأمثالها مفيدة ومطلوبة ، فهي إذاً في مجال الدين والثقافة مفيدة ومطلوبة أيضاً» . وهذه المقولة ليست إلاّ إدعاء صرفاً لا تثبت بدليل ، وهي تشبه كلام من يقول : «بما أن وجود أحد عشر لاعباً في كرة القدم أمر مطلوب ؛ فوجودهم كذلك في لعبة كرة السلة أمر مطلوب أيضاً» ، وهذا كلام عجيب ومضحك وليس إلاّ إدعاءً

بدون دليل . ولأهمية هذه المسألة نقوم بتوضيحها بشكل أكثر :

نحن نسلّم أن في مسائل الاقتصاد والسياسة وأمثالهما لا نجد نتيجة واحدة وأن التعددية في هكذا مسائل أمر ممكن وقد يكون مطلوباً أحياناً، ولكن لا ننسى أنه عندنا مسائل كالرياضيات والفيزياء والهندسة وأمثال ذلك ليس لها إلا نتيجة واحدة ، ولا يتصور أن يكون لها نتائج متعددة ، فعلى سبيل المثال 2×2 في الرياضيات تساوي ٤ لا أكثر ولا أقل ؛ وفي الهندسة برهن على أن مجموع زوايا المثلث يساوي 180° درجة ولا توجد نتيجة أخرى ؛ وقد ثبت في الفيزياء أن المسافة التي يقطعها الشيء المتحرك في زمان معين وبسرعة محددة ليس لها إلا نتيجة واحدة نحصل عليها من خلال هذه المعادلة $d = v.t$ فهل أحد يدعي أنه كما في السياسة والاقتصاد يوجد آراء متعددة ونظرات مختلفة ولا توجد نتيجة واحدة كذلك في مسألة 2×2 وأن كل رياضي يستطيع أن يعطي نتيجة غير نتيجة الرياضي الآخر ؟ ولا يخفى أنه من الممكن أن نجد في مسائل الرياضيات عدة حلول للمسألة ، وكل رياضي يعطي حلاً جديداً ، ولكن جميع هذه الحلول سوف توصل إلى نتيجة صحيحة واحدة ووجود عدة حلول بعيد عن بحثنا وهو وجود نتيجة صحيحة واحدة .

إذاً هناك في مجال المعارف البشرية مسائل ، من الممكن أن يكون لها عدة نتائج ، كما أنه هناك مسائل لا تحتمل أكثر من نتيجة واحدة ، ونحن نطرح سؤالاً أساسياً للقائل بالتعددية الدينية وهو : كيف حكمت بأن الدين من تلك المسائل التي لها أكثر من نتيجة واحدة ؟ وإذا قلت لنا أن الدين مثل السياسة والاقتصاد ، لها نتائج متعددة والتعدد مفيد ومطلوب لها ، قلنا لك في المقابل كلا ، إن الدين مثل الرياضيات والفيزياء ليس له إلا

نتيجة صحيحة واحدة ونحن نقول : إن السؤال عن الله «هل هو موجود أم لا؟» تماماً مثل المسألة (٢×٢) لا يوجد لها نتيجة صحيحة واحدة لا غير.

الدليل الثاني للتعدد:

يتمسك التعدديون لإثبات مدعاهم ببيان آخر ، فيهم يقولون : إن القضايا البشرية تنقسم إلى قسمين : قسم من القضايا حقيقي وواقعي ، وقسم آخر من القضايا اعتباري وجعلي ، أما القضايا الحقيقية فهي تلك المسائل التي لها نتيجة واحدة فقط ، وأما الأمور الجعلية والاعتبارية فهي تلك المسائل التي ليس لها أية حقيقة واقعية وراء الجعل والاعتبار وذوق الناس ، ولذا فهي تختلف باختلاف الاعتبار وباختلاف أذواق الناس والمجتمعات ، على خلاف القضايا الواقعية التي لا تتبع الذوق والاعتبار ، فإن مساحة هذه الغرفة مثلاً تبقى على ما هي عليه واقعا مهما تغيرت الأذواق والاعتبارات . كما أنه في القضايا الاعتبارية لا يستعملون أمثال هذه الألفاظ : أفضل وأسوأ ، حسن وقبيح ، صحيح وخطأ ، وإن كان لابد من استعمالها فأفضل لفظ هو أن نقول : كلها حسنة جيدة ، فإذا كان شخص يحب اللون الأخضر والثاني يحب اللون الأحمر ، فلا يحق لأحدهما أن يخطيء الآخر ، ويقول إن ذوقك قبيح وخطأ وأمثال ذلك ، بل الحق أن يقول : اللون الأخضر جميل وكذلك اللون الأحمر ؛ والنتيجة التي نستفيد منها هي أن القضايا الاعتبارية ليس لها نتيجة واحدة بل تحتمل عدة نتائج .

ويدعي التعدديون أن الدين والثقافة والقيم كلها من جملة القضايا الاعتبارية التي تتبع الذوق والجعل والاعتبار ، فكما أن الجواب عن «أي

لون أفضل» ؟ ليس واحداً ، وبتعبير أدق ؛ لا معنى لهكذا سؤال ، كذلك الأمر بالنسبة للجواب عن «أي دين أو ثقافة أو مجموعة من القيم أفضل أو أصح؟» فهو ليس جواباً واحداً ، وبتعبير أدق : لا معنى لهكذا سؤال ، وقبول زيد للإسلام أمر جيد وقبول عمرو للمسيحية جيد أيضاً . وإذا قال شخص : إن الله واحد فهذا صحيح ، وإذا قال آخر إن الله ثالث ثلاثة فصحيح أيضاً ؛ بل لو قال شخص : إن الله موجود ، وقال الثاني بأنه ليس بموجود فكل منهما على حقول وقوله صحيح ، فأنا أحب أن أصلي إلى الكعبة وأنت تحب أن تصلي إلى بيت المقدس ، ولا فرق في ذلك أبداً لأن كلا الأمرين حسن وجيد ، تماماً مثل رجلين أحدهما يحب هذا الطعام والثاني يحب الطعام الآخر ، ونفس الكلام يجري في مجال الدين ، فأنا أختار الإسلام وانت تختار البوذية مثلاً ولا ترجيح لأحدهما على الآخر ، ولا نزاع بينهما أيضاً ، حيث أن كلا الأمرين حسن .

وكذلك الأمر في مجال الثقافة فرفع الإصبع بشكل خاص في الثقافة الغربية علامة على الفوز والموفقية ، بينما نفس هذه الحركة في الثقافة الإيرانية علامة الفحش والإهانة ، ولا يمكن لنا أن نتهم الغربيين بهذا العمل حيث أن مجرد اعتبار وجعل فيما بينهم ، والأمور الدينية كالأمور الثقافية أمور اعتبارية وجعلية .

ويصطلح على هذه المسألة التي أشرنا إليها والتي يستدل بها التعدديون لتأييد التعددية الدينية باسم (النسبية في القيم) .

خلاصة البحث وتسلسله :

و خلاصة بحث النسبية في القيم هي : إن المسائل القيمية والأخلاقية

ليس لها حقيقة وراء الذوق والاعتبار ، تتفاوت بين الأفراد والمجتمعات المختلفة ، فكما أن المزاج في الطعام واللون يختلف من شخص إلى آخر ، كذلك الأمر في القيم والحسن والقيبح ، وكما أنه في اللون والطعام لا يوجد فيه جيد بشكل مطلق ، بل عند بعض جيد ومرغوب وعند آخرين رديء وغير مرغوب ، كذلك بالنسبة للقيم والمسائل الأخلاقية ، فهي عند بعض مطلوبة ومرغوب فيها وعند آخرين غير مرغوب فيها ، فالأمر يختلف من فرد إلى فرد ومن مجتمع إلى مجتمع آخر .

وأما تسلسل البحث فقد تقدم أن التعددين استدلوا أولاً بأنه : «كما أن التعددية مطلوبة ومفيدة في مجال الاقتصاد والسياسة وأمثالها ، كذلك نقول في مجال الدين بإمكان التعددية الدينية ومطلوبيتها» ، ونحن في مقام الجواب ، قلنا : إنه يوجد مسائل مثل الرياضيات والفيزياء ليس لها إلا نتيجة واحدة ، فلماذا لا تكون القضايا الدينية من قبيل الفيزياء والرياضيات ؟ ثم قلنا بأن التعددين جاؤوا بشاهد وببيان ثانٍ على مدعاهم وهو النسبية في القيم ، وجاؤوا ببعض الأمثلة للأدب والتقاليد الأخلاقية والاجتماعية ، وهم يريدون إثبات أن الصفة العامة للمسائل الأخلاقية والقيمية هي النسبية ، ويخلصون إلى هذه النتيجة وهي : أن الدين لكونه من المسائل القيمية فهو إذاً أمر نسبي .

الدليل الثالث لإثبات التعددية :

ويطرح التعدديون دعوى أكبر بكثير مما تقدم ألا وهي النسبية في جميع المعارف والمسائل البشرية ، وفي جميع المجالات ، وأنه لا تتحقق المعرفة من دون النسبية ، غاية الأمر أنّ النسبية تظهر بشكل واضح وجلي في بعض الموارد ويُصدّق بها الجميع بسهولة ، ولكن في بعض

الموارد الأخرى لا تكون بذلك الواضح ، فيظن الأشخاص العاديون أنهم وصلوا إلى معرفة مطلقة وثابتة ، وفي الحقيقة أنّ هناك نسبية فيما وصلوا إليه وقد خفيت عنهم . وهذا ما أشرت إليه في بداية هذا الحوار من أنّ حقيقة القول بالنسبية في المعرفة ليست إلّا مذهب الشك الجديد الذي ظهر قبل وبعد الميلاد بتيارات متعددة بين الفلاسفة والعلماء ، ولكن لم يكن بذلك القوة وتلك السعة ، ثم عاد اليوم ليظهر بكلّ قوة وشمولية ليكتسح أكثر المحافل العلمية والثقافية في العالم ، وصار فخر العالم هذه الأيام أن يقول عندي شك ، وصار أوضح علامة على سطحية تفكيره وقلة علمه ، أن يقول أنا أعلم أو أنا متيقن .

وإذا صارت جميع المعارف البشرية نسبية ؛ فلن يسلم الدين ولن تسلم المعرفة الدينية أبداً ، بل سوف يكونان أمرين نسبيين ومتغيّرين ، وبالتالي يمكن لنا القول أن في المجتمع (ألف) دين المسيحية جيد وحق ، وفي المجتمع (ب) دين الإسلام جيد وحق ، بل يمكن القول في مجتمع واحد بأن هذا الدين جيد وحق ، ثم إذا جاء زمان آخر تغيّر معه الدين وكان الدين الجديد أيضاً جيد وحق ؛ والحقيقة هي أن تكون المسألة نسبية بين زمان وزمان وبين مجتمع وآخر ، وهي بالنسبة لمجتمع شيء معيّن ، وبالنسبة لمجتمع آخر شيء آخر . والتعديون المسلمون - والأفضل أن نقول الذين يدعون الإسلام ظاهراً - يتمسكون بالآيات القرآنية لإثبات التعددية الدينية ، وأحياناً يتمسكون بالروايات وبيانات خطابية وبأشعار مولوي وحافظ العطار وغيرهم فيقولون : الكعبة والمسجد والكنيسة والمعبد مختلفة بحسب الظاهر ، ولكن كلها مظاهر لعبادة الله وكلها حقيقة واحدة .

أنت مقصودي من الكعبة والمعبد أنت مقصود وليس الكعبة والمعبد إلّا ذريعة إليك

فقد تبين أن البحث عن التعددية بدأ بالتعددية في المسائل الاجتماعية، ثم انتقل إلى النسبية في القيم ، ثم انتهى إلى النسبية المطلقة في جميع المعارف البشرية ، ومن الواضح أنه متى ما فرضت التعددية نفسها على الساحة ، لم يعد هناك داعٍ للتقيد بالإسلام والإمام والثورة والقيم كلها ، ويمكن توجيه أي عمل وأي اعتقاد وسلوك وأي فساد أخلاقي بسهولة . ولكي نوفي البحث حقه سنتعرض لكل واحدة من هذه المطالب بشكل دقيق بحثاً ونقداً إن شاء الله .

عوامل نشأة الفكر التعددي :

إن البواعث والدواعي العقلانية لنشأة الفكر التعددي من دون التعرض لذكر البواعث السياسية والنوايا السيئة وراء ذلك ، وقد يدعى في مقام نشأة هذا الفكر وجود باعثين منطقيين وعقلايين -ولو بنظرهم - على الأقل :

١ - العامل النفسي لنشأة الفكر التعددي :

إن العامل الأول لنشأة هذا الفكر عبارة عن عامل نفسي ، وتوضيح ذلك كما يلي :

يعيش الآن في العالم ما يقارب من ستة مليارات نسمة ، ولها أديانها ومذاهبها ومساكنها المختلفة ، وقد تعلقت كل فرقة بدين أو مذهب خاص ، بسبب ولادتها في تلك المنطقة الجغرافية أو ذلك البلد المعين ، أو بين تلك الجماعة من الأهل والأقارب الذين يعتقدون بذلك الدين أو المذهب الخاص ، فقبل الناس الدين الذي وجدوا عليه آباءهم والتزموا به ، ولم يضمروا أيّ عداً وأيّ حقد للأديان والمذاهب الأخرى ، ونحن إذا كنا

نعتقد بسموّ وأحقّيّة الدين الإسلامي ، وبضلالة بقية الأديان وخلود المتدينين بها في العذاب ؛ فينبغي علينا الالتفات إلى لازم اعتقادنا ، وهو أن الجنة الموعودة لن يدخلها سوى الشيعة الإثني عشري دون غيره من المسلمين ، وهذا يعني أن مائتي مليون نسمة فقط - وبشرط الإيمان والعمل الصالح - من مجموع سكان الأرض على حق ، وأما البقية وهم خمسة مليارات وثمانمائة مليون شخص على ضلال ومن أهل العذاب ، وهذا أمر لا يمكن تصديقه وقبوله من قبل العقل ، فلماذا يستحق العذاب هذا العدد الكبير ؟ وهل يعقل أنهم جميعاً بسطاء سذّج وقد اختاروا الدين المسيحي مثلاً وتمسّكوا والتزموا به لمجرّد تولّدهم في بلد مسيحي ؟ وما الذنب الذي ارتكبه حتى يستحقوا العذاب الإلهي ؟ هذا ، وإذا أضفنا إلى العدد الكبير المذكور بعض الشيعة ، من أصحاب الكبائر وأهل الفسق والفجور ، الذين يحكم بصحة اعتقادهم ، لكن سيعذبون بسبب ما قاموا به من أعمال ؛ كان الجميع من أهل النار ، وكما يقول المثل : (لم يبق إلاّ علي وحوضه) فلا يوجد من يسقيه علي عليه السلام من حوض الكوثر يوم القيامة .

وعلى هذا الأساس نرى هذه المسألة النفسية ، تلجّ على روحية الإنسان وتضغط على ذهنه ولا يمكن له تقبلها وتصورها ، فيضطر إلى القول بأن الجميع على حق ومن أهل الجنة ، فالشيعة وغيرهم على حق والإسلام وغيره على حق أيضاً ، بل لعل الكثير من غير المسلمين متمسكون بدينهم أكثر ممّا نرى عليه بعض المسلمين . ولكي يريح الإنسان نفسه من الاضطراب الروحي والنفسي جرّاء هذه المسألة ؛ يؤمن بفكرة تعدد الأديان وأنها كلها صحيحة وحقّة .

٢- العامل الاجتماعي لنشأة الفكر التعددي :

وأما العامل الثاني ، الذي يكون أحياناً سبباً لنشأة الفكر التعددي فهو عبارة عن عامل اجتماعي ، وتوضيح ذلك :

لقد شاهدنا على مرّ التاريخ حروباً كثيرة ومعارك متعددة ، ترجع إلى جذور دينية ومذهبية ، وحصل ما حصل من قتل ونهب وغارات وإبادات بسبب اختلاف الأديان والمذاهب فيما بينها ، وأكبر مثال على ذلك الحروب الصليبية المعروفة التي أدت إلى قتل آلاف المسلمين والمسيحيين ، وتدمير بلدان بأسرها وخسارة ثروات ضخمة ، وقد صرفت على ذلك أموال طائلة كان الأولى أن تصرف في عمارة البلدان وسعادة البشرية ، وكذلك نرى ما يجري في بريطانيا المتقدمة من صراعات دموية بين الكاثوليك والبروتستانت ، وما يحصل في الهند وباكستان وبعض الدول الأفريقية من صراعات مشابهة .

ونرى في مطلع القرن الواحد والعشرين حروباً ونزاعات بين الفرق والمذاهب ، لا تجرّ إلاّ الويل والثبور على أهلها ، ولا مبرّر لها سوى الاختلافات المذهبية ، مع أنه بالإمكان تفادي ذلك كله إذا ما قبلنا بأن الإسلام حقّ والمسيحية حقّ والشيعية والسنة والكاثوليك والبروتستانت وكل المذاهب والفرق على حقّ ، وترتفع الاختلافات البشعة عن المجتمع البشري .

ألا يستحق هذا المجتمع المتمدن أن يحل فيه الصلح والوئام بدل أن تلعب به الأهواء الدينية والخصومات المذهبية والعقائدية ؟ فالحروب والنزاعات ليست من شأن إنسان هذا العصر ، فلندع مذهب الجزم والاعتقاد ولنحترم جميع الأديان ونعتبرها كلها على حق وصواب .

إذاً هناك عاملان عقلانيان غير العوامل والبواعث السياسية البغيضة،
يؤديان إلى ظهور فكرة التعددية الدينية :

الأول : عامل نفسي وهو أننا لا نقبل بذهاب جميع الناس إلى الجحيم .
والثاني : عامل اجتماعي يهدف إلى تجنب الحروب والصراعات .
وفي مقام الرد على هذين العاملين لابد أن نطرح السؤال التالي وهو :
هل الحل الوحيد لرفع الحروب الدينية والاختلافات المذهبية القول ، بأن
كل الأديان على صواب ؟

وهل الحل الوحيد لرفع مشكلة «العامل النفسي» - وعدم القدرة على
تصور دخول جميع الناس إلى النار ، لمجرد عدم معرفتهم بالطريق
الصحيح - هو القول بالتعددية الدينية ، وصوابية التوحيد والتثليث
وعبادة الأصنام معاً ؟

تقويم العامل النفسي للفكر التعددي :

أما بالنسبة للعامل النفسي وهو أن جميع الناس - ما عدا المسلمين
الشيعية الإثني عشرية - من أهل النار فنقول :

إن هذا الأمر غير صحيح أبداً والإسلام لا يرتضيه ، ومع كوننا نعتقد
أن المذهب الحق واحد لا غير ؛ لكننا لا نقول بذهاب جميع الناس إلى
جهنم، بل خصوص أهل التحدي والعناد ؛ فبعض الناس لم يتعرّف على
الدين الحق لسبب من الأسباب ، وبعض آخر تعرّف عليه ولكن لبغضه
له أو لعدائه لم يقبل الإسلام ، ومن البديهي أن يكون حكم الجاهل
مختلفاً عن حكم العالم المعاند ، وهذا البحث مطروح في مسألة
المستضعف الفكري والجاهل القاصر وهو بحث فقهي كلامي لا بأس

بتوضيحه الآن :

فاصطلاح المستضعف يُطلق ويراد به أحياناً ذلك الشخص الذي وقع تحت سيطرة الظالمين وحرموه من حقوقه الطبيعية ، وهذا اصطلاح يطرح في المباحث الاجتماعية ؛ وهناك اصطلاح آخر للمستضعف يستعمل في علم الكلام وهو : الشخص الذي لم يصل إلى الطريق الصحيح بسبب قلة اطلاعه ومعرفته . ولقلة المعرفة أسباب متعددة نذكر منها ثلاثة فقط :

أ - شخص لم يسمع بالإسلام أصلاً ، وهذا سبب لعدم اطلاعه على النهج الحق .

ب - شخص سمع باسم الإسلام ولكن يعجز عن إدراك أدلته لضعف في قواه المعرفية .

ج - شخص قادر على فهم هذه الأدلة لكنه يعيش في مجتمع تطرح فيه شبهات كثيرة ضد الإسلام وهو لا يقدر على الردّ عليها ، ولا يجد من يرجع إليه في حلّها ؛ وهناك عوامل كثيرة أخرى لا مجال لذكرها .

والجهل بالحق تارة يكون جهلاً عن تقصير وطوراً يكون جهلاً عن قصور ، عليه فالجاهل على قسمين : جاهل قاصر وجاهل مقصّر .

أما الجاهل المقصّر فهو الذي لم يتحرك ولم ينبعث لطلب المعرفة رغم ما لديه من إمكانيات فكرية وعلمية .

وأما الجاهل القاصر فهو الشخص الذي لا يستطيع الوصول إلى الحق ولا على تشخيص الحقيقة .

فإذن يوجد عندنا ثلاث مجموعات من الأشخاص :

١ - أشخاص يعرفون الحق ولا يتبعونه إمّا تعصباً أو عداً أو لأي

سبب آخر وهم المعاندون .

٢- أشخاص لا يعرفون الحق ولكن يتيسر لهم معرفته بسهولة لتوفر جميع الإمكانيات لديهم وهم المقصرون .

٣- أشخاص لا يعرفون الحق ولا يستطيعون التعرف عليه أبداً وهم القاصرون .

وأما حكم هذه المجموعات من الوجهة الإسلامية فهو واضح بالنسبة للمجموعة الأولى وأنهم مخلصون في النار أبداً ، وأما بالنسبة للجاهل المقصّر فيتعذب في النار على قدر تقصيره ، ومن الممكن أن لا يخلد في العذاب . وأما الجاهل القاصر ، والذي سيكون من أفراد المستضعف الفكري ، فله معاملة خاصّة يوم القيامة كما ورد في بعض الروايات ، بحيث أنه لا يذهب إلى النار مباشرة كالمعاند ومن دون أي مقدمة أو أي اختبار . وعلى هذا الأساس لا يوجد أي تلازم وتربط بين القول بأن «دين الحق واحد في العالم لا غير» وبين القول بأن «أكثر أهل الأرض من أهل العذاب» .

تقويم العامل الاجتماعي للفكر التعددي :

وأما بالنسبة للعامل الاجتماعي الذي كان يقول : إن الحروب والدمار ينشأان من الاختلافات الدينية والمذهبية نقول : إننا لا نرضى للأديان والمذاهب والفرق أن يقع بينها الحروب والنزاعات بسبب الاختلافات الاعتقادية والمذهبية ، وعليهم أن يعيشوا بوثام وسلام إلى جنب بعضهم البعض ، ولكن هذا لا يعني أننا نقبل بأحقية وصحة جميع الأديان ، وبكون التعددية هي الحل الوحيد لرفع الاختلافات ، بل هناك

حلول أخرى قد تعرّض الإسلام لذكر واحد منها .

فالإسلام من الناحية النظرية يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى الجدل العلمي في المسائل الاعتقادية ﴿وجادلهم بالتّي هي أحسن﴾^(١) . وأمّا من الناحية العملية فقد قسّم تعامل المسلمين مع غيرهم إلى ثلاث مجموعات :

أ - التعامل مع أتباع الديانات التوحيدية والسماوية : فقد فرض الإسلام على المسلمين تعاملًا خاصًا ومدارةً شديدةً لأتباع الديانات السماوية ، كالمسيحية واليهودية والزرادشتية ، فإن لهذه الديانات أصولاً وجذوراً صحيحة رغم ما طرأ عليها من التحريفات ، فكل أموالهم وأرواحهم وأعراضهم محفوظة ، ويمكنهم العيش في المجتمع الإسلامي ، ويقومون بطقوسهم الدينية ، بحيث يكون لهم كنائسهم ومعابدهم ، وتجرى معاملاتهم وزواجهم وطلاقهم على طبق أحكام دينهم ، وأمّا بالنسبة للأموال التي تقدّم للدولة ، فالمسلمون يدفعون الخمس والزكاة ، ولكن هم لا يدفعون ذلك بل يدفعون الجزية ، وهي عبارة عن ضريبة يقدمونها للدولة الإسلامية إزاء ما تقدّم لهم من خدمات اجتماعية ، وما فرضته لهم من حقوق ، بحيث تكون أرواحهم وأعراضهم وأموالهم كلها محفوظة ، إضافة إلى ذلك لا نجد في كثير من الحقوق أيّ تفاوت أبداً بينهم وبين المسلمين ، وكلّ منّا يعرف كيف كانت ردّة فعل أمير المؤمنين وسيد العدالة علي بن أبي طالب عليه السلام ، عندما بلغه ظلم جنود معاوية عند غزوهم الأنبار واعتدائهم على مواطني غير مسلمة ، فانتزعوا حبلها وقلبها وقلاندها ورُغّتها ، فقال في ضمن كلامه :

«فلو إن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»^(١).

ب - التعامل مع الكفار المعاهدين : وهؤلاء مجموعة ثانية من غير المسلمين وفي نفس الوقت ليسوا أصحاب دين سماوي ، ولكن حصل بينهم وبين المسلمين معاهدة صلح ، فالإسلام وعلى طبق هذه المعاهدة يسمح لهم بمجاورة المسلمين ، بل والعيش داخل المجتمع الإسلامي أيضاً ، وتكون أرواحهم وأعراضهم وأموالهم كلها محفوظة ومصانة ، وأما بالنسبة لحقوقهم ومكانتهم فإنها ترجع إلى نوع المعاهدة الممضاة معهم ، وهي تختلف من معاهدة إلى أخرى .

ج - التعامل مع الكفار المحاربين : وهؤلاء مجموعة ثالثة من غير المسلمين وليسوا أصحاب ديانة سماوية ، وليسوا مستعدين لتوقيع أي معاهدة صلح مع المسلمين ، وإذا وقّعوا معاهدة ما ؛ فإنهم يتقضونها مبشرة ﴿لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة﴾^(٢) ، ولذا يأمر الإسلام بمحاربة هذه المجموعة الكافرة التي لم ترضَ بأيّ صلح ، ومع ذلك لا يرضى بإبادةها بشكل مطلق ، وإنما يأمر بمحاربتها إلى مرحلة يستطيع أن يصل معهم إلى حلّ صحيح ، ويتخلوا فيه عن الفتنة والتخليل والإفساد .

وبناء على هذا ، نرى أن الإسلام بالنسبة للتعامل مع غير المسلمين ، يأمر في المرحلة الأولى بالدعوة إلى البحث والحوار ، ليستطيعوا أن يصلوا إلى الحق عبر المنطق والاستدلال الصحيح ، فإذا لم يقبلوا الإسلام ينتقل إلى المرحلة الثانية وهي الدعوة إلى الصلح والمعاهدة والسلام لا الحرب والخصومة .

(١) خطبة الجهاد ٢٧٩ ص ٧٠ .

(٢) التوبة : ٨ .

نموذج تاريخي لتعامل الإسلام مع غير المسلمين :

من المناسب أن نشير إلى قصّة نصارى نجران مع الرسول الأكرم ﷺ ، تلك القصة المعروفة بقصة المباهلة ، حيث قام الرسول بمناظرة علمية معهم ، وتغلّب عليهم ، ولكن مع ذلك لم يقبلوا منه ، فأمره الله بدعوتهم للمباهلة ، فاتفقوا على أن يلتقوا بعد يوم ويسألوا الله إنزال عذابه على الضّال منهم ، ولكن عندما جاء اليوم الثاني ورأى نصارى نجران أن الرسول قد جاء مع أعزّ أناس لديه وهم ابنته فاطمة الزهراء وبعليها علي وولداها الحسن والحسين ﷺ ، تراجعوا ولم يقبلوا بالمباهلة ووافقوا على أن يدفعوا الجزية للحكومة الإسلامية .

إذاً فالقول بالتعددية وأن جميع الأديان والمذاهب والفرق على حق ، ليس هو الحل الوحيد للابتعاد عن الخلافات المذهبية والحروب الدينية ، بل إن هناك حلاً آخرى قدم لنا الإسلام حلاً منطقياً ومتقدماً للخلاص منها .

عودة إلى أصل البحث :

نعود إلى أصل البحث وإلى تحليل وتقويم أدلّة القول بالتعددية والردّ عليها ، وقبل البدء لا بأس بالتذكير بأن التعددية تطرح في مجالات مختلفة ، وما يهتمنا منها هو التعددية الدينية دون التعددية السياسية والاقتصادية مثلاً ، لأن صحة ذلك وسقمه يحتاج إلى بحث آخر .

ويحمل لواء التعددية في العصر الحاضر (جان هيك) وله في هذا المجال كتب وآثار مختلفة ، إلّا أنه لا يوجد تفسير واحد لمراذه من التعددية ، بل هناك عدة تفسيرات مختلفة يمكن لنا أن نشير على الأقل إلى ثلاثة منها :

التفسير الأول للتعددية الدينية :

وهو أن : «جميع الأديان عبارة عن خليط من الحق والباطل ، ولا يوجد بينها ما هو حق محض أو باطل محض» ، وقد قيل في بيان هذا التفسير : إننا لو نظرنا إلى جميع أديان العالم المختلفة ، فلن نجد ديناً كله حق وليس فيه باطل وكذا العكس ، إذ هناك الكثير من العناصر المشتركة بين الأديان ، مما يجعل أحد الأديان يقبل ما عند الدين الآخر من معتقدات أو قيم أو أحكام ، وعلى سبيل المثال : نلاحظ أن القرآن الكريم كتب على المسلمين عين مثل ما قد كُتب على اليهود والنصارى ، وقد صرح بذلك في مسألة القصاص^(١) ؛ كما أنه يمكن أن نجد عقائد باطلة ومسائل خرافية في جميع الأديان . ولأجل هذا نرى أن جميع الاعتقادات الحقّة والقيم الصحيحة الرفيعة ، والأحكام السامية ليست مجتمعة في دين واحد ، بل كل دين يشتمل على قسم من الحقيقة ، ولذا لا يتحتم على الشخص أن يلتزم بدين واحد فقط ، بل يمكن له أن يكون في نفس الوقت مسلماً ومسيحياً ويهودياً وبوذاً و ... وذلك عندما يعتقد ويلتزم بكل العناصر الحقّة الموجودة في كل دين ، فيمكن للشخص أن يجد في البوذية ، التي لا تعتقد بوجود الله ، عناصر إيجابية جيدة ، من قبيل هدوء الروح وتمركز القوى ، وعدم حبّ الدنيا وغير ذلك .

ونلاحظ أن في التفسير المذكور جانباً متطرفاً ، حيث يقول بأن خليط الحق والباطل الموجود في كل دين أوصلنا إلى حد لا يمكن تفضيل دين على آخر ، بل جعلها كلها على حدّ سواء . وأما إذا أردنا أن نجعل التفسير المذكور أكثر اعتدالاً ، فالأولى أن نقول : إن الأديان ليست على حدّ سواء ،

(١) المائدة : ٤٥ - ٤٨ .

بل تتفاوت درجات الحق والباطل فيها ، ممّا يجعل لأحدها مزية على البقية ، ولكن لا يوجد فضل ومزية مطلقة ، بل كل الأديان تحتوي على الجيد والرديء وفيها البالي والجديد .

تقويم هذا التفسير :

وفي مقام تقويم هذا التفسير نقول :

أولاً: إنّ كل منصف يستطيع بما لديه من معلومات إجمالية عن الأديان، أن يحكم بعدم التساوي بين الأديان وبوجود الترجيح والأفضلية لبعضها على الآخر ، لأننا نرى في بعض هذه الأديان طقوساً واعتقادات يخجل اللسان من لفظها ويستحي القلم من كتابتها؛ فهل يعقل أن نساوي بين دين عبدة الحيوان والبقر والكلاب وبين دين التوحيد وعبادة الله؟! وهل يعقل أن نمائل بين عبادة بعض الهنود للآلة التناسلية، وما يقومون به من أعمال بشعة للتداوي من العقم وبين الإسلام ومذهب النجاة الجامع للكمالات والأمر بعبادة الله الواحد؟ كلاً لا يعقل ذلك أبداً ، والقول بتساوي جميع الأديان في غاية الضعف والوهن ، وكذا لا يعقل القول بتساوي القيم وإمكان اختيار أيّ واحد منها إذ لا يقول بذلك من له عقل .

ثانياً: يستحيل قبول هذا القول ويُرفض بشدة خصوصاً عند من يعتقد بالقرآن والإسلام إذ لا يمكن قبول بعض القرآن وإنكار بعضه ، لأن إنكار بعض القرآن بمثابة إنكار القرآن كله ، ولا يكون الشخص مسلماً برفضه لبعض القرآن : ﴿ أفْتُؤْمِنُونَ ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب

وما الله بغافل عما تعملون ﴿١﴾ ، ويقول الكتاب العزيز في مكان آخر : ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ (٢) ونحن المسلمون نعتقد بأن كل ما أنزله الله لنا وبلغه رسوله من الإسلام والقرآن حق ، ولا يوجد فيه باطل ولا خرافة أبداً : ﴿وإنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...﴾ (٣) . وهذا لا ينافي وجود بعض العناصر الحقّة في بعض الأديان الأخرى ، وعلى سبيل المثال نذكر شعار الزرادشت المعروف «قول حسن ، فكر حسن ، عمل حسن» فإنه شعار جيد ولا أحد ينكره ، وكذلك توجد بعض المقولات الحقّة في المسيحية واليهودية والزرادشتية لما فيها من جذور إلهية ، رغم ما تعرضت له - بنظرنا - من التحريف والتزوير .

وما ذكرناه لا يعني أبداً أن الإسلام كبقية الأديان عبارة عن خليط من الحق والباطل ، ولا فرق بين كون الشخص مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو زرادشتياً ؛ بل نقول : بأن الإسلام والقرآن الذي أنزله الله بواسطة الرسول الأكرم حق مطلق ، ولا يشتمل على أيّ نحو من أنحاء الباطل والضلال .

التفسير الثاني للتعددية الدينية :

والتفسير الثاني الذي يمكن استفادته من كلمات حاملي لواء التعددية الدينية هو : «إن لجميع الأديان طرقاً متعددة توصل إلى حقيقة واحدة» ، وهذا التفسير يختلف عن التفسير الأول الذي كان يقول : «إن الحقائق قد

(١) البقرة : ٨٥ .

(٢) النساء : ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) فصلت : ٤١ - ٤٢ .

ورَّعت بين الأديان وكل دين يشتمل على قسم من الحقيقة» ، لأن هذا التفسير الجديد يعتبر أن الحقيقة شيء واحد لا أكثر ، وتوجد طرق متعددة للوصول إليها ، وهذه الطرق هي الأديان المختلفة ، كالعاصمة طهران التي لها عدة طرق توصل إليها ، والأشخاص يدخلون طهران إما من الشرق أو من الغرب أو من الجنوب أو من الشمال أو ... ، والإنسان إنما يطلب حقيقة واحدة لا غير ، ولكن يمكن له الوصول إليها عبر طرقها المختلفة كالإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو البوذية وغيرها من الأديان .

ويمكن أن يفرض لهذا التفسير أيضا اتجاهان : متطرف ومعتدل . أما الاتجاه المتطرف فإنه لا يرى تفاوتاً واختلافاً أبداً بين هذه الطرق الموصلة إلى الحقيقة ، بل كلها من الناحية الكمية والكيفية على حد سواء . أما الاتجاه المعتدل فهو يرى اختلافاً كمياً وكيفياً بين هذه الطرق الموصلة إلى حقيقة واحدة ، فبعضها طويل ومتعرج وبعضها قصير ومستقيم وهكذا ، فالإسلام مثلاً يوصل إلى الحقيقة بأسرع وقت وأقصر مسافة ، ولكن يمكن للملتزم بالمسيحية الوصول إلى الحقيقة أيضاً لا أنها ممتنعة عنه .

ويتمسك أصحاب هذا التفسير أحيانا بالتشبيهات والشعر وكلمات العرفاء ، وعلى سبيل المثال يذكرون شعر الشيخ البهائي عليه السلام :

إنما أذهب فلا أبري في البيت أشعة غيرك وأي باب أطرقه كان صاحب البيت هو أنت
أنت في الخمارة والدير محطاً للأفئدة أنت مقصودي من الكعبة والمعبد أنت
وليس المعبد والكعبة إلا نريفة إليك ^(١)

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية .

خلاصة الكلام عندهم أنه إذا كشفنا الغشاوة عن معين الفكر ؛ لما رأينا إلا صورة الحبيب مطبوعة في جميع الأرجاء ، في المسجد والكنيسة ، في المعبد والخمارة .

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكلُّ إلى ذاك الجمال يشير

تقويم التفسير الثاني للتعددية :

هل يمكن أن نقبل بهذا التفسير الثاني ، الذي يعتمد عليه أصحابه لإثبات التعددية الدينية ، ونقول : بأن جميع الأديان من إسلام ومسيحية ويهودية وغيرها توصل الإنسان إلى الحقيقة والسعادة والكمال ؟ والجواب على هذا السؤال يقع في مقامين : الأول مقام الثبوت والتصور ، والثاني مقام الإثبات والواقع .

ففي مقام الثبوت : يمكن تصوّر هذه الفرضية بأن نلاحظ دائرة يحيط بها من جميع الجهات إشعاعات مختلفة ، وتلتقي بنقطة واحدة في وسط تلك الدائرة .

وفي مقام الإثبات والواقع : فهل نستطيع إثبات أن الأديان الموجودة كلها طرق توصل إلى حقيقة واحدة ؟ والجواب هو النفي قطعاً عند المتأمل المنصف .

فالإسلام يطرح أول مسألة وهي التوحيد وأن الله واحد (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، وأما المسيحية فتقول حول نفس هذه المسألة (إن الله ثالث ثلاثة) وهم الأب والإبن وروح القدس ، وبعضٌ يقول : إن الرب الثالث هو مريم عليها السلام ، ويُعبر عن هذا الاعتقاد بالتثليث الذي حاربه القرآن الكريم بشدة ، واعتبر كل من يعتقد به كافراً ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب﴾

أليم^(١)، ولو لاحظنا تعبير القرآن الكريم لوجدناه يستنكر وبلهجة شديدة عقيدة المسيحيين الذين يعتقدون أن المسيح ابن الله وذلك في قوله : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ لقد جنتم شيئاً إذا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هذا^(٢)، فالاعتقاد بالتثليث وأن المسيح ابن الله اعتقاد فاسد للغاية ، يكاد يؤدّي إلى انهيار منظومة الوجود بأسرها ، وعلى هذا فهل يمكن أن نعتبر التثليث والتوحيد طريقتين موصولين إلى حقيقة واحدة ؟

وإذا تعرضنا لبعض الأحكام ؛ لرأينا أن الإسلام مثلاً يقول بحرمة لحم الخنزير ونجاسته بينما نجد المسيحية تقول : بأنه حلال وطاهر ولذيذ ، والإسلام يقول : إن المشروبات الكحولية محرّمة ومن عمل الشيطان ، بينما تقول المسيحية : بأن بعض هذه الكحول دم الله ، ويقومون في مراسم العشاء الرباني ، بغمس قطعة من الخبز في وعاء من الخمر ، ثم يأمرّون بأكلها ويقولون : إن هذه الخبزة عندما تمتزج مع الدماء تصبح دم الله ، فأبي عاقل رشيد بل أيّ ساذج يقول : إنّ هاتين الديانتين توصلان إلى نقطة واحدة وحقيقة فريدة رغم ما عليه من الاختلافات والتناقضات ؟ إذ الأول يقول : بأن الخمر رجس من عمل الشيطان ، والثاني يقول ما لم تشرب الخمر لا تصبح إلهياً ، ومع هذا ما انفكوا عن القول بأن كلاّ منهما يوصل إلى حقيقة واحدة !! وهذا كلام أقرب للخرافة والمهزلة منه إلى الحقيقة والواقعية ، فلماذا لا يعتبرون الشيطان والله على حدّ سواء ومن ثم يقولون : «إن مقصودي من الكعبة والمعبد هو أنت» ؟ والأكثر من ذلك عجباً إصرار البعض على اعتبار كل

(١) المائدة : ٧٢ .

(٢) مريم : ٨٨ - ٩٠ .

من هذه الأديان (صراطاً مستقيماً) موصلاً إلى تلك الحقيقة الواحدة على رغم ما فيها من التناقضات الواضحة !!

كيف يكون الإسلام القائل (بأن الله موجود) موصلاً إلى النتيجة التي توصل إليها البوذية القائلة (إن الله ليس بموجود) ؟ وكيف نقول بأن معاوية على حق والإمام عليّ على حق أيضاً ؟ وكيف نقول : إن كلاً من الإمام الحسين ويزيد على حق ؟!! إن كلاً منهما صراط مستقيم !! الأول يوصل إلى الشرق والثاني يوصل إلى الغرب ، ومع ذلك نرى الإصرار على أن أتباع أي طريق منهما يؤدّي إلى الحقيقة الواحدة . وكأني بالشاعر يقول :

أخاف أن لا تصل إلى الكعبة أيها الأعرابي فإن ما تسلكه هو الطريق إلى تركستان^(١)
وعلى هذا نرى أن التفسير الثاني للتعددية ليس إلّا شعراً وخيالاً ليس له حظّ من الحقيقة والواقعية أبداً ، وبطلانه أوضح من الشمس في رابعة النهار .

التفسير الثالث للتعددية الدينية :

التفسير الثالث للتعددية الدينية يبتني على أصل في علم المعرفة ، تكون على أساسه كل القضايا غير الحسية وغير التجريبية لا معنى لها ولا تقبل الإثبات ولا النفي ، ويبحث هذا الأصل بشكل مفصّل في علم المعرفة ، وأمّا ما يمكن توضيحه في هذا المجال فهو :
يقول البعض (وهم الوضعيون) في علم المعرفة : إن المعارف البشرية تنقسم بشكل كليّ إلى قسمين :

(١) أصل البيت في اللغة الفارسية .

أ - المعارف التي تخضع للتجربة الحسية المباشرة .

ب - المعارف التي لا تخضع للتجربة والحس .

أما أمثلة القسم الأول كقولنا : هذا المصباح مشتعل ، فإن هذه القضية تخضع للتجربة الحسية ، لأننا بكل سهولة نضغط على زر الكهرباء ، فتظلم الغرفة ثم نضغط ثانية عليه فتضيء من جديد ، كقولنا : النار محرقة ، فإن هذه القضية تجريبية حسية ، حيث يمكن لنا بسهولة أن نضع يدنا فوق النار لنصدق بصحتها ، وهذه المجموعة من القضايا والمعارف تجريبية وحسية نستطيع أن نقول : بأنها صادقة أو كاذبة ، صحيحة أو باطلة ، والطريق لإثبات ذلك هو التجربة والحس .

وأما القسم الثاني من المعارف البشرية التي لا تخضع للحس والتجربة ، ولا تقبل النفي ولا الإثبات ، فيرون أنها قضايا لا معنى لها ، أو أنها لا توصف بالصدق أو الكذب ولا بالصحة أو البطلان ، فلذا لا يمكن أن يصدر بحقها أي حكم .

ويعتبر الوضعيون المتطرفون هذه القضايا بلا معنى ، ومثلها مثل قولنا : «نور المصباح حامض» فكما أن هذه القضية لا معنى لها كذلك الأمر بالنسبة لجميع القضايا غير الحسية فهي لا معنى لها ، وأما النزاع في كون هذه القضايا صادقة أو كاذبة فإنه نزاع لا فائدة منه ، ولا فرق في اختيار أي واحد منها ، فلا فرق بين أن نقول : (الله واحد) وبين أن نقول (الله ثالث ثلاثة) ، لأنهما من الناحية القيمية على حد سواء ، حيث أنه لا قيمة ولا معنى لهما ، وكل هذه القضايا لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولا تحل لنا عقدة واحدة من مشاكل العيش والحياة .

أما الوضعيون الأكثر اعتدالاً . فلهم نظرهم الخاص بالنسبة للقضايا

غير الحسية وغير التجريبية وبحسب الاصطلاح «القضايا الميتافيزيقية» - ما وراء الطبيعة -، فهم يقولون: إن هذه القضايا لا معنى لها، وبما أن هذه القضايا لا تخضع للحس والتجربة فيدعون أنها لا تقبل الإثبات ولا النفي.

والنتيجة التي يؤدي إليها هذا المسلك هي الشك والنسبية، فالقضايا غير الحسية، ومن جملتها طبعاً القضايا الدينية، إما أنها لا توصف بالحق أو الباطل، وإما أن اتصافها بالحق أو الباطل، أو بالصدق أو الكذب يختلف باختلاف الأزمان والأفراد والمجتمعات، وكل هذه القضايا حق وباطل، صادقة وكاذبة بحسب الشخص أو الزمن أو المجتمع الذي نقيس عليه.

وقد يقال أحياناً أن المفاهيم القيمية، والتي توصف بالحسن والقبح، وترد عادة بلفظ ينبغي أو لا ينبغي، لا مجال لأن توصف بالصدق أو الكذب وبالحق أو الباطل، فأمثال هذه القضايا، القضية القائلة: (ينبغي أن تسود العدالة) و (لا ينبغي أن يسود الظلم) والقضية القائلة: (الصدق حسن) و (الكذب قبيح) كلها من مقولة الإحساس والذوق والعواطف وما شاكل ذلك. وهذه القضايا، وإن كان لها معنى في حدّ نفسها، إلا أنه لا يقام عليها الدليل ولا البرهان وتبقى غير محكمة وغير مبرهن عليها.

ويُرجع التفسير الثالث الاختلاف بين الأديان والقضايا الدينية إلى نوع الاختلاف بين اللون الأخضر والأحمر، الذي لا يمكن الإدعاء فيه بشكل مطلق أن هذا اللون قبيح وذاك الآخر جميل، بلا كلاهما جميل؛ أو أن نقول: إنه لا ينبغي النزاع في مثل هذه القضايا وكذا بين الأديان، لأنه لا يمكن معرفة واقعها على حقيقته في نفس الأمر ولا يمكن إقامة البرهان

على صحة أحدهما أو كذبه ، فالأولى أن نلتزم ونعتقد بأنها كلها مثل بعضها البعض ، وليس مهماً أبداً أيُّها نختار .

تقويم التفسير الثالث للتعددية الدينية :

وعندما نريد تقويم هذا التفسير نضطر للتعرض للأصل المطروح في علم المعرفة ، وابتداءً نواجه هذه الأسئلة :

١ - هل يُعتبر ما يدّعيه الوضعيون المتطرفون «من أن القضايا غير التجريبية قضايا لا معنى لها» صحيحاً ؟

٢ - هل أن القضايا المشتملة على المفاهيم القيمية - من قبيل الحسن والقبح ، وينبغي ولا ينبغي - لا تتصف بالصدق والكذب ، ولا مجال للبحث عن الحق والباطل فيها ؟

٣ - هل أن المعارف البشرية ، القيمية منها وغير القيمية كلها نسبية ولا توجد قضية ثابتة ويقينية ؟ أو أنه يمكن أن نجد بعض القضايا اليقينية في مجال القيميات وفي مجال الواقعيات الموجودة ؟

٤ - بالنسبة للمعرفة الدينية ، هل توجد معرفة دينية ثابتة ويقينية ومطلقة ؟ أو أن جميع المعارف الدينية تتبع قراءاتنا للمتون والنصوص الدينية ؟ وهذا هو البحث المعروف باسم الهرمنوطيقا وتفسيرها للنصوص الدينية .

وقبل دراسة وتقويم التفسير الثالث للتعددية الدينية ، ومدى صحته وسقمه ؛ لابد لنا من الإجابة على هذه الأسئلة المعرفية ، وبعد اتضاحنا تتبين قيمة هذا التفسير ، وذلك ما سيكون موضوع الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى .

فهم النص

«عرض ونقد»

القراءات المختلفة للدين

✽ السيد هاشم الهاشمي

ذكرنا أن لهذه الآراء حول الهرمنيوطيقا وخاصة الفلسفية منها وآراء هيدجر غادامر ، وكذلك بعض الآراء حول نسبية الحقيقة والفهم ، والتعددية الدينية ، كان لها تأثيرها في نظرية أخذت تشيع في بعض الأوساط حتى الإسلامية ، وهي (إمكان القراءات المختلفة للدين ، أو النص الديني) ، ولذلك من الجدير تقويم هذه النظرية .

وقبل البحث عن ذلك ، يجدر إلقاء نظرة عابرة حول تعريفها.

أن المراد من الدين في قولهم (القراءات المختلفة للدين) هو النص الديني ، الأعم من القول والفعل والتقارير وسيرة أئمة الدين ، والمراد من



تعدد القراءات تعدد التفسيرات والتلقيات للنص الديني .

وبما أن الثقافة الإسلامية بخاصة ، مقتبسة من النصوص الدينية ، لذلك ؛ فإن هذه الثقافة تدور حول (محورية النص) ، وللنص تأثيره الكبير فيها ، فكل نظرية تطرح حول فهم النص ، أو النص الديني ، يكون لها تأثيرها الكبير والمباشر في الثقافة الإسلامية .

وأن الآراء والنظريات في مجال الهرمنيوطيقا والنقد الأدبي ، ومناهج التفسير في علوم القرآن لها تأثيرها في هذا المجال ، ومما يلزم التأكيد عليه أن نظرية إمكان القراءات المختلفة للدين من معطيات الآراء الجديدة في الهرمنيوطيقا الحديثة .

والملاحظ أن وجود الاجتهادات والآراء والتفسيرات المختلفة للنصوص الدينية حقيقة واضحة لا يمكن إنكارها ، كما يلاحظ في اختلاف آراء الفقهاء والمفسرين والمتكلمين وأمثالهم ، وكما يلاحظ وجود هذه التعددية في الفهم والتفسير في مجال تفسير النصوص الأدبية من النثر والشعر .

بل يمكن القول بأن اختلاف الآراء والتفسيرات من الشروط اللازمة لتطور العلوم لذلك ربما يبرز هذا السؤال ، إذا تقبلنا وجود الاجتهادات والتفسيرات المختلفة ، حتى في النصوص الدينية كحقيقة واضحة ، وأصل موضوعي ، فلماذا اعتبرت من معطيات الهرمنيوطيقا الفلسفية ؟ ولماذا هذا التحسس بل النقد والرفض والمعارضة الشديدة لها من قبل أنصار المنهج التقليدي والصحيح في فهم النص ، ومن قبل بعض علماء الدين ، والمفكرين المتدينين ؟ وبالتالي ما هو السبب في وجود اختلاف القراءات للنص الواحد ، وهل يمكن التجرد عنها ؟

الفرق بين القراءات المختلفة المتطرفة والمعتدلة :

ولكن مما يلزم التأكيد عليه أن القراءات أو التفسيرات المختلفة عند علماء الإسلام تختلف عن القراءات المختلفة لأتباع هذه النظريات ، لذلك يرفض المسلمون هذه النظرية ، ونشير إلى الفرق بين هذين النوعين :
أ - إن علماء المسلمين يتقبلون اختلاف الآراء والاجتهادات والتفسيرات في نصوص ومجالات معينة ، مع اعترافهم بوجود الكثير من التفسيرات والنصوص الثابتة والضرورية والمتفق عليها ، وأن هناك نصوصا لا تقبل القراءات والتفسيرات المتعددة ، بينما أصحاب النظرية الحديثة يرون إمكان تقبل جميع النصوص للقراءات المختلفة حتى النصوص الدينية ، وفي مختلف المجالات ، لا يستثنى أي نص من إمكان القراءات المختلفة اللامتناهية ، وكلها صحيحة .

ب - إن علماء الإسلام وإن ذهبوا لامكان التفسيرات والآراء المتعددة في بعض النصوص ، ولكن يعترفون بأن الحق والواقع واحد ، وأن القراءة الصحيحة واحدة ، وهي الموصلة لقصد الشارع ومراده ، وأما اختلاف القراءات فإنها ناشئة عن غموض النص أو عوامل أخرى ، بينما أصحاب النظرية الحديثة ، فيرون بأن جميع القراءات صحيحة .

ج - إن علماء الإسلام يرون وجود معيار لتقويم وتمييز الفهم الصحيح عن الخاطئ في مجال التفسيرات المختلفة لبعض النصوص ، ويوجد منهج للتفسير له قواعد وأصول وحدود معينة ، وأما أصحاب النظرية الحديثة ، فلا يرون وجود معيار لتقويم الصحيح أو السقيم من التفسيرات ، لأنها كلها صحيحة ، ولا معنى لتقسيم التفسيرات لصحيحة وخاطئة ، مع جبرية الخضوع لقبليات المفسر أو مشروعية التفسير بالرأي ، ولا يوجد هناك منهج معين وقواعد وأصول محددة لعملية

التفسير ، بل للمفسرين الحرية الكاملة ، خضوعاً لقبليّاتهم في إبداع التفسيرات المختلفة اللامتناهية .

و - إن علماء الإسلام يؤمنون بـ (محورية المؤلف) ويبحثون عن قصد الشارع المقدس ومراده من النص الديني ، من الكتاب والسنة ، لأن السعادة أو الشقاء الأبدي يترتب على معرفته ، ويلزم تجنب التفسير بالرأي وفرض المفسر قبلياته وقناعاته وأحكامه المسبقة على النص ، ولا مبرر للقراءات المختلفة ، لأن قصد المؤلف أو الشارع المقدس واحد ، لا معاني لا متناهية متناقضة .

بينما أنصار النظرية الحديثة ، يتنكرون لدور المؤلف وقصده ، بل يؤكدون على (محورية المفسر) في عملية الفهم ، ويذهب بعضهم إلى (موت المؤلف) وقصده ، ولزوم تأثر المفسر بقبلياته ، ومعلوماته وتوقعاته وأحكامه المسبقة ، فكل تفسير هو تفسير بالرأي ، بالمعنى المصطلح له ، وليس التفسير والفهم إلا تركيب الأفقين ، ولا أهمية لقصد المؤلف ومراده ، وهذا نظير رأي المصوّبة الذين يقولون ، بأنه ليس للشارع المقدس أحكام واقعية ، وإنما أحكامه تابعة لآراء المجتهدين . (وغيرها من الفروق ، التي ربما ظهرت للقارئ من خلال ما ذكرناه حول الهرمنيوطيقا والإشكالات عليها) وبذلك نفسر العوامل التي دفعت علماء الإسلام والمتدينين لرفض هذه الآراء الحديثة حول فهم النص والقراءات المختلفة للنص الديني .

ومن خلال ذلك عرفنا الأساس العلمي لنظرية القراءات المختلفة ، وأنها تعتمد كثيراً على الهرمنيوطيقا الفلسفية كما ذكرنا ، بعض آرائها وأسسها ، أمثال الاعتماد على محورية المفسر وأفقه الفكري ، وفرض قبلياته على فهم النص ، وبذلك تكون جميع التفسيرات من التفسير

بالرأي ، بل لا يمكن للمفسر مهما بذل من جهد من تجنب التأثير بقبلياته خلال عملية الفهم . وأن فهم النص حاصل من نتيجة الحوار بين المفسر والنص ، كما وضحتاه ، وعلى ضوء هذا التصور فلا يبقى فهم ومعنى ثابت ونهائي للنص ، لأن الفهم يعتمد على عنصرين : النص والقارئ ، والنص وإن كان ثابتا ، ولكن العنصر الآخر وهو القارئ متغير دائما حسب الظروف ، وتغير الزمان والمكان ، لذلك فالتفسيرات للنص الواحد دائما متغيرة ومتعددة .

وهكذا يظهر أن الفرق الرئيس لهذه النظرية الحديثة عن المنهج الإسلامي ، هو أن المنهج الإسلامي يؤمن بوجود معنى واقعي للنص هو قصد الشارع المقدس ومراده ، ويبحث عن التوصل له بينما تنكره هذه النظرية .

والملاحظ أن القول بعدم الأهمية لقصد المؤلف في عملية تفسير النص لا تختص بالهرمنيوطيقا الفلسفية ، بل تذهب إليه بعض المذاهب والاتجاهات الأخرى ، كبعض اتجاهات النقد الأدبي ، والبنويون حيث يؤكدون على استقلالية معنى النص عن قصد المؤلف ومراده حين خلقه للنص أو العمل الفني ؛ لذلك لا مبرر للبحث عن قصده وحياته وظروفه .

إذن فالرأي الصحيح هو منهج التفسير والفهم الذي يبحث عن معرفة (قصد المؤلف) ، فإن التفسيرات المتعددة وإن كانت ممكنة ، ولكن الصحيح والحق منها هو مراد الشارع المقدس ، وليس لديه معان متعددة متناقضة ، ولا بد من وجود قواعد للتوصل للفهم الصحيح أو تقويم وتمييز الصحيح عن السقيم .

وبعد هذه المقدمة حول تعريف القراءات المختلفة للدين ، ومدى تأثرها بالآراء الحديثة في الهرمنيوطيقا الفلسفية وفهم النص ، نذكر

بعض الإشكالات عليها ، وهي تمثل أيضا إشكالات على نفس الهرمنيوطيقا وآراء غادامر ، وخاصة حسب التصور الإسلامي ورأيه في نصوصه .

١ - الفرق بين النصوص الدينية والأدبية : إذا كان مقصود هذه النظرية (إمكان) القراءات المختلفة في كل نص ، وخاصة لو لم نخضع لأساليب وقواعد معينة في تفسير النص ، بل أخذنا بالأهواء والظنون غير المعتمدة أيضاً ، فيمكن أن تكون للنص الواحد تفسيرات متعددة ، بل متناقضة فيمكن مثلاً في النصوص الدينية أن يفسرها بما يخالف حتى التعاليم والأحكام والمعتقدات ، الضرورية والقطعية ، فيما لو اعتمد في التفسير على الظنون والأهواء ، والعلة المستنبطة . أو مجرد تغير الزمان والمكان ، ونظرة الغرب والحداثة ، أو التأثير ببعض الآراء الغربية حول الدين ، وأن جوهر الدين متمثل بالتجربة الدينية ولا أهمية للشريعة والمعتقدات ، أو حصر الدين بالمبادئ الكلية . لا الأحكام العملية ، وأمثالها ، فيمكن على ضوءها القراءات المتعددة بل المتناقضة للنصوص الواضحة ، والتعاليم الضرورية والقطعية ، بل ربما إنكارها أو تبديلها ، فيفسر مثلاً نصوص وأحكام الحجاب والحدود والديات وسهام الإرث وحقوق الرجل والمرأة وأمثالها بتفسيرات أخرى غير معانيها الضرورية والواضحة عند جميع المسلمين ، وكما ذكر البعض بأن هذا الحكم (للمذكر مثل حظ الأنثيين) إنما كان يصلح للمجتمع الزراعي لا لعصرنا ، بل ربما بعضهم وسع هذه التعددية في التفسير ، حتى للعقائد الضرورية ، ففسر المعاد بحصول الخلاص للبشر في هذه الدنيا ولم يفسره بعالم الآخرة ، أو فسر التوحيد بالوحدة بين البشر أو فسر الله بوجود مادي .

ولكن إذا أمكن تقبل هذه النظرية في بعض النصوص والأعمال كالنص الأدبي والشعري، أو الأمثال السائرة أو العمل الفني، التي تعتمد على الذوق والإحساس بالجمال، وليس وراءها حقائق ثابتة غير العامل الذاتي أو الذوق، أو لا يطلب فيها فهم معيّن، أو تعاليم عملية أو اعتقادية معيّنة، ولا أهمية لقصد المؤلف فيها، بل المهم مشاعر القارئ أو المشاهد، وما تخطر فيه من إichاءات، ربما اختلفت حسب الزمان والمكان والأفراد، ولا تطالب بمعرفة قصد المؤلف وفهمه أو فهم غيره من القراء.

ولكن هناك نصوصاً وأعمالاً، يلزم فيها التعرف على قصد المؤلف وفهمه، كالنصوص الدينية، كنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فإنه لا بد من معرفة قصد الشارع المقدس، وذلك لأن للإسلام معتقدات وأحكاماً معيّنة، تهدف سعادة البشر أنزلها الله لطفاً بهم، يطالبهم بالتعرف عليها، والالتزام بها عقائدياً وعملياً، دون أن يخضعوا في ذلك للظنون والأهواء، أو قنلياتهم، وإلا كان الشارع المقدس يأمر بقنليات البشر وأهوائهم، لا بتعاليمه المقدسة؛ ويجب على الإنسان أن يتجرد عن قنلياته لمعرفة تعاليم السماء. وقد ذكرنا أن أدلة النهي عن الظن والتفسير بالرأي تشمل أيضاً أمثال هذه القراءات والآراء الجديدة حول النصوص الدينية الواضحة وحول الأحكام والعقائد الدينية الضرورية والاتفاقية، حيث تحاول إنكارها أو التشكيك فيها أو تبديلها، أو تفسيرها بتفسيرات تختلف عن معانيها الضرورية والاتفاقية.

٢- أنواع النصوص والأحكام الدينية: ذكرنا في المقالات السابقة أن النصوص وأحكام الإسلام على قسمين:

أ- قطعية نصوص السند والدلالة، وتعاليم من أحكام وعقائد

ضرورية وقطعية ومسلّمة واتفاقية ، وهي لا تقبل الاجتهادات والقراءات المختلفة من حيث القبول والإنكار ، أو تأثير الخلفيات الثقافية بالنسبة للمعتقد بالإسلام كالتوحيد أو وجوب الصلاة . فلا يمكن القول بأن من ينكرها يصح رأيه أو تفسيره ، بل أنه سيكون خارجاً عن الإسلام أو مرتدّاً في شروط معيّنة .

فهناك الكثير من النصوص الإسلامية ، كآليات والروايات صريحة في معناها ، وكل من يعرف اللغة وقواعدها ، واتباع الأساليب المعتمدة ، يفهم منها معاني قطعية ، لا تخضع لقبليات القارئ كآليات التي تحكم بوجوب الصلاة ، أو قطع يد السارق ، أو حكم الزاني والزانية وأمثالها ، فليست جميع النصوص تقبل التفسيرات المختلفة ، بل الكثير منها صريحة ، اتفاقية في الفهم والتفسير ، إذا اعتمدت الأساليب المعتمدة ، كما اتفق عليها جميع علماء الإسلام أو الإمامية . وخاصة بعد ثبوت ضرورة الكثير من التعاليم الإسلامية وقطيعتها واتفاقيتها ، من السنة وسيرة الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام والمسلمين .

ومثل هذه النصوص والتعاليم تشكل أكثر النصوص والتعاليم الإسلامية . وهناك معتقدات ضرورية وهي أصول الدين ، لو أنكرها أحد؛ خرج عن الدين أو المذهب ، حتى لو كان معذوراً ، بأن كان عن جهل قصوري ، فمن ينكر التوحيد لا يسمّى مسلماً حتى لو كان عن جهل قصوري ، بينما هناك تعاليم ضرورية بل قطعية لو أنكرها مع استلزامها لتكذيب الرسول ﷺ خرج عن الإسلام أيضاً ، كما ذكر كل ذلك علماءنا حين بحثهم عن ضروري الدين والمذهب .

ومثل هذه التعاليم ثابتة ، لا تقبل التغيير من حيث القبول والإنكار ، وإن قبلته أحيانا من حيث التعمق في الفهم والاستدلال ، كما لو تعمق

فهمه وتطور استدلاله أو تعدد حول وجود الله وتوحيده ، أو ما يستوحيه من الصلاة والحج من مشاعر أكثر عمقاً في المعتقدات والأحكام ، فلا يمكن القول بأن التوحيد أو وجوب الصلاة يقبل الاجتهاد فتصح قراءة من ينكره أو يرفضه ، بل أن أمثال هؤلاء المنكرين ، والذين يحاولون الاجتهاد حسب الظنون والأهواء حول التعاليم الضرورية والقطعية ، يلزم إقناعهم أولاً بأصول الدين ليؤمنوا بضرورياته .

فالقول بعدم إمكان وجود المعرفة الدينية الثابتة ، وأن هناك اختلافاً دائماً بين المعرفة الدينية والدين نفسه ، غير صحيح ، فهناك فهم ثابت ومطلق ، للنصوص الإسلامية وتعاليم الإسلام ، كما ذكرنا في مجال النصوص الصريحة والتعاليم الضرورية والقطعية .

ب - وهناك بعض النصوص الدينية أو المجملة والمتشابهة ، وجد الخلاف فيها بين العلماء ، لعوامل سنذكرها ، بعضها مشروع وبعضها غير مشروعة ، كما أن هناك بعض الآراء والفتاوى والمسائل الخلافية بين العلماء ، ومثل هذه النصوص والمسائل تقبل الاجتهادات والآراء المختلفة ، سواء في الأحكام أو العقائد الجزئية ، كنوع عذاب القبر ، أو الصراط ، ولكن إنما يحق الاجتهاد والرأي من أهل الخبرة والتخصص ، كما هو الأمر في سائر العلوم ونصوصها ، مع اعتماد الأساليب المعتبرة والمشروعة في الاجتهاد ، ولكن مع اعتراف جميع المجتهدين المؤمنين مع اختلاف آرائهم واجتهاداتهم بأن الحق والواقع عند الله واحد ، ولكن المجتهدين قد يصيبون وقد يخطئون ، وفي حالة الخطأ مع اعتماد الأساليب الشرعية يكون المجتهد معذوراً . لذلك سمي علماء الإمامية بالمخطئة ، ولكن في خصوص هذه النصوص والأحكام .

وهذا هو الفرق بين علماء الإسلام ، وأصحاب القراءات المختلفة في

الدين من أنصار النظريات الجديدة ، حيث يذهبون لإمكان القراءات المختلفة في كل النصوص والتعاليم الدينية ، والقول بأن جميعها على حق وتمثل الواقع ، مع عدم الاعتماد على الطرق والأساليب المعينة أو الشرعية في القراءة والاجتهاد ، بل ربما اعتمدت الظنون غير المعتمدة ، ولا ينحصر عندهم حق الرأي في خصوص جماعة معينة ، ومن هنا يمكن القول بأنهم يقولون بالتصويب بصورة شاملة ، وهذا ما لا يقول به أحد من المسلمين ، في جميع مذاهبهم ، لأن الأشاعرة القائلين بالتصويب ، إنما يقولون به في قسم خاص ، وهو الأحكام التي لا نص فيها ، حيث ذهبوا إلى أن الأحكام الواقعية فيها تابعة لآراء المجتهدين ، ولا يقولون بهذا التصويب في جميع الأحكام^(١) . وإن كنا نرفض هذا الرأي للأشاعرة ، للأدلة الدالة على إكمال الشريعة ، وأن الأحكام مشتركة بين العالم والجاهل ، وأن لله في كل واقعة حكماً قد يصيبه المجتهد وقد يخطئه ، وخاصة إذا اعتمد في ما لا نص فيه على بعض الظنون والأدلة غير المعتمدة ، وغير الشرعية ، ولكن الأشاعرة يقولون بالتصويب في قسم معين ، وأما أصحاب النظريات الحديثة يقولون بالتصويب في جميع النصوص والآراء والتفسيرات والأحكام ، وأن الحق والواقع يتعدد بعددها ، وهذا ما لا يقول به مسلم .

ولكن هناك بعض المتأثرين بأمثال هذه النظريات في فهم النص والتعددية الدينية وأمثالها ، يحاولون القول بمشروعية التغير حتى في الأحكام والمعتقدات الضرورية واليقينية كما في إلغاء الحجاب أو الحدود والديات أو سهام الإرث وأمثالها ، وذلك من خلال مشروعية جميع القراءات المختلفة للدين ونصوصه ، وإن اعتمدت على الظنون غير

المعتبرة ، فيفسر الحجاب بالعفاف قليلاً مثلاً ، ولعل ذلك نشأ من ضعف الثقافة الإسلامية والاقتصار على الثقافة الغربية ، وقياس الإسلام ونصوصه على غيره من الأديان ونصوصه ، أو القول بتاريخية الشريعة حتى ثوابتها ، مع أن للإسلام تعاليمه الثابتة المناسبة لإطروحته وأهدافه في سعادة البشر في الدنيا والآخرة ، ولكل زمان ومكان ، يدل على ثباته عدم نسخه ، ولا تتغير بأهواء البعض وأذواقهم وظنونهم ، أو لمجرد تغير الزمان والمكان ، فإن على البشر أن يخضعوا لتعاليم الله ﷻ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض .

٣- إن القول بنظرية القراءات المختلفة للدين والنصوص الدينية ومشروعيتها بمعناها الشامل بالتفسير الذي ذكرناه ، يعني القول بمشروعية تغير الشريعة ، حسب الزمان والمكان ، وأن جميع المذاهب والتيارات على حق ، مع ما في بعضها من نسخ وتحريف وأحكام ومعتقدات باطلة بل هدامة للفرد والجمع ، وأن جميع الآراء والتفسيرات للنصوص على حق والإسلام لا يوافق ذلك .

وقد ذكرنا في المقالات السابقة ، أن هناك من يدعو إلى تغير الشريعة ، حتى في بعض تعاليمها الضرورية والقطعية ، أو لأن الأحكام الإسلامية يلزم أن تلائم أهدافها ، فتغير الأحكام حسب ما تتصوره من الأهداف والمبادئ ، ونظنه من موافقة الأحكام لها وعدم موافقتها وغيرها من مجالات الاعتماد على الظنون غير المعتبرة وأمثالها ، بل ربما ذهبوا إلى أن الرسول ﷺ لو بعث في زماننا ؛ لتغيرت الشريعة ، وأمثالها ، ولعل من أسس هذه الآراء ما ذكرناه من نظريات في التعددية الدينية ، وبعض نظريات فهم النص الحديثة .

ولكن ذكرنا أننا نعترف بوجود مجالات للتغير في الأحكام ، فقد

ذكرنا بعضاً منها في المقالات السابقة ، كما نعترف بوجود اختلاف آراء العلماء في بعض النصوص والأحكام . ومن مجالات التغير تأثير العناوين الثانوية والتزامم والأحكام الولائية التي يسمح فيها لولي الأمر من جعل حكم ولكن في منطقة الفراغ ، وقد فسرناها في تلك المقالات ولا حاجة لإعادة هذه الأقسام ، وسنذكرها بإيجاز في مقال التعددية الدينية ، وكذلك قد يحصل التغير في تطبيقات الأحكام الثابتة ومصاديقها كتغيير أساليب الجهاد وأسلحته ، وغير ذلك من مجالات التغير التي ذكرناها^(١) . ولكن هناك الكثير من الأحكام الثابتة ، التي لا تقبل التغير ويمكن أن يستدل على ذلك :

أ - إن صدور الأحكام من الشارع المقدس مع عدم نسخها ، دليل على ثباتها ، لأن التشريع والنسخ يختص بالشارع المقدس ، لما ذكرناه من عوامل القصور في البشر ، وما ذكر من إمكان تغير الشريعة ، وحتى بعض أحكامها الضرورية الثابتة فهذا يعني إمكان النسخ من البشر .

ب - قد جعل الإسلام أحكامه وتعاليمه بصورة تتلاءم وأطروحاته لسعادة البشرية ، فعدم تصور البعض لعدم جدوى الحجاب أو سهام الإرث وأمثالها ، حسب نظره القاصر ، أو أنه لا يتلاءم وأهداف الإسلام ، مما يرفضه ثبات الحكم مع عدم نسخه ، وترفضه أهداف الإسلام ، الذي جعل أحكامه الثابتة بما تحقق سعادة البشرية إلى يوم القيامة ، وبالصورة التي تتلاءم وأهدافه ومبادئه الكلية .

ج - ثم كيف نجزم أن الحكم لا يلائم أطروحة الإسلام وأهدافه ، وهل يمكن الاعتماد في ذلك على الظنون والأذواق ، ثم ماهو البديل الذي نضعه بدلاً عن الحكم ، فمثلاً لو حذفنا سهام الإرث ، أو الحدود والديات ،

فما هو البديل لها ، إذ لا يمكن بقاء المال بلا وريث ، أو بقاء المجتمع بلا قوانين جزائية ، فهل القانون الجزائي الذي يضعه البشر أفضل مما وضعه الله ؟

ولعله لأجل ذلك ، نهى القرآن الكريم عن الظنون ، والتي يقصد بها خضوع الإنسان لأهوائه وقبلياته والأدلة غير العقلانية في أحكامه وعقائده ، وكذلك نهت الروايات عن التفسير بالرأي ، وهو فرض الإنسان لقناعاته وأحكامه المسبقة على النص وكذلك نهت عن اعتماد الظنون غير المعتمدة في تفسير النص أو استنباط الأحكام . وقد صرح القرآن الكريم : ﴿ لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ﴾ وسنذكر في مقال التعددية الدينية ما يلقي الأضواء على هذا الموضوع ، وقد ذكرنا في المقالات السابقة الكثير من الآراء المفيدة .

د - ومما يدل على ثبات الشريعة وبقاء أحكامها ، خاتمية الرسول ﷺ وشريعته ، ولا تنسخها شريعة نبي ، بصريح القرآن الكريم أنه ﷺ (خاتم النبيين) والأحاديث الشريفة ، وأنها من ضروريات الدين ، وقد وضع الشارع المقدس قواعد وأحكاماً كلية تعالج جميع المتغيرات والمستجدات في كل زمان ومكان ، منها قواعد العناوين الثانوية ، مثل (لا ضرر ولا ضرار) وأمثالها ، وهذا كله يدل على أن الشارع المقدس من خلال جعله للأحكام الثابتة دون نسخها ، قد جعل شريعته بصورة تلائم أهدافه لإصلاح البشرية وهدايتها وسعادتها في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة .

٤ - عوامل اختلاف الفقهاء والعلماء المسلمين : ربما يستدل أصحاب نظرية القراءات المختلفة للدين ، باختلاف الفقهاء والعلماء في آرائهم في الفقه والتفسير وعلم الكلام وغيرها من العلوم الإسلامية ، وهذا

الاختلاف حقيقة واضحة لا يمكن إنكارها .

ولكن ظهر مما ذكرنا بعض الأجوبة عن هذا الإشكال ، ونشير هنا إلى بعض الملاحظات التي تجيب عن هذا الإشكال :

أ - إن اختلاف الفقهاء أو العلماء في بعض المسائل الإسلامية ، ليس بمعنى القراءات المختلفة للدين ، كما تذهب إليه هذه النظرية ، بمعنى تعدد الحق والواقع بعدد الآراء والفتاوى ، أو بمعنى التصويب الشامل ، وذلك لأن جميع علماء المسلمين يعترفون أن الحق والواقع الإلهي الواقعي واحد ، يشترك به العالم والجاهل ، قد يصيبه المجتهد وقد لا يصيبه . والحكم الذي يتوصل إليه الفقيه حسب الطرق الشرعية المعتمدة حجة له ولمقلديه ، بحيث يكون معذورا في حالة مخالفته للواقع ، دون أن يكون حجة على الفقهاء الآخرين ومقلديهم ، والمعدورية غير تعدد الحق والواقع حسب تعدد الآراء .

ب - إن الاختلاف بين العلماء ليس في جميع النصوص والتعاليم الإسلامية ، وإنما في بعضها ، كما ذكرنا وهي النصوص الظنية والمجتملة والمسائل الخلافية ، ولكن هناك الكثير من النصوص صريحة واضحة المعنى معتبرة السند ، والكثير من التعاليم والأحكام ضرورية يقينية ، ثابتة ، لا مجال للاجتهادات المختلفة فيها ، بل ليس لها إلا قراءة واحدة ، بل ربما كان منكراً البعض منها خارجاً عن الإسلام أو منكراً للضروري كما وضّحناه .

إذن فالاختلاف في خصوص النصوص والأحكام الظنية والخلافية دون غيرها ، وهناك عوامل لهذا الاختلاف ، بعضها مشروعة وبعضها غير مشروعة ، وقبل استعراض هذه العوامل نشير إلى أن من مميزات مدرسة أهل البيت عليه السلام وعلمائها ، فتح باب (الاجتهاد) ، ولكن - وكما

ذكرنا- ليس في كل الأحكام والنصوص ، بل في بعضها مع اعتماد الطرق والأساليب المعتبرة حتى لو كانت ظنية، فلا يفرض فقيه رأيه على فقيه آخر ، ولا يقلده ، بل أن فقهاءنا يناقشون الآراء ويجددون ، ولا يجترّون تفسيرات الآخرين وآراءهم ، وكتبهم حافلة بالآراء الجديدة والمناقشات، مع محاولة الاستفادة من تجارب الآخرين وعلومهم ، بما لا يخالف مبادئ الإسلام وأحكامه ، بما يفيدهم في إثراء الفكر الإسلامي ، والفهم والاجتهاد الأكثر صواباً ، ولكن مع تقويمها وربما توصلوا لآراء جديدة في النحو واللغة والمنطق وأمثالها تختلف عن آراء أصحابها ، مع اعتراف منهم بأن الرأي أو الحكم الذي يستنبطونه من أمثال هذه النصوص حكم ظاهري ، قد يصيب الواقع وقد لا يصيبه ، وإن كان حجة له ولمقلديه دون غيرهم ، بحيث يكون معذورا عند المخالفة .

وبعد ذلك نستعرض بعض عوامل اختلاف الآراء والفتاوى بين العلماء ومجالاته :

١ - اختلاف العلماء في بعض النصوص والأحكام الظنية والخلافية ، في فهم الموضوع أو الحكم بما هو أوسع أو أضيق مما فهمه غيره ، بحيث يشمل أو لا يشمل الموضوع مصاديق أكثر ، أو الحكم موضوعات أكثر ، معتمداً في ذلك على الأدلة الشرعية المعتبرة ، فمثلاً اختلف في موضوع حرمة الاحتكار بخصوص الغلات الأربعة ، أو أوسع من ذلك . أو يعتمد على امتداد الحكم على اكتشاف العلة المنصوصة من النص ، أو اكتشاف بعض المفاهيم منه ، بما يشمل غيره ، وأمثالها .

٢ - سنذكره في مقال التعددية ، أن الموضوع الواحد قد يختلف حكمه ، بسبب اختلاف العناوين الطارئة عليه ، فالصدق قد يطرأ عليه عنوان هلاك المؤمن ، فيكون قبيحاً محرماً ، وبذلك يختلف عن حكمه بدون هذا

العنوان ، فربما كان سبب اختلاف الفقهاء لأجل اختلاف وجود العناوين الطارئة عليه ، ولعل من هذا القبيل ، ما ذكر حول الدم ، أن بيعه لم يكن جائزاً في السابق عند العلماء ، لأنه لم تكن له منفعة محللة مقصودة ، وأما في عصرنا ، فله مثل هذه المنفعة ، وهو استخدامه لعلاج المرضى ، وجواز البيع وعدمه يدور مدار وجود هذه المنفعة وعدمها ، وبذلك يتغير حكم الدم من حيث جواز البيع وعدمه .

وكذلك ما ذكرناه في مقالات سابقة ، أن الشارع جعل أحكامه للموضوعات الكلية ، فمثلاً في قوله تعالى ﴿أوفوا بالعقود﴾ فقد جعل وجوب الوفاء للعقد ، وهو موضوع كلي ، نأخذ معناه - أي العقد - من عصر نزول الآية الشريفة ، ولكن لا يتحدد حكمه وهو وجوب الوفاء بالمصاديق المعهودة في ذلك العصر ، بل يشمل المصاديق المستجدة فيما إذا لم يخالف الأحكام الإسلامية المسلمة كما لو استلزم العقد الضرر أو الربا ، فإذا وجد عقد جديد ، فيشملة الحكم ، إلا أن يخرج هذا الشيء الجديد عن مصداقيته للعقد ، ومن هنا ربما تظهر مصاديق جديدة للعقد لم تكن في السابق ، فيشملة حكم العقد ، بينما ليس للسابقين مثل هذا الحكم لعدم وجود مصداقه .

وربما اختلف العلماء في الفهم العرفي لهذا المصداق ، وهل أنه يشمله مفهوم العقد أم لا ، هل أنه مصداق للعقد أم لا ، أو أنه يستلزم مخالفة الأحكام الإسلامية ، أو ربما اختلفوا في أصل القاعدة ، وأن ﴿أوفوا بالعقود﴾ هل يختص بالمصاديق المعهودة في عصر الرسول ﷺ أو يشمل غيرها ، وبذلك يظهر الاختلاف ؟

٣- ربما يكتشف العلماء معلومات جديدة من القرآن والسنة ، غفل عنها السابقون . وربما وجدوا قرائن وروايات كانت موجودة ، ولكن لم

يتوجه إليها أو إلى دلالتها السابقون ، كما ذكره في روايات الاستصحاب . وكذلك ربما استفاد العلماء مما يحمله التطور العلمي ، وتجارب الآخرين ، من معلومات وآراء لها تأثيرها في عملية الفهم والاستنباط ، كما استفادوا من نظرية حساب الاحتمالات في بعض مسائل الفقه والأصول ، وأمثالها ، ولكن في الغالب أن هذه المعلومات الجديدة مما تؤدي إلى عمق الفهم وتطور الاستدلال ، لا إلى نفي الأحكام السابقة سواء في الأحكام القطعية أو الظنية المعتمدة ، وحتى لو أدت لذلك ، فإنها تختص في القليل من الأحكام والنصوص الظنية والخلافية ولا تشمل الضرورية والقطعية والاتفاقية .

٤- ربما كان السبب في الاختلاف ، إجمال بعض النصوص أو ألفاظها ، في معناها العرفي أو اللغوي ، مما يؤدي لاختلاف العلماء في تحديد موضوعها ، وحكمها ، كالاختلاف في معنى الصعيد والغناء أو الكعبين وأمثالها ، ولكن ، هذا أيضاً في موارد قليلة .

٥- وربما كان السبب اختلاف آراء العلماء في بعض القواعد الأصولية أو الفقهية أو الرجالية وأمثالها ، والتي تؤثر في استنباط الحكم من النصوص ، كما في اختلاف الآراء حول حجّة بعض الروايات وعدم حجّيتها ، فربما اعتبر البعض الشهرة جابرة لضعف الرواية ، وبعضهم ينكر ذلك ، أو يختلفون في تقويم بعض الرواة ، أو في تمييز النسخة الصحيحة عن غيرها ، أو في جريان البراءة في بعض المسائل كالشبهة التحريمية وعدم جريانها ، أو اعتبار بعض المفاهيم كمفهوم الوصف وعدمه ، أو في حدودها ومجالاتها ، هذه مما تؤثر في اختلاف الآراء والفتاوى .

٦- الاختلاف في الموضوعات التي يهتم بها الباحث ، ويحاول

دراستها من خلال النص ، وقد ذكرنا أن اختلاف كتب التفسير نشأ من اختلاف الموضوعات والمسائل أو الأسئلة التي يطرحها المفسر على القرآن الكريم ليتعرف على أجوبتها ، حسب اهتمام المفسر ، فربما يبحث المفسر عن رأي القرآن في بعض القضايا الاقتصادية أو السياسية ، دون أن يهتم أو يتنبه لها مفسر آخر ، وفي الواقع ليس هذا من الاختلاف في الآراء ، لأن الاختلاف يتضمن موضوعاً واحداً ، تختلف فيه الآراء ، وإنما هذا من اهتمام البعض بموضوعات وبحوث ، دون أن يهتم بها الآخر ، ولكن هذا السبب يدل على اختلاف المفسرين أو العلماء في الموضوعات التي يبحثون عنها .

وهناك عوامل أخرى لاختلاف العلماء ، يطول البحث لو بحثنا عنها بصورة موسعة ، وإنما نشير إليها إشارة عبارة فحسب ، فبعض هذه العوامل ربما كانت سلبية بل ومرضية أو متعمدة ، يلزم على الباحث تجنبها لأنها من التفسير بالرأي ، أو التفسير اعتماداً على الظنون غير المعتمدة أو أنها خاضعة لأهواء الباحث وأمثالها ، مع التأكيد بأنها حالات جزئية عند بعض الآراء والقليل من الباحثين ، ولكن يمكن التجرد الموضوعي عنها ، وخاصة مع التنبيه لها ، كما تجرد عنها الكثير من علمائنا ، فربما خضع البعض لقبلياته ، أو ظروفه الزمانية والمكانية في الاستنباط ، أو رغباته وميوله ، وأمثالها من المؤثرات ، مما يؤكد علمائنا على التجرد عنه مع إمكانه ، فيما لو توجه الفقيه إليها ، أو ذكر بها ، كما رأينا العلماء يتراجعون عن بعض آرائهم حين يكتشفون خطأها ، أو خضوعهم لبعض المؤثرات شعورياً أو لا شعورياً ، ونشير إلى بعض هذه العوامل بإيجاز ، لأجل التذكير بها فحسب والبعض منها سلبية يلزم تجنبها :

١- فربما كان السبب عدم استيعاب القواعد اللغوية والأدبية ، أو عدم الاهتمام بها . أو عدم الاستفادة من الأساليب العامة للكلام التي تشمل جميع المتكلمين . أو الخاصة ببعض المتكلمين ، كزعماء الأمم والأديان ، إذ ربما لهم أساليب خاصة في الكلام من استعمال الخاص أو المقيّد المنفصل أو الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتورية ، أو التقية ، وأمثالها ، مما لا يستعملها سائر المتكلمين ، لذلك لابد من معرفة قواعد الكلام وأساليبه العامة والخاصة ، من حمل المطلق أو العام على المقيّد والخاص ، أو معرفة جهة النص ، وأنه للتقية أو لبيان المراد الجدي ، وكذلك التعرف على الكثير من القواعد والأساليب التي توصل الباحث للمراد الاستعمالي أو الجدي ، وقد ذكرها علماؤنا في الكثير من بحوثهم ، وخاصة في الفقه والأصول والدراية والرجال ، والتزموا بها عمليا في بحوثهم ، ولكن ربما البعض لا يهتم أو لا يعترف بها ، ولذلك يقع في الكثير من الأخطاء ويؤدي لاختلافه مع غيره .

وفي رواياتنا يلاحظ ، التأكيد على ضرورة تعرّف الفقيه على هذه الأساليب العامة والخاصة ، وأنه لا يعد الفقيه فقيها حتى يعرف معاريض كلامهم ولحنه والبحث بتوسع في محله ، وأشرنا إليه في المقالات السابقة ، فراجع^(١) . وهذه كلها أساليب وطرق عقلائية وعرفية يستخدمها العقلاء في فهم أقوال عموم المتكلمين ، أو في فهم أمثال هذا المتكلم الخاص ، حيث أنه ليس للشارع طريقة أخرى في كلامه وتفهم مراده ، غير تلك الطرق العرفية والعقلائية .

٢- وربما اختلفت آراء العلماء والمفسرين في منهج التفسير ، لعوامل دفعتهم لذلك ، فيؤدي ذلك لاختلافهم في الفهم والرأي .

(١) رسالة الثقلين العدد ٢٢ : ٦٠ ، مفاهيم معاصرة في الميزان .

أ - فقد يعتمد المفسر على التفسير التجزيئي للقرآن الكريم ، لا الموضوعي ، مع أن التفسير الموضوعي أكثر اعتباراً ، بأن يلاحظ مجموع الآيات في الموضوع الواحد ، ويحاول تفسيرها ، بينما المفسر التجزيئي يلاحظ الآية الواحدة مستقلة عن سائر الآيات ، ويحاول تفسيرها ، لذلك ربما اختلف تفسيره عن المفسر الموضوعي .

ب - وربما اختلف المفسرون في مدى الاعتماد على العلوم الخارجة عن النص ، وهو يؤدي لاختلاف التفسيرات ، فالبعض يدعو لتفكيك القرآن الكريم والسنة الشريفة عن العلوم العقلية والفلسفية في مجال تفسيرها ، بينما البعض يؤكد في تفسيره للقرآن على الاعتماد أكثر على الأحاديث وظواهرها ، ولكن هناك من يعتمد على العقل والأدلة العقلية كالمعتزلة في التفسير ، لذلك رأينا بعض كتب التفسير اقتصرت على ذكر الأحاديث التي تفسر القرآن الكريم وبعضها اشتملت على الأدلة العقلية أو جمعت بينهما .

٣ - وربما لاحظ البعض في تفسيره للنص ظروف صدوره ، كما يلاحظ شأن نزول الآية ، وظروف صدور الرواية ، وبعضهم لا يلاحظها ، وهذا يؤثر كثيراً في اختلاف الفهم والتفسير ، فالسيد البروجردي يرى ضرورة دراسة ظروف صدور الرواية ، والآراء الشائعة آنذاك ، لأن الرواية ناظرة لها ، وربما توصل لتفسير يختلف كثيراً عن تفسير من لا يرى أهمية لدراسة ظروف الرواية ، فيتوصل إلى موضوع لحكم الرواية أوسع أو أضيق .

٤ - وربما اختلفت الآراء في نظرة المفسرين للغة النص وأسلوبه ، فبعضهم يرى بأن لغته عرفانية ، فيفهم منه معاني عرفانية باطنية ،

وبعضهم يرى بأن لغته لغوية أو عرفية ، فيكون له فهم آخر ، وهذا ما يلاحظ في تفسير البعض للآيات والأحاديث الشريفة .

٥- وربما لا يتوجه البعض للمعاني المجازية والكنائية التي يقصدها النص ، مع اعتماد الكاتب الأساليب البلاغية والأدبية ، كالكناية والمجاز كما هو في القرآن الكريم ، حيث إن من عناصر إعجازه بلاغته ، فلا يعبر عن مقاصده دائماً بالتعبيرات المباشرة .

٦- وربما نشأ الاختلاف من عدم التمييز بين الظهور الشخصي والنوعي أو الموضوعي العرفي للنص ، وقد ذكرنا الفرق بينهما في مقال سابق ، وأن الحجة هو الظهور النوعي لا الشخصي ، وأنه يمكن تحصيله ، وكيفية الوصول إليه^(١) ، ولكن ربما يشتبه الأمر على المفسر ، فيحصل في ذهنه ظهور من النص ، فيتوهم أنه ظهور عرفي ، مع أنه من الممكن أن يكون ظهوراً شخصياً وجد في ذهنه لبعض العوامل الشخصية المختصة به ، أدت إلى اختلاف فهمه وظهوره عن فهم غيره للنص ، وهذا يؤدي لاختلاف التفسير .

٧- وربما نشأ الاختلاف من اختلاف المصادر التي يعتمد عليها المفسرون . فالشيعة تعتمد روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام بينما بعض المذاهب الإسلامية لا تعتمد عليها ، وهذا يؤدي للاختلاف .

٨- وربما كان لبعض الأطماع والأهداف الدنيوية والشيطانية تأثيرها في حمل النصوص الإسلامية من الكتاب والسنة على بعض المعاني التي يتوصلون من خلالها لأطماعهم ، وبذلك ربما وجدت بعض التيارات والمذاهب اعتماداً على هذه التفسيرات ، فنلاحظ أن الأمويين شجّعوا

(١) رسالة الثقلين العدد ٣٢ : ٦٧ حول الدراسات المنهجية للعلوم الإسلامية .

المذاهب الجبرية والمرجئة تبريرا لممارساتهم ، وكذلك غيرهم من أصحاب الأطماع والتيارات المنحرفة .

وربما كانت هناك عوامل أخرى لاختلاف تفسيرات العلماء وآرائهم ، فبعضها سلبية ، وبعضها جزئية ضئيلة يمكن تجنبها .

وأخيراً نسؤكد ، أن الكثير من التفسيرات للنصوص والمسائل الإسلامية متفق عليها بين المسلمين ، وإنما الاختلاف في بعض النصوص والمسائل ، مع الاعتقاد بأن الحق والواقع واحد غير متعدد .

وأن هناك بعض الأساليب والعوامل المنحرفة الدخيلة في تفسير النصوص ، لم يتقبلها أكثر العلماء ، ولم يخضعوا لها في تفسيرهم ، ودعوا لتجنبها مع الإمكان .

المصادر :

اعتمدت في هذا المقال على مجموعة من الكتب والمقالات ، سواء في فهم الآراء أو ردّها ، ونقلت الكثير من نصوصها ، وأذكر هنا بعضها مما اعتمدته أكثر من غيره :

- ١ - تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي .
- ٢ - مباني معرفت ديني ، باللغة الفارسية ، محمد حسين زادة ، ١٣٧٩ ق م .
- ٣ - مدخل جديد إلى الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت . ١٩٧٥ .
- ٤ - تاريخ الفلسفة المعاصرة ، بوخينسكي ، مؤسسة الفرجاني ، الطبعة الأولى .

٤ - إشكاليات القرآن وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، الطبعة الخامسة ١٩٩٩. وقد اعتمدت هذا الكتاب في التعرف على النظريات الحديثة في الهرمنيوطيقا ونقلت بعض النصوص منه .

٥ - مدخل إلى الفلسفة ، الدكتور إمام عبد الفتاح إمام .

٦ - شريعت دراينه معرفت ، الشيخ عبد الله الجوادي الآملي .

٧ - خلاصة علم الأصول ، السيد هاشم الهاشمي ، مخطوط .

٨ - هرمينيوطيقا النص المقدس ، مجلة البحوث الإسلامية باللغة الفارسية العدد ١٥ - ١٦ .

٩ - ضروري الدين ، السيد هاشم الهاشمي ، مجلة رسالة الثقلين العدد ٣٦ .

١٠ - أنوار الوصول ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي .

١١ - مفاهيم معاصرة ، السيد هاشم الهاشمي ، مجلة رسالة الثقلين ، العدد ٣٣ .

١٢ - الهرمنيوطيقا ، المقتضيات والنتائج ، الدكتور أحمد البهشتي ،

قضايا إسلامية معاصرة .

١٣ - أصول الفلسفة ، السيد محمد حسين الطباطبائي .

١٤ - محاضرات في أصول الفقه ، تقارير السيد الخوئي .

١٥ - مدخل في علم الأصول ، السيد هاشم الهاشمي .

١٦ - حول الدراسات المنهجية للعلوم الإسلامية (في البحث عن

فلسفة الفقه ودلالة النصوص) السيد هاشم الهاشمي ، رسالة الثقلين ،

العدد ٣١ - ٣٢ .

١٧ - هرمنوتيك مدرن : مقالات في الهرمنيوطيقا المعاصرة -

لمجموعة من علماء الغرب (أمثال هيدجر وغادامر وريكور وفوكو

وغيرهم) - مترجمة إلى اللغة الفارسية .

السعادة كيف نجدها ؟

(٢)

✽ الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين)

طريق واصل :

كلما كبر الهدف تطلّب همة أكبر ، وجهداً أكثر ، وإرادة أقوى ، وعزماً أَمْضى ، والسعادة هي أكبر هدف لا تطرق على النَّاس أبواب منازلهم ليجدوا أنفسهم سعداء فجأة ، ومن دون جهد مبذول . إنما هي قَمّة بعيدة شامخة لا ترتفع إليها قَمّة ، والتسلّق إليها لا يصبر على كلفته إلّا قليل . ومع بذل الجهد ، وارتكاب النصب لا بد من التوفيق . وهو لمن سعى ، وكان في سعيه مخلصاً ، ولربه العظيم كادحاً قاصداً . ولن يجد الناس بديلاً عن منهج من صنّع الله يصوغ حياتهم ويربّيهم ويحكم علاقاتهم يقع طريقاً موصلاً للسعادة ، محققاً لهدف الحياة ، نائياً بها عن الأزمان العصبية ، والمشكلات الحادّة ، والانهيّارات الخطيرة ، والانقسامات المدمّرة .



الإسلام كتاباً وسُنَّةً ، أساساً عقيدياً وبُنِيَ فوقية تشريعية وغير تشريعية منهج متكامل متين رصين لا ثلثة فيه ، ولا إضافة تنقصه ، ولا تقادم زمن يُبليه ، ولا تطور حركة يسبقه ، وهو كفيل لو طُبِّق بفهم وأمانة أطروحة تامة بتحقيق السعادة للإنسان في معبره من الدنيا ، ومقرّه من الآخرة . ومن الجور على الإنسانية هذا التعطيل للإسلام وإقصاؤه وتجزئته ، ومن الجور على الإسلام والإنسان هذا التزوير الذي يتعرّض له دين الله في صور مختلفة منها أن يلبس ثوب غيره ، ويحمّل نظرات الأرض ، وقصور الصباغات الوضعية بخلطه بها وبتصوراتها وطروحاتها مما لا يلبث حتى يتعرى باطله وهزاله . ومن الجور على الإسلام كذلك أن يحوّل وهو مادة حركة وفاعلية وخلق ونشاط وبعث إلى مادة فكرية جامدة ميتة مترفة في صورة بحوث نظرية جدلية لا تلامس مشكلات الحياة ولا تؤسّس لحل قضاياها ومعالجة أوضاعها .

الإسلام يصوغ للحياة أوضاعها ويدفع بحركتها إلى الأمام ، ويُنمّي الإنسان ، ويحيي الأرض عوناً له على انطلاقته إلى الله بعقله وقلبه وروحه ، والأبعاد النورانية في وجوده ، وليس الإسلام لونا من ألوان الترف الفكري ، ولا صناعة جدل من جدل الفارغين ، ولا مجموعة من البحوث المحنّطة التي لا مكان لها إلا متاحف التاريخ الذي قد نستسه الحياة ، وتخلّصت منه على عمد .

والسعادة بمعناها العام ركائز مشتركة في منهج الإسلام ، لا يتم أي لون من ألوان السعادة بمنأى منها ، كما أن فيه ركائز خاصة يتطلبها بناء السعادة في جوهرها الحقّ ، وبمعناها الأخصّ ، وبعدها الكبير ، ومستواها المتقدم .

ولنقف عند هذين النوعين من المرتكزات :

أ - الركائز العامة :

هناك أسس ومرتكزات تحتاجها السعادة ؛ سعادة دنيا كانت أو آخرة ، فتخلف هذه الأسس يعني غياب السعادة والانقطاع دونها . والتعلق بطلب السعادة دون الأخذ بهذه الأسباب ضرب من الأمانى الفارغة ، والخيال الخاوي الذي لا غنى فيه ، بل ربما عاد على صاحبه بأقسى النتائج ، وأضر الآثار عندما يفيق على سراييته ، وفراغ الوفاض من عطاءات الأمل الكذوب .
وإليك بعض هذه الركائز :

١ - علم وعمل :

- ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (١) .
- ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ... ﴾ (٢) .
- ﴿ أن أعمل سابغات وقدّر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير ﴾ (٣) .
- « العلم يرشدك والعمل يبلغ بك الغاية » (٤) .
- « اعملوا بالعلم تسعدوا » (٥) .
- « إنكم إلى أعراب الأعمال أحوج منكم إلى أعراب الأقوال » (٦) .

العالم بصير مدرك يهتدي الطريق ، ويعرف الغاية ، ويجيد خطة الوصول ، ويبلغ النتائج . ومن لا يعلم يعمى الطريق ، ويجهل الغاية ، ولا يحسن الوسيلة ، وينقطع عن الهدف أو يزيغ عنه ، وغايات الآخرة

(١) الزمر : ٩ .

(٢) التوبة : ١٠٥ .

(٣) سبأ : ١١ .

(٤) ميزان الحكمة ٧ : ٨ عن غرر الحكم .

(٥) ميزان الحكمة ٤ : ٤٦٠ عن غرر الحكم .

(٦) ميزان الحكمة ٧ : ٧ عن غرر الحكم .

وبلوغها تحتاج إلى علم ، وغايات الدنيا وتحقيقها يحتاج إلى علم أيضاً .
والعلم المنتج هو ما اقترن به العمل واهتدى به . أمّا سراج بلا حركة
في ضوءه لا يبلغ بعطشان رياً ، ولا بجائع شعباً . ومن أعطى ظهره لنور
سراجهِ ؛ لم يبصر طريق سيره ، وأوقعته الظلمة في كبواتها ، وقادته
جهالته إلى خسران مبين . فالعمل يتطلب دائماً إرشاد العلم ، وبالعالم
يتوقّر على الإتقان الذي لا تتمّ بدونه النتائج ، ولا تستكمل الغايات . فالأمة
تأمر بعمل السابغات - الدروع الوسيعة - ولا تكتفي بذلك ، بل تضيف
التقدير في السرد - النسج - لهذه الدروع الحديدية ، بضبط حلقاتها ،
وإضفاء طابع الانسجام والتناسق بين أحجامها ومواقعها ؛ ليأتي النسج
متيناً جميلاً رائعاً . وهو شيء يستند إلى العلم والخبرة ومراعاتهما في
العمل .

وإذا كان الكلام بلا إعراب وهو من دونه بلا إتقان قد يشوّه المعاني ،
ويسيء إلى المراد ، فإن الأعمال حين لا تُعرب ، ولا تتقن ، ولا تأتي
مطابقة لقواعد العلم وضوابطه ، ليست أنها تقصر عن الغاية فحسب ،
وإنما قد تجرّ إلى المخاطر ، وتتسبب للشدائد والمزالق . والعمل الذي
يهدم ضاراً ، ويشيد نافعاً ، ويقوم معوّجاً ، ويضيف صالحاً هو ما انطلق
من العلم ، والتزم بمسائره ، ولم ينحدر عن خطّه كلّ الدرب ، وكل
الانطلاق .

إن المطلوب في ركيزة العلم والعمل وجود ثلاثي مترابط : علم ،
وعمل ، واقتران دائم بين العلم والعمل ؛ فلا علم لا يتبعه عمل ، ولا عمل
ينفصل عن علم ، فبالإضافة إلى العلم والعمل مطلوب دائماً تفعيل العلم ،
وعلمنة العمل . وللإسلام رؤية معرفية دقيقة ثابتة في ماهية وسائل
المعرفة الصحيحة ، والعلم الواصل يمنع أن يختلط بتلك الوسائل ما هو
وهم ، وخرافة ، ورؤى مريضة ، وخيالات كذوبة .

٢- بصيرة عملية :

﴿... فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾^(١).

﴿قد كانت لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾^(٢).
«السعيد من وعظ بغيره»^(٣).

تقدّم حياة الناس أفراداً وأمماً ومجتمعات ، وأحداث الأيام والسنين والقرون سجلاً من تجارب الإنسان ومواقفه الميدانية وعطاءاتها ونتائجها غير المنفصلة عن طبيعة تلك المواقف ، وخلفياتها ، وظروفها ونوع أخلاقيتها ، وتشابك العناصر المختلفة الداخلة في تكوين نسيجها ، والمؤثرة من قريب أو بعيد فيها .

وكثيراً ما يستنبط المطالعون المحلّون من المختصين ذوي الخبرة والتأمل مجموعة من القوانين الكلية ، والقواعد الشاملة ممّا يتصل بعالم النفس ، وعالم الاجتماع والسياسة والأخلاق والتحوّلات والاستبدال من تلك المادة المتراكمة . وهذا من البصيرة العلمية النظرية وصناعتها .

أمّا إقامة الخطى السلوكية ، والمواقف المستجدة العملية ، على ضوء المستخلص العلمي الدقيق ، والتأثيرات العميقة الثابتة لتلك التجارب والمواقف ، ولما بين البدايات والنهايات من علاقة العلية الميئنة المكيّنة ، والتحريك العملي في ضوء السنن الإلهية العامّة المدلول عليها بعطاءات تجارب الماضي والحاضر ممّا تهتدي إليه البصيرة العلمية والفكر المتدفّق فهو من البصيرة العملية التي يحتاجها الناس في ميادين التطبيق ومن الاعتبار ، والاستفادة الحياتية من العبر ، والتي تختلف عن دقّة

(١) الحشر : ٢ .

(٢) آل عمران : ١٣ .

(٣) ميزان الحكمة ٤ : ٤٥٩ ، البحار ١٠ : ٩٩ بزيادة : فأتعظ .

الفكر والنظر . ولك أن تقول : بأن البصيرة العملية حكمة ورشد في مقام الاختيار ، وانقضاء المواقف ؛ والتي قد يكون الفكر النظري قد قدّم دراسته بشأنها ، وما تنتهي إليه من نتائج . ومن أمثلة هذه الحالة ما يتحدّث به التاريخ عن عمر بن سعد قائد الجيش الأموي يوم كربلاء من وضوح طريق الآخرة والدنيا أمامه ، وفقده للرشد العملي أمام بريق الآمال الدنيوية القصيرة .

ومن فقد بصيرته العملية ، وقدرته على الاعتبار ، ورشد التطبيق قدّم : المهمّ على الأهمّ ، والضار على النافع سفهاً أو على علم ، وكأنّ بينه وبين ما قضى به نظرة ما بين السماء والأرض ، أو الحاجز السميكة الغليظ الذي لا تخترقه النوافذ . فليس عجيباً في حقّه أن يحلّ موقف عمر بن سعد ويلعن اختياره ، لكنه يشاركه الموقف وكأنه ينسى خسارة دينه وديناه .

٣- وزن الذات :

﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾^(١) .

﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾^(٢) .

« من حاسب نفسه سعد »^(٣) .

في ضوء الرصيد القطري الأصيل وهو نقّي صفيّ في ذات الإنسان ، وفي ضوء العقل والعلم وهما نور في حياته ، وفي ضوء هدي الدين وهو إشراقه الحقّ في داخله ، وفي ضوء الخبرات والتجارب ومعطيات دروس الكون والحياة ؛ على الإنسان أن يزن نفسه ليجد أين هي من

(١) القيامة : ٢ .

(٢) القيامة : ١٤ .

(٣)

موحيات هذه الأبعاد جميعاً ، وتأثيراتها ومقتضياتها ؟ إذ لا وزن بوزن ، ولا مقياسة ذات شأن بمنأى عن هذه المعايير وأسس التقييم . ولا قيمة لذات جانب فيما بنته من ذاتها ، وصاغته من محتوى فيها على الأيام كل هذه الجوانب .

فصاحب الدنيا يحتاج في صناعة نفسه ودنياه إلى هذه المعايير وتأثيراتها بقدر وآخر ؛ فإنه لو انسلخ بمحتواه عن كل ما يلتقي معها ، لم تسعه الحياة في مجتمعات الإنسان لبهيميته وشراسسته وشره .. وصاحب الآخرة يراها مجتمعة على مؤدى واحد ، وتقدم اراءه واحدة ، وتشير برأي متحد ليس للنفس وهي تطلب سعادتها إلا أن تأخذ به ، وتلتزم مساره ، وهو رأي لا تنتلم به مصلحة دنيا ولا دين ، ولا تضيق على طريقه قيمة بدن ولا روح . فلذات البدن ، ومتع الحياة مكفولة بما ينفع على هذا الطريق ، ورقى الروح وكمالها وأنسها ليس له طريق سالك غيره.

الفرد والجماعة والأمة بلا مراجعة للذات والأفكار والمشاعر والطرائق وخطى السلوك يحصل لهم الانفلات ، والمنفلت عن الصراط يبتلعه التيه ، ويشطّ في ضياع عن الغاية .

وأن يزن الإنسان نفسه ، فبردها إلى الخطّ بمقدار ما انحرفت ، ويعيد لها من وزنها بمقدار ما فقدت ، ويتقلّ منه بمقدار ما خفت ، ويدفع بها عوضاً عما قصرت وتخلّفت ؛ خير له من أن يهمل أمرها فتتفلّت حتى يتعذر الرد ، وتفقد القابلية حتى لا يستعاد لها الوزن . وعندئذ تواجه أقسى الأحكام وأمر الآثار ، وأشد الإقصاء عن أجواء السعادة دنيا وآخرة ، وتتم الشقوة ، وتستفحل الحسرة .

والإنسان مؤهل لأن يزن نفسه ، ويقيس قدره ، ويقف على خيره

وشره ، فإنه مطلع على أمره ، خبير بنفسه ، وبما هي عليه بصير . يدري موقعه بما ينبغي ، وكم هي المسافة التي ابتعدها بذاته عما يليق به مخلوقاً كريماً وافر الرصيد في الخير ، غنياً القابليات ، معدداً بعناية إلهية رحمة لتحمل مسؤولية ضخمة ؛ يعجز عنها كاهل السماوات والأرض على شدة منهما ومتانة .

ولا يفقد بصيرته ، وتحتجب عنه ذاته ، وتخفى عنه مساوئه وسيئاته إلا أن يتمادى في غيّه كثيراً ، ويشطّ عن هدى فطرته على عمد بعيداً طويلاً ، حتى يؤول البهيمة التي لا تدري إلا عن كرش ، ولا تنتبه إلا إلى علف وما انتهت إليه أو ساواه .

٤ - حزم وحزم :

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴾^(١)

﴿ ... وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾^(٢)

«إذا اقترن العزم بالحزم كملت السعادة»^(٣) .

«من لم يقدّمه الحزم أخره العجز»^(٤) .

«أذكر حشرات التفريط بأخذ تقديم الحزم»^(٥) .

«رؤّ تحزم فإذا استوضحت فاجزم»^(٦) .

«لا خير في عزم بلا حزم»^(٧) .

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) آل عمران : ١٨٦ .

(٣) ميزان الحكمة ٤ : ٤٦٥ عن غرر الحكم .

(٤) ميزان الحكمة ٢ : ٣٨٤ عن غرر الحكم .

(٥) البحار ٧٥ : ٣٧٠ .

(٦) البحار ٦٨ : ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٧) ميزان الحكمة ٢ : ٣٨٦ عن غرر الحكم .

في البدء نقف معاً على معاني هذه المفردات الثلاث في اللغة : الحزم ، والعزم ، والجزم .

حزمه حزماً : شدّه بالحزام ونحوه ليُحَكَّم ربطه . وحَزَم الدّابة : شدَّ حِزامها . وحزم رأيه أو أمره ، وفيه : ضبطه وأتقنه فهو حازم وجمعه حَزَمَة (١) .

فالحزم إحكام وإتقان مادي أو معنوي للشيء ، فالحازم في الأمر يضبطه ويسدّ ثغراته وخلله ، وأبواب النقص الوهن المفتوحة عليه ، وكأنه حازم الحزمة يشدّها بالحزام والحبل ضبطاً لها ومنعاً من أيّ ابتسار . وحزم الأمر الأخذ فيه بالدقة والدراسة والاحاطة والتمحيص والنظر في مقدّماته ونتائجها وظروفه وسائر ما يؤثر على النجاح أو الفشل فيه ، قبل الدخول فيه ، والشروع بتنفيذه ليأتي بعد ذلك تاماً قوياً متقناً .

ويأتي الحزم بمعنى الجدّ وتوطين النفس على مشقة العمل والتشмир للأمر وعدم التلكؤ فيه ، ومنه قولهم اشدد حيزومك وحيازيمك لهذا الأمر . وذلك بالاستعداد له استعداداً تاماً للنهوض بحقه النهوض الكامل . وقد يأتي العزم بمعنى الجدّ في الأمر كذلك (٢) .

وعزم على الأمر يعزم عزمأً : أراد فعله وقطع عليه . وقال الراغب عقد القلب على إمضاء الأمر . وقال الليث : العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله (٣) .

ومن هذه الكلمات ما يضمن معنى العزم مع قصد الفعل ، وانعقاد النية به عنصر القطع والحسم وحتمية الإرادة وثبوتها . ومنها ما يبقى عند

(١) راجع في ذلك المعجم الوسيط .

(٢) لاحظ تاج العروس .

(٣) المصدر نفسه .

الحدّ الأول ، دون أن يضيف بلوغ الإرادة واشتدادها .

وجزم الأمر جزماً : إذا قطعه قطعاً لا عودة فيه . وقال المبرّد : إنّما سُمّي الجزم في النحو جزماً لأنّ الجزم في كلام العرب القطع ، يقال : أفعل ذلك جزماً^(١) .

فالجزم من العزم البالغ الشديد القاطع الذي خلا من الفتور والتردد والمراجعة في الأمر . وهو أعم من أن يكون عن تروٍّ أو تهوّر ، ومن أن يتعلق بفعل أو ترك ، وبتعجيل أو تأجيل .

ووقف مع القرآن الكريم والنصوص الحديثة السابقة في المورد . وآية التوكل التي تقول : ﴿... وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ...﴾ تجعل على العبد أن يدرس الأمر ويفرغ من صلاحه ، ومناسبة الظروف للإقدام عليه ، وأن يتخذ التدابير والاحتياطات المساعدة على نجاحه بعيداً عن العشوائية والاعتباط والارتجال ، فإنّه وإن كان الرسول ﷺ غنياً بتسديد ربّه سبحانه عن حكمة الآخرين ودرايتهم وخبرتهم ؛ إلا أنه كلّف أن ينظر النظر الموضوعي الكافي في الأمور من حيث ملابساتها الخارجية ، والوضع الميداني لها للوصول إلى الرأي المدروس والقرار الممّخص ، وإن كان أسلوب المشاورة محمولاً على تربية الأمة والتلطف بالآخرين وإعدادهم من أجل مناسبة من النضج الإداري والسياسي الذي يؤهلهم لملء المواقع المختلفة التي يتطلبها صلاح المسيرة بخبرة وبصيرة في ظلّ حكومة المعصوم من النبي ﷺ .

والتوكل على الله عزّ وجل لا يعفي العبد الأخذ به عن الدور المذكور ، كما لا يُغنيه كلّ سعيه وجهده وتدبيره عن التوكل على الله ، والرجوع

(١) المصدر نفسه .

إليه.

والتحضير للأمر بدراسته وتقليب النظر فيه ، والاستعداد العملي من أجله داخل في الحزم ، والتصميم ، وقطع التردد ، وقفزة النفس نحو العمل ، واستحكام الإرادة من العزم الأكيد الشديد الذي تحتاجه الأمور ابتداءً واستمراراً لنجاحها .

ونواجه في «إذا اقترن العزم بالحزم كملت السعادة» تركيزاً على أن لا ينفصل العزم عن الحزم ، وهو النظر الممعن المدقق في الأمر قبل الإقدام عليه ، والأخذ بكل أسباب نجاحه ، وسدّ أبواب الخلل عن أن يرد عليه . فالعزم الذي يترتب عليه العمل ، أو العزم بمعنى الجدّ في العمل ومواصلة النشاط والسعي حين لا تكون له خلفية من الحزم لا تؤمن بنتائجه ، وقد لا تحمد عواقبه «لا خير في عزم بلا حزم» .

وإذا لم يكن عزم وجدّ ومصابرة وكفاح ؛ وهو ما يمكن أن يؤدي إلى النتائج الكبيرة ، والثمرات المرجوة ، فليس إلّا العجز والتوقف والكسل والخمول ؛ وهو ما يورث الحسرة ويعقب الندامة ، ويُبقي في الحضيض : «من لم يقدّمه الحزم أخره العجز» «اذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم» ، والحزم هنا يصلح أن يكون بمعنى الجدّ لمقابلته للتفريط والإهمال ، وهو جدّ على مستوى حسن التدبير في معالجة الأمور وتوقيتها حقّها من النظر وعلى مستوى الجهد الذي تتطلبه والجد الذي تقتضيه .

والتأمل والدراسة والتمحيص للأمر ، ومقارنة وجوه النظر فيه ؛ وهي الحزم الذي قد يُعقب رؤية جليّة ووضوحاً كافياً للأمر في مقدماته ونتائجه ، وما يعتور الطريق إليه ، وما يتطلبه من تدابير واحتياطات ؛ لا

يسوغ بعده تردّد في الموقف بعد أن يعطى هذا الوضوح ، ويقدم هذه الرؤية وإنّما هو الحزم القاطع ، والقرار الحاسم بالفعل أو الترك ، والإرادة الشديدة القويّة بالإقدام أو الإحجام حسبما قضت نتائج الدرس والتأمل والتدقيق من نسبةٍ لاحتمال النجاح والإخفاق ، ومساعدة الظروف والأسباب أو مضادّتها لما يرمى إليه السعي ، وتستهدفه الحركة ، «رؤً تحزم ، فإذا استوضحت فاجزم» .

ومن استوضح ولم يجزم ، وبقي متردّداً في الموقف بعد تبين ما هو المطلوب في ضوء نتائج دراسته للأمر وتقليبه للمسألة على مستوياتها المختلفة ، وفي أبعادها المتباينة ، فهو يعاني من انحطاط في الهمة ، وشلل في الإرادة ، وخور في الفاعلية النفسية ، فلا بد له من أن يولي قوى النفس الفاعلة عناية فائقة ، ويطلب إصلاحها بجذّ مضاعف ، وإلا كان من ضعفها هذا مقبرة لكل آمالها الكبيرة ، وقاطعاً عن كمالها المنشود .

وليس الجزم أن تتحرّك بلا ترقّ ، وتنطلق بلا استيضاح ، أو أن لا تمسك النفس حيث يشير التروّي بالترثيث ، والدراسة بالانتظار . وإنّما الجزم بالمبادرة بالتحرّك في موضعه ، والصبر والترثيث في موضعه . فالجزم قوة النفس على الانسجام مع معطيات العقل والدين والمطالعة الموضوعية للظروف والمقدمات والنتائج في الموقف العملي بلا تذبذب من منشأ الجبن ، أو تردّد الخلل في الضبط ، فلا توقف في موضع الانطلاق ، ولا إنفلات في موضوع التوقف ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾^(١) .

ولا تبلغ نفس سعادتها إلّا أن تمتلك الإرادة الصلبة التي تأخذ بيد

(١) آل عمران : ١٨٦ .

الرجل على طريق الرؤية عند نضجها ، وتطلق كل قوى الذات والوسائل المتاحة في مسارها ، وتكفها جميعاً عن الفعل عند مُقتضي الترك أو الانتظار .

وإنّما تتربى الإرادة في النفس ويشتدّ عودها بالتصبر على فعل ليس للنفس فيه هوى ، بعد دلالة العقل والدين عليه ، وعن مشتهى للنفس يمجه العقل ويأباه الدين ، وإنّما يربطها بخطّ الرؤية الصائبة لهذا اللون من المجاهدة والمعاناة والمكابدة .

ب - الركائز الخاصّة :

لو أردنا أن تتوفّر الإنسانية وبصورة عادلة على القدر الميسور الذي يتّسع له صدر هذه الحياة من راحة النفس والرضى وملاءمة الأوضاع الصحيّة والمعيشية والاجتماعية وغيرها مع المتطلبات الدنيوية للإنسان في حدّها غير المبالغ فيه ؛ لما أمكن أن نُحقّق هذا المطلوب إلّا بمقدار ما تقترب طرائقنا في الحياة وأوضاعنا بعد تفكيرنا ومشاعرنا من منهج الإسلام في كلّ ركائزه ومقوّماته ، ومجملاته وتفصيلاته .

ثم إنّ تخريج الإنسان المتكامل المؤهّل بفعليّاته الضخمة من ناحية روحية ومعنوية للعيش الكريم ، والحياة النقية الراقية الطاهرة في الآخرة لأكثر طلباً لأنّ تسير الحياة في الدنيا على خطّ الإسلام ، وتقتضي تعليماته وتأثيراته ، وأنّ ينشدّ الإنسان في مسيرته إضافة إلى الركائز العامّة المتقدمة إلى ركائز خاصّة داخلة في مقوّمات المنهج الربّاني لتخريج الإنسان الصالح لحياة الأبد بمستواها الرفيع الفريد ، وأجوائها المعنويّة الشفّافة الخالصة ، ومختلف أوضاعها الهانئة الراقية ، التي لا يمكن أن تتسع لها هذه الحياة ، أو ترقى إليها بحدّها .

من هذه الركائز :

١ - الإيمان بالله :

﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾^(١).

«بالإيمان يرتقى إلى ذروة السعادة ونهاية الحبور»^(٢).

«عصم السعداء بالإيمان ، وخذل الأشقياء بالعصيان»^(٣).

«ما أعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين»^(٤) !

الإيمان بالله إيمان بالجمال المطلق ، والجلال اللا محدود ، والكمال اللا متناهي ، وتجاوز من العقل والقلب والروح لكل محدود للارتباط أولاً وبالذات بالواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، والاعتماد عليه ، والاستمداد منه ، والانشغال بطاعته وذكره ، والترقي على خط السير إليه معرفة تصوغ الذات بنور هداها ذاتاً من مستوى الملائكة أو يفوق .

إنه بقدر ما يصدق الإيمان ، ويتركز ، ويتجذر ، ويمتد لكل أبعاد الذات الإنسانية وآفاقها تشرق النفس ، وتسمو ذائقتها ، ويجل قدرها ، ويكبر وزنها ، وتعلو منها الهمة ، وتتحرر الإرادة من أثقال الطين ، فتلتزم خطّ الجمال ، وتواصل العروج ما استطاعت مسترفة من الله هدىً ونورانيةً وكمالاً .

ومن آمن بالله ، وشع قلبه بمعرفته ؛ لم يترك له انبهاره بجمال ربّه وجلاله إلا أن يطلب المزيد من معرفته ، والأنس الغامر بالتعلق به ، والفوز الكبير بمرضاته التي لا تكون إلا في تكميل الإنسان ذاته ، وتنقية

(١) العصر .:

(٢) ميزان الحكمة ٤ : ٤٦٠ عن الغرر .

(٣) ميزان الحكمة ٤ : ٤٦١ ، عن الكنز ، خ ٤٤٢١٦ .

(٤) ميزان الحكمة ٤ : ٤٦٥ ، عن الغرر .

روحه ، وتزكية نفسه في ضوء ما تولَّه به من أسماء الله الحسنى وصفات جماله وجلاله ، مما يجوز النفس الإنسانية في دائرة امكانها أن تقتبس منه ، وتتحلَّى بقدرها من عطاءات أنواره .

وأين من رأى الكون وجوداً منفلاً ، والحياة وليدة صدفة ، وأنَّه لا هيمنة لحق ولا عدل ، ولا مرجعية لخالق مدبّر عليم حكيم قدير ، وظلٌّ أعمى لا يرى جمالاً ولا جلالاً ، من تلك الصناعة للذات ، والتربية للنفس ، والعروج إلى الكمالات ؟.

لكن أليس الإيمان من أمور الوجدان ، والوصف العارض على النفس التي قد تجدها تغنى به ، أو لا تغنى ، من دون أن تكون للإنسان فيه حيلة ، أو يملك إليه وسيلة ؟!

بلى ، إيماننا لا تصنعه أيدينا صنعاً مباشراً ، ولا تملك إرادة العبد أن تخلقه في القلب ، أو أن تقذف به فيه من خارجه . وشأننا في ذلك هو شأننا المتمثِّل في موقفنا العاجز من إنشاء الحياة في النبات ، ومدّها بالاستمرار ، وإن كنّا قد نساعد في تهئية السقي له والسماح .

فالإيمان له منابع ومنابت في داخلنا ، وأبواب ومداخل من خارجنا . والإنسان قد يبقي على منابع الإيمان في نفسه مما تغنى به فطرته ، ويحافظ على منابته المتأصلة في ذاته مما يلزم خلقته . وقد يعمد بسوء اختياره إلى التعكير على منابع الإيمان فيه وطمرها ، وإلى تلويت منابعه وتسميمها وإبقاء منابع الإيمان ومنابته في النفس ثرة قوية بالإبقاء على سلامة الفطرة وعدم المقاومة لهدايا ورشدها ، فأفسد ما يفسد الفطرة خباثت الأفعال ، وخباثت القصود ، والتمرغ في مستنقعات الرذيلة والشهوة ، والمكابرة بعد المكابرة للحق في أي من صوره وموارده ، والتمادي في الجدال بالباطل ، وتلويت القلوب بالغل والحقد والحسد ،

وسيء الشعور ممّا يتجه إلى الكيد والإضرار بأبرياء الناس وسائر المخلوق .

كما قد يبقى الإنسان على أبواب الإيمان ومداخله للنفس مفتوحة ، فيصل القلب منها الكثير من نور الإيمان ممّا تشعّ به آيات الله في الآفاق والأنفس ، وتزخر به إنارات الرسل والكتب وهدايات المبلّغين .

وقد يؤصد هذه الأبواب المشرّعة ، والمداخل السالكة بمداخلة أهل السوء ، وممازجة أهل الباطل . والتلهّي بتوافه الأمور وسفاسفها ، والركض وراء الشهوات ومساقطها حتّى يعود البهيمّة التي لا تملك تأملاً بفكر ، ولا تدبراً بنظر وراء ما يقع تحت الحسّ القريب ، وفي اللحظة الحاضرة . وإذا تعدّى عن ذلك لم يتجاوز الاشتغال بتعديل وتطوير آلة معاشه ، وتكبير أدوات بطشه ، ومدّ سيطرته وعدوانه ، وتوسعة بغيه وسلطانه .

ولو أبقي الإنسان على منابع ومنابت الإيمان في نفسه ، ودروبه ومداخله إلى قلبه ؛ لوجده المؤمن الذي يعمر قلبه بالإيمان ، المطمئن الذي يصدّق عقله بالله وما أنزل ، وتزخر روحه بالهدى ، وتمتليء نفسه بالتقوى .

ولو فتح سمعه وبصره على مدرسة الكون الكبرى في بعد الآفاق وآياتها ، وعمق الأنفس وأسرارها ، مبقياً فطرته على ما كانت عليه من صنع الله في صفائها ونقاائها ، ومالها من قدرة على استقبال التأثيرات الروحية ، والإحياءات المعنوية ، ودروس الهداية والاستقامة وتربية الوجدان الخلقي ؛ لرأى من إيمانه النمو والسمو ، والتركز والعمق ، وشعر في ظلّ ذلك بالالتذاذ والانسجام والتوافق .

إنّ مسألة الإيمان داخلة بمقدّماتها في فعل الإنسان بقدر مؤثر ،

وواقعة ضمن مسؤوليته وأمانته ، بعد أن كانت منابعها القائمة في نفسه، ووسائل نموّها المتاحة له ، يطالها سلطانة وإرادته أعمالاً وإهمالاً، وتنشيطاً وتعطيلاً، وإثراءً وتحجيفاً .

إنّ للإنسان من مراتب روحه ما يقدر به على التصرف في معلوماته بالتحليل والتركيب واستنباط الجديد ، والتوصل إلى المبتكر النافع من حصائل الأفكار بالموازنة والمقارنة ، والسير من المقدمات إلى النتائج . كما أنّ له مستوى من الروح يتجاوز به ذلك ، ويربطه بعالم الغيب والملوك ، ويُريه من الحقائق الكبرى والمعارف الجليلة التي تقود حركته في الحياة إلى أمان ، وترتفع بها إلى علوّ ، وتنتهى بها إلى وجود حميد سعيد ، خالد في الخالدين ، هانيء في الهانئين .

معارف تشعُّ بها الروح ، ويسطع بها القلب ، وتزكو لها النفس ، ويطهر الضمير ، وترفع الهمّة ، ويستقيم السلوك ، وتتصحّ الذات كلّ الذات ، وترقّ المشاعر كلّ المشاعر ، وتغمر الطمأنينة والأنس كلّ الجنبات ، وكلّ اللحظات ...

معارف أولها التوحيد ورؤية جليل من جمال الله الذي لا يحدّ ، وجلاله الذي لا يتناهى ، وعظيم من إشعاع عظمته وأسمائه الحسنى ممّا يُنسى كلّ جمال ، ويفوق بلذته كلّ لذة ، ولا يكون معه يأس ولا قنوط ، ولا خوف ولا حزن ، ولا قلق ولا اضطراب ، ولا وحشة ولا ضياع ، ولا فقر ولا احتياج .

بلّى تتجلّى روح الغيب والإيمان في الإنسان بإيمانه الصادق الثابت العميق الدائم بالتوحيد ، وما يؤذي إليه من آثار اعتقادية ، ومشاعر طاهرة ، وقصود سليمة ، ودوافع كريمة ، وحركة قويمة ، وعمل صالح ، وسعي رابح ، وإعمار وإحياء متواصل ، يأتي على اليد المؤمنة تعبيراً

صادقا عن السير التكاملي داخل الذات الإنسانية ، والترقي المتصل في معراج الكمال ، في سفر معنوي جادّ صاعد لا ينقطع ، تعيشه روح الغيب والإيمان في رحلتها المستمرة على طريق الكمال الإلهي الذي لا يحدّ ؛ مستعطية حياة أسمى ، مسترفدة نوراً أكبر ، مستمطرة رحمة أعمّ ، وأغزر ، وأدوم .

٢ - العمل الصالح :

﴿ والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾^(١) .

﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى فلنحييّه حياة طيبة ... ﴾^(٢) .

﴿ من كان يريد العزة فإنّ العزة لله جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ... ﴾^(٣) .

﴿ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾^(٤) .

« السعيد من أخلص الطاعة »^(٥) .

« لا يسعد امرؤ إلا بطاعة الله سبحانه ، ولا يشقى امرؤ إلا بمعصية الله »^(٦) .

صاحب العمل الصالح هو الرابع في الإسلام دون من ساء عمله ، ﴿... إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...﴾ ، وهو الرفيع قدراً ، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ ، وإنه السعيد الموعود بأنه يحييه الله حياة طيبة ، ﴿... فلنحييّه حياة طيبة ﴾ ، السعيد من أخلص الطاعة وأخلص

(١) العصر :

(٢) النحل : ٩٧ .

(٣) فاطر : ١٠ .

(٤) هود : ٤٦ .

(٥) ميزان الحكمة ٤ : ٤٥٩ عن غرر الحكم .

(٦) ميزان الحكمة ٤ : ٤٦١ عن غرر الحكم .

الطاعة لله ، والأخذ بما أمر ، وكيفما أمر ؛ وهو ما يكسب العمل وصف صلاحه ، ويجعله السديد القويم على الإطلاق .

ومن كان عمله غير صالح فهو ليس بصالح ، والمحصلة النهائية لحياته الخسران واليوار ﴿ والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ ، ﴿ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ ، وهو المطرود من رحمة الله ، والملعون الساقط ، إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، وهو الممقوت الشقي ، العصي القصي عن مواطن السعادة ، ومنازل السعداء ، ولا يشقى امرؤ إلا بمعصية الله ، وطريق المعصية له سبحانه طريق العمل الطالح ، والفعل السيء ، والممارسة الضارة الساقطة .

ويوجد تعاط إيجابي عميق ، وعلاقة تبادلية على مستوى التأثير والتأثر ثابتة ومستمرة بين الإيمان والعمل الصالح .

فالإيمان وهو رؤية يقينية تزهر بها كل مراكز الإدراك والشعور المعنوي عند المؤمن ، لتكون منطلقا لسلوكه وموجّها لمواقفه وممارساته . فحيث أنّ هذا اليقين يُرى العبد من جمال ربّه وجلاله ما يأخذ بأقطار نفسه ، ومن قدرة بارئّه ومدبره ما يجعل مهابته منه لا من غيره ، ومن لطفه ورحمته ما يجعل طمعه ورجاءه فيه ، لا في من سواه . وهذا توحيد في الشعور ، يتبعه توحيد في السلوك . وتوحيد العبد الناقص ربّه الكامل في عالم الشعور والسلوك قاض بالمجاهدة من أجل التحلّي من أيّ قبيح ، والتحلّي بكل جميل أداء لحقّ العشق ، وطلباً لرضى المحبوب . فالتحلّي عن سوء العمل ، والتحلّي بالصالحات نتيجة حتمية لروح الغيب والإيمان الحيّ الفاعل الناشط في الذات المؤمنة .

والعمل الصالح حين يأتي على يد المؤمن استجابة مقصودة واعية

من روح الإيمان والغيب في داخله لربّه العظيم ، ومن منطلق العشق الإلهي عند العبد ، فهو يمثل تأكيداً لهذه الروح المشرقة ، وزيادة في ارتباطها بخطّ الكمال الذي انبهرت به ، وحركة تقديميّة في المضمون الأعلى في الإنسان قبل أن يكون حركة لجارحة أو أكثر من الجوارح . إنّهُ يمثل تجاوزاً من هذه الروح النورانية الطاهرة في رحلة الذات الإنسانية الصاعدة ، لكلّ العوائق والمثبطات والإغواءات والإغراءات والتهديدات والتوعيدات التي قد ترتدّ بعزائم الخير والرقى عن الخطو والعبور ، ممّا تقتله وتثيره العوامل المضادة لنهضة الذات وسيرها التكاملي من داخل الإنسان وخارجه ، وهذه يعني أنّ ما هو بالقوّة من قدرة النمو والزكاة والرقى والتكامل في هذه الروح الشريفة التي يقاس إليها مستوى الإنسان قد تجاوز مرحلة القوّة إلى الفعل .

فإنّ كلّ عمل صالح تنجزه هذه الروح من منطلق عشقها لله ، والاستجابة لإرادته ، متجاوزة لتحديات الأرض ، ونداء التقاعس والانشداد إلى الرغائب المادية والراحة البدنية التي تثيره الروح الحيوانية في الإنسان لتخفّف به بدرجة جديدة ، من ثقل الأرض ، وتحرّر تحرراً إضافياً من مدار جاذبيتها ؛ لتعيش وعي الملاء الأعلى ورؤيته ، وشعوره وانطلاقته ، ومعنويته ، ورشده ، وأنسه بمرتبة فوق مالها من مراتب ، ودرجة أعلى بما كان لها من درجات ، ممّا يلهب الشوق أكثر إلى الكمال ، ويزيد من قدرة السموّ ، والتحرّر ممّا يحبس الملايين من الناس في قفص الهمّ المادي الخائق ، وزنانة الأرض العفنة ، ويعيق الروح الإنسانية الكريمة عن التقدّم والانطلاق .

فهذه قيمة عالية ، ومردود ضخم للعمل الصالح ، تحقّقه روح الإيمان والغيب ، وهي تمارس عملياً قوّة الدفع الفعلي لسائر قوى وآليات

المركب البشري ببعده الإنساني ، والبعد الآخر على طريق مرضاة الله ؛ فيكون لها التفوق المتجدد كلما مارست ذلك على ما قد يكون قد تبقى من عوامل الانحطاط والتخلف والوهن التي قد تثيرها شهوات البدن والأجواء البيئية الفاسدة المتردية ، ويكون لها الظهور والشفافية والتبلور ، والقدرة الأشد على الانطلاق في مسارات النور والهدى والكمال والحبور .

ومع استمرار الانتصار والتفوق لروح الإيمان - الروح الأكثر شفافية من بين مراتب الروح في الإنسان - تضرمر مقاومة الجبهة الأخرى ، وتؤدي الانتصارات المتوالية لتلك الروح من خلال ما تعبّر عنه من مواقف الصمود والعبور للمساحات المغمومة بالأوهام والأضاليل من أثارة داخل الإنسان وخارجه إلى اشتداد شعلة الإيمان ، وارتفاع مستوى الرؤية للحقّ والحقيقة ، واتساع الآفاق الداخلة في تلك الرؤية من عالم السرّ والملكوت . وهو مستوى من العلم والعرفان يحمي بدرجة أكبر بإذن الله من النكوص والارتداد ، ومن الضعف والوهن في غلاظ المواقف ، ومضائق الأزمان : «... ومن اعتصم بالله يستقواه عصمة الله»^(١) ، «بالتقوى قرنت العصمة»^(٢) .

إنّ الظروف الحادة المعاندة من الخارج ، والدوافع المكابرة المضادة من الداخل ، والتي قد تحيط بالعمل الصالح ، وتشكّل مقاومة عنيفة تحول دون مضائه يمتلّ عقبة أمام النفس فتمنعه من قطع المسافة إليه ، وتُقيم جداراً شاهقاً يمنع من الوصول إلى تحقيقه ؛ فحين تقفز روح الإيمان الفاعلة بصاحبها الحواجز الرفيعة السميكة ، وتخرق موانع الطريق

(١) البحار ٦٧ : ٢٨٥ ح ٨ .

(٢) ميزان الحكمة ٦ : ٢٤٢ عن غرر الحكم .

لتحقيق نيّة الخير على أرض الواقع ؛ تحمّل البدن ما تحمل ، وكانت الكلفة ما كانت ، وذلك من أجل الله ، تكون قد حقّقت تقدّماً على الطريق إليه ، وأكسبها موقف الصمود من منطلق الوعي والرشد والهدى تمكيناً لدورها في قيادة الذات بما لها من بعد أكبر على طريق الصنع الخير لها ، والتحرك في الاتجاه الصحيح ، وتكون قد تهيّأت لمعرفة جديدة أكثر تقدّماً لشأن الله وقدره ، وأكثر انفتاحاً على جماله وجلاله دون أن تحيط بكنه ذاته ، وبعظمة أسمائه ، وباللامحدود من أنوار كماله .

ففروح الغيب والإيمان وهي الأسمى من بين مراتب الروح في الإنسان، أمامها مراحل من النموّ ، ودرجات من نعمة الحياة والتفتّح والسعة والانطلاق والالتذان . فهذه الروح على اختلاف أفرادها في مديات الاستعداد ، قد أودعت من قابليات النضج والنهوض والتحليق ما يعتمد تفعيله أسلوب المجاهدة من أجل أن تبلغ الذات كمالها المقدور على طريق معرفة الله ، وتلقّي فيوضات رحمته ، فهي تترقّى في درجات صحوّتها وتفتّحها ، وتنتقل في سيرها التكاملية من حياة إلى حياة أوفى وأكثر حيوية ، وأغنى بالنزاهة والجمال ، وأوفر نورانية ، وأغزر بالالتذان، عبر المجاهدات العملية المتصلة الصبورة ، والإقدمات المتلاحقة الجليلة الجريئة من عمل الصالحات المحفوف بالتحديات ، فتتلقّى عائداً مجاهداتها الكريمة ، وإقدماتها المباركة نوراً فوق نور ، وحياةً فوق حياة وتُضيف أنساً إلى أنس ، وبصيرة إلى بصيرة ، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾^(١) ، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾^(٢) .

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) المائدة : ٢٥ .

فإذا كان المبتغى هو السعادة فإنَّ تحقيقها بأكبر معاينها وأرفع درجاتها إنّما يتم بمعرفة الله سبحانه بأقصى ما يمكن أن يتأتى للقلب المحدود - على اختلاف الضيق والسعة في أفرادها ، والتفاوت في قابليات سموها - من معرفة اللامحدود ، والتخلُّق بخلقه . وهي المعرفة التي يتحملها روح الإيمان ، والتخلُّق الذي يصوغ الإنسان كاملاً ما اتَّسمت ذاته للكمال ، مطمئناً ، سديداً خيراً معطاءً دائماً يكتنف حياته الأنس والرضى ، وتغمره السعادة ، ويزخر بالرجاء العريض ، والأمل الكبير ، ممّا يحقّ ويصدق .. لا الرجاء الكاذب والأمل السراب الذي يعقب إحباطاً وحسرة ، ويتحوّل إلى يأس كالح ، وتشاؤم مقيت .

والطريق إلى تلك المعرفة ، وتلك السعادة يمرّ عبر مجاهدة النفس لكلّ سوء يصدّ عن ذكر الله ، وكلّ خبث يحجب عن رؤيته ، ويُسقط القلب عن مقام مناجاته ، ونعمة الاتصال به . وإنّ المجاهدة لكلّ ما تحدّث به وسوسة الداخل ، وتضليل الخارج ، والتعلُّق بالله سبحانه ، والاستمساك بحبله المتين لهو ابتغاء الوسيلة ... وسيلة العبودية وتذلُّلها وترلُّفها وخضوعها لعزّ الربوبية . ومن طلب الوسيلة إلى الله ، وجاهد فيه كما أمر ، واتبع السبيل التي هي أوضح هدي ، ووجد الله كائنُه وحاميه وطيبه وأنيسه ؛ فكان الفوز والفلاح والسعادة .

فالنفس التي تعيش المجاهدة حقاً في داخلها ، وتجسّد الاستكانة وذللّ العبودية لربّها ، فتخلو من غير الله لله ، تتخلص من القبح والشحّ والضعف والهوى والهوان ، ومن كلّ عوامل الانحطاط واليأس والقنوط ، والخمول والكسل ، والخوف والقلق والحزن على الدنيا ، فتقوى وتكبر وتعزّ وتأمل وتنشط وتهنأ وتلذّ وتسعد . ومن شأن هذه النفس بهذا المحتوى الإيجابي الضخم أن ينطلق صاحبها في حركة الحياة في

الخارج فعلاً جهادياً متّصلاً، وبذلاً سخياً وعطاءً كريماً، وتغييراً إيجابياً،
وتصحيحاً وأعماراً، وتطويراً صالحاً، وعلماً هادياً، وعملاً نافعاً.

فواقع الحركة الجهادية التي تخوضها النفس هو مواجهتها لعوامل
الضعف والجهل والزيغ في داخلها ممّا يغرزها الداخل، أو تتلقاه من
الخارج، وما تبذله على الطريق إلى الله من مقاومة لتلك العوامل
تستوجب به من أُلطاف ربّها ورحمته وعنايته الخاصّة ما يحقق لها
النصر والتفوّق على مستوى الإدراك والشعور والعزيمة والتصميم على
الخير، وتحملّ كلفة الطريق من ذات الشوكة، مع توفيق وتيسير على
مستوى المقدّمات والأسباب في حركة الخارج.

أمّا المواقف العملاقة في الخارج ممّا تشيده الجهود المضنية
للإنسان، ومواصلة طريق العطاء والبذل، ومضاعفة الكدح من أجل خير
الحياة وتقدّم المجتمعات؛ فهو أثر للانتصار في معركة الداخل. وإنّ
حجم المواقف في الخارج، وخلوصها من نيّة السوء والتطلّع لما في يد
الآخرين، فحجمه من حجم تفوّق الروح الإيمانية وتفتحها واشتدادها،
واستمراره باستمرار هذا التفوّق والتفتح والاشتداد.

والنفس التي تعزم وتحزم وتجزم متوثّبة لفعل الخير متوجّهة إلى الله
سبحانه يكفيها هذا الإخلاص والجّد في داخلها لأن تتقدم خطوات ثابتة
وموفّقة على طريق النموّ والزكاة، وتتوفر على مردود فعلي من
الانشداد، وبدرجة أكبر بخطّ الله، وأن تكسب طهراً مضافاً، وشدة أقوى
في الحقّ؛ وإن لم يتمّ لها العمل الجوارحي لغلبة الموانع في الخارج، ذلك
لأنّ ما به بناء الذات، وهو هيمنة القوى الخيرة فيها في مواقع القرار قد
حصل، وإن كان في المعاناة الخارجية ومعالجة الأمور الصعبة
ومكابدتها زيادة امتحان للذات؛ ومدى أهليّتها للاستمرار على الدرب

الذي لو كان لعنى تصاعداً بالفعل في كمالها وناجز مالها من قدرة وهدى وصحوة ومتانة .

ونقرأ ما يثير هذا الفكرة في مثل هذين النصّين «إنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام ، فيثبت الله له صلاته ، ويكتب نفسه تسبيحاً ، ويجعل نومه عليه صدقة»^(١) ، «النّية الصالحة أحد العملين»^(٢) .

٣- رؤية بعيدة وطموح كبير :

﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم ﴾^(٣) .
﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ﴾^(٤) .
﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾^(٥) .

﴿ وللاخرة خير لك من الأولى ﴾^(٦) .

﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾^(٧) .

«الأمل رحمة لأمتي ؛ ولولا الأمل ، ما رضعت والدّة ولدها ، ولا غرس غارس شجراً»^(٨) .

«الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين» .

«انقطع إلى الله سبحانه فأنه يقول : وعزّتي وجلالي لأقطعن أمل كلّ من يؤمل

(١) البحار ٦٧ : ٢٠٦ ح ١٨ .

(٢) ميزان الحكمة ١٠ : ٢٨٠ عن غرر الحكم .

(٣) الملك : ٢٢ .

(٤) الأنعام : ١٠٤ .

(٥) الكهف : ٤٦ .

(٦) الضحى : ٤ .

(٧) الحجر : ٣ .

(٨) ميزان الحكمة .

غيري باليأس» .

لقد منّ الله تبارك وتعالى على الإنسان بأن خلقه ناهضة قائمته ، مرفوعاً جبينه ، تمكيناً له من أن يرمي ببصره مديداً ، ويصعد بنظره بعيداً ، يرى من الدرب ما امتد ، ومن المسافات ما بعد ، ويلتقي بنظره الآفاق والسماء والنجوم والكواكب ، وأمدّه بعلم حتى كان له من ذلك آلات يبلغ رؤية المحسوس في مسافات تبلغ من سنّي الضوء ما حسابه بالملايين ، ليكون من علم الحسّ الكثير الذي يتناسب ودوره الفاعل في صياغة حضارته على الأرض ، ويكون مقدّمة بيده لعلم أبعد مدى ، وأوسع أفقاً وأجلّ قدراً ممّا يجد له وسيلة من عقله وقلبه وما اجتمع لهما من حسّه . هذا العلم الذي يقضي بالحاجة إليه دوره الخلافي الضخم الذي يتجاوز الحركة الإنمائية الرشيدة في الأرض إلى بناء الأنفس والعقول والأرواح ، إثراء للوجود الإنساني ، وبلوغاً إلى أقصى درجات نضجه ووعيه وصلاحه وهداه وكماله على طريق الله العليّ العظيم .

ولو أكبّ الإنسان في دروب الحسّ بوجهه إلى الأرض ما كان له أن يتوقّر من علم الحسّ على ما توقّر عليه ممّا يتصل بالأرض فضلاً عما يتصل بفضاءات كونية شاسعة ومجرات وكواكب ونجوم ، ولعاش في غربة موحشة في محيطه الكبير من حيث جهله بالكثير مما يعجّ به هذا المحيط من أنواع الموجودات حياً وغير حيّ ، ولفقد القدرة على التعامل الصائب مع البيئة الواسعة ، وهو حبيس رويته الضيقة التي تقرب في مداها من خطو القدم . والمكبّ بوجهه إلى الأرض يكثر منه العثار ، وتتهدّد المخاطر ، ولا تستبين أين تقع منه الغاية ، وأين يكون منه الهدف .

على أنّه ما مكبّ بوجهه إلى الأرض في دروب الحسّ ، بمثل مكبّ بقلبه

على الحسّ في دروب هي للمعنى . فأين ذاك من هذا مصيبة وفجيرة وخسارا ؟ وهل خسارة بدن تساوي خسارة روح ؟ وهل تضارع مصيبة في ما يذهب مصيبة في ما هو باق ؟ أو من القائل بأنّ تلف نعمة قليلة مشوبة يُقاس بتلف نعمة كثيرة غزيرة خالصة مرغوبة ؟!

إنّه ولئن كان الإنسان يجني كثيراً من العلم والخبرة لو مشى على الأرض قوياً ، واستعمل رسوله من البصر لينقل إليه حقائق الحسّ التي يقيم عليها تقديراته ومواقفه في تعامله مع الخارج ، ويستمدّ منها بمقارناته وموازناته ، وتحليلاته وتركيباته واستنتاجاته الفعلية ، أفكاراً بكرة ، وقضايا جديدة ، ويستخلص قوانين عامّة ، تعينه على التحكّم بمقدار في ظروفه المادية ، وتطوير صيغ معاشه ودوائه ومركبه ومسكنه ووقايته وعلاجه واتصالاته وزراعته وصناعته ، ومختلف مرافق حياته ؛ خاصّة وهو يتوفر على القدرة العلمية للتوسيع بالآلة من مدى إبصاره ، والمدّ من حدود رؤيته ، حتى صار له من إدراك المحسوسات أن يذهب بعيداً بعيداً ، وينال الضئيل الدقيق من خلال مناظيره المصنّعة مكبّرة ومقرّبة ... لئن كان الإنسان يجني هذا كلّّه إذا أطلق البصر إلى أقصى مداه ، ويجني إليه ما يشبهه إذا فتح سمعه الأوّلي والمكبر صناعة إلى أبعد امتداد ؛ فإنّه قادر أن يجني ما هو أهمّ وأسمى ، إذا أرسل بصيرته ، وعين قلبه وسمعه على مسافات المعنى الشاسعة ، وآفاقه الممتدة ، بما للبصيرة من مدى وهو طويل مديد ، وبما لعين القلب وسمعه من انطلاق وهو بعيد سديد . وإنّه لمدى هو أطول من كلّ مدى لأبصار الحسّ وإن وسعها التصنيع ، ومدّ من بعدها التطوير ، وإنّه لانطلاق فوق ما لسمع أو بصر أوّليّ أو مكبّر مما يدخل في آلات المادة ووسائلها . فوقه قوّة وشرفا وعطاء ؛ وإن كان لكلّ دور وموقع في

الحركة العلمية في حياة الإنسان .

فإنّ قوانين المادة التي يقف الحسُّ على ظواهرها إنّما تقع في مرمى نظر العقل ، لا في دائرة الحسِّ على ماهو عليه من صورة فطرية أو متطورة ، ويواصل العقل نظره إلى بداية الكون والحياة والإنسان ، وما يواجه الإنسان من مصير بعد هذه الحياة ، والدور الذي ينبغي أن ينهض بعبعه مادام فيها ، والغاية التي ينبغي أن ينشدَّ إليها ، ودائرة التصرف التي له أن يتحرَّك في تعامله مع الآخرة في حدودها ، والضوابط التي عليه مراعاتها وينظر في مسألة المرجعية العامة الشاملة الدائمة الذاتية لقوانين الكون والحياة والاجتماع وسلوك الأفراد ، وما يؤتى وما لا يؤتى في كلّ دوائر النشاط والفعل عند الإنسان .

وهذه قضايا لم تفارق الأسئلة المتعلقة بها إنسان الأرض يوماً من الأيام بمستوى وآخر ، وذلك لتغلغلها في فطرته ، وشدة الحاجة إليها وعمقها بحسب ما تقضي به صيغة الذات البشرية وأبعاد تكوينها ، وما أهلّ إليه هذا الإنسان من امتداد في الوجود ليتجاوز هذه الحياة .

وإذا كان عالم الغيب هو الأصل وعالم الشهادة ماهو إلّا شيء من انعكاساته - كما هو كذلك - وإذا كانت الحياة الأكثر صدقا وغزارة وهناء ، والتي تكون قائمة أبداً هي حياة تعقب هذه الحياة ، فكم سيكون ضرر الإنسان وخسارته لو أقفل قلبه ، وانصرف بعقله إلى التفكير في دائرة هذه الحياة مشغلاً بها وحدها ، لا يتجاوزها بتأمل في بداية ولا نهاية ، وإنّ الحِّ هذا الخاطر على نفسه من حين إلى حين ، غير آبه ببناء فطرة ولا وجدان ينبغ من داخله ، ويطلّ به على الهدى الكبير ، ولا ملتفت إلى الدلالات المتوالية ، والإشارات المتواصلة لآيات الله في الكون العريض ، وفي أعماق النفوس ، وطوايا الأفئدة ؟!

إنَّ العقل الذي يسجن قهراً في دائرة الحسّ وشؤونه يحدُّ من نظره كثيراً؛ فيحرم من الخير القدر الجليل، وللعمى في الرؤية يقع صاحبه في شرّ كبير، وشقاء دائم.

آيات للعقول، وعبر للقلوب ودروس تزخر بها جنبات الحياة والوجود، وتلفت إليها كتب من الله منزلة، ورسل عنه مبلّغون يبشّرون وينذرون، فمن انفتح بقلبه، وأقبل بعقله عليها؛ فإنّما نفسه بنى، ووعيه أشاد، وبصيرته عمّق ووسّع، وطريق سعادته اهتدى.

ومن انغلق بقلبه، وأدبر بعقله عن أنوار ترسل، ودروس تُبشّر، وعطاءات تقاض؛ فإنّما نفسه ظلم، ووعيه هدم، وبصيرته خنق وعتمّ، وسعادته ضيّع وهدر.

وكما أنّ عمى البصائر يحرم من رؤية النور، ويقفر الأرواح من الإيمان والاطمئنان، ويسلبها الجمال، ويضيّع السعادة؛ فكذلك فقد الأمل يقطع على الذات أن تبلغ الكمال، وأن تيمّم صوب القمم.

الأمل مولد الحركة والعمل؛ فلا يبني أحد دنيا، ولا يعمر آخره، إذا لم يعمر نفسه الأمل، ويخصبها الرجاء. وهذا ما تقوله الكلمة المتقدّمة عن الرسول ﷺ: «الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما رضعت والدّة ولدها، ولا غرس غارس شجراً».

ولا ضير أن تشبّ في النفس آمال الدنيا في طول أمل الآخرة تابعة له، واقعة على طريقه. فطموح الآخرة يمكن أن يولّد طموح المال يستعين به طالبه على طاعة الله، وطموح الولد يتقرّب بتربيته إلى الله، ويكون له منه امتداد جميل وذكر حسن وعمل صالح، وطموح علم يبصر به دروب الدنيا فيعمرها بالخير والعدل والحقّ والجمال لتشعّ للبصائر بجمال الدين وروعة الشريعة فتكون من سبل الهداية والتقويم بدرجة مضافة،

وتسهّل على طالبي الكمال الطريق ، ويمكن لطموح الآخرة أن ينبت طموح الموقع وأي طموح آخر يعمر الحياة ويزكّيها ، ويحيي النفوس ويطهرها ، ويقضي على الرذيلة ، ويدفع إلى الفضيلة ... أي طموح يزيد من رفعة الإنسان ، ويتقدم بأوضاع حياته من أجل سمو ذاته الذي لا يتم على مستوى النوع إلا أن تفي حياة الأمم والأقوام إلى دين الله ، وأن تعلو كلمته سبحانه في الأرض ، ويمكن للخير والحق والهدى في نفوس الأفراد وأوضاعهم ، وفي مسيرة الاجتماع .

المشكلة أن يستبدّ أمل الدنيا بالنفس ويقف بها عنده ؛ فنراه الكبير على صغره ، والدائم على زواله ، والقمة على لصوقه لو قيس إلى أمل الآخرة وهو أكثر ما يكون في الآمال استطالة وامتدادا .

ولذلك فإنّ الذين يرون الآخرة ويبثّون أملها الكبير ؛ لا يدفعهم على طريق حبّ الدنيا إلا ذلك الأمل الذي يفقد بروعته وجلاله وجماله الأخاذ آمال الدنيا معسول طعمها ومسالها من رونق وبريق .

المشكلة أن تنسي أهل الدنيا آمالهم القصيرة - وكلّ أمل دون أمل الآخرة قصير - أنفسهم وقيمتها ، ولا قيمة للنفس الإنسانية إلا الجنة ، أن تنسيهم ربّهم وعظمته ... أن تنسيهم موعود الآخرة وصدقه وغازاته وجلالته وبقائه ؛ فيظلّوا أنعاماً في الأرض يأكلون ويتمتّعون بلقمة عيش ، وكسوة ظهر ، وجنس ، وسيارة ، ومركز وأشياء من هذا المستوى الذي لا يرتفع لقامة الإنسان ... أشياء ممّا يغرّ ويمرّ ويضرّ .

المشكلة أن يُلهي الناس أمل الأشياء الصغيرة ، والأمور الحقيرة حتى لا يفيقوا مع الموت إلا وقد خلت أيديهم من كلّ شيء إلا الأوزار التي تثقل الظهور ، وانكشف لهم سوء ما كانوا يعملون ، وأنّ آمالهم الدنيوية التي بدت خضراء في أعينهم كانت تعني في واقعها منقلباً سيئاً ، تشهده

النفس يوم تودّع الحياة ، وخسارة أبدية ، يبدأ مرّ معاناتها عند مفارقة الدنيا ، ويأساً مقيتاً مقيماً ، يستحوذ على صاحبه وقت حشرجة واحتضار «لأقطعن أمل كل من يؤمل غيري باليأس» باليأس الذي قد يعذب حياة الناسين لله عزّ وجلّ في الدنيا قبل الآخرة وإن أترفوا وتبدّخوا ، وكان لهم منها ما يكون . أمّا هم في الآخرة فيأسهم من روح الله وهم في جهنّم ماكتنون فعذاب ليس مثله عذاب .

إنّ الأمل الحقّ والأمل العظيم صدقاً هو أمل الآخرة التي لا تفرّ ، وإنّما للعين تفرّ ، ولا تضرّ ، بل تنفع وتسرّ ، ولا تمرّ ، وإنّما تبقى وتستقرّ . لا يشوبها كدر ، ولا يطوف بها طائف همّ ولا غمّ ، ولا حتى عابر خوف ، أو يأس ، أو عبوس فضلاً عن مقيم ، ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ ، ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ فدنيا المؤمن لا تفنى بل تخلد بالباقيات الصالحات ، وهي محفوظة غير مضيّعة ، يحفظها ثواب الله العظيم وهو جزيل كريم . الصالحات الباقيات خير ثواباً وخير أملاً من كل ما يمكن أن تعرفه الدنيا من جزاء ولذّة وهناءة وأمل . وهذا ليس تقدير من يأتي في تقديره الخطأ وفي أخباره الخلل ، بل هو تقدير العليم الخبير . وليس عطاءً من يخلف الوعد ، لنكتّ أو شحّ أو ضيق يد ، بل هو عطاء من لا يتخلف له وعد ، ولا يجوز عليه شحّ ولا فقد . ﴿خير عند ربك ...﴾ . هيهات أن يقاس أمل دنيا إلى أمل الآخرة ! ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ... ، الولد مفارق أو نحن له نفارق ، والمال زائل أو نحن عنه زائلون ، على ما في هذا وذاك من مؤونة التعب والسهر والآلام والضجر مع قلق وفرق كثيراً ما يغلب اللذّة ، ويطفئ على المتعة .

نعم إذا انشّق أمل الدنيا من رحم الأمل للآخرة ، وظلّ يتبعه ، ويتّحد

معه في المسار ، فيثير رغبة العمل ، ويضاعف قوّة النشاط ، ويذكى روح البناء والإعمار الصالح في كلّ مساحة الحياة ، ولمضمون الإنسان ، تجسيداً لخطّ الخلافة في الأرض ، وفي ضوء ثوابته وقيمه ، ومن أجل أهدافه ومراميه ؛ فهذا هو التعبير الصادق عن الإسلام ، والفهم الدقيق لما يريد .

إن المنهج الإسلامي يثير الحركة ، وينشّط السعي بما يعطي التقدّم لأوضاع الحياة ، ويضاعف من خيرها وهنائها ، وبما يجعلها في الحال نفسه جسراً للآخرة ، ومعينا على طلبها . فهو لا يعطلّ الدنيا ، ولا يهمل الآخرة ، ولا يعاني من حال التهاافت في التخطيط لسعادتهما . ولا تراه في تنظيماته وتشريعاته ، ولا في توجيهاته وأخلاقياته ، وفي أيّ بعد من أبعاده يعمر دنيا بهدم الآخرة ، أو يعمر الآخرة بهدم الدنيا . دأب المنهج الإسلامي أن يطلب للإنسان سعادة الآخرة ، يأخذ به إلى أن يخلّص إليها على طريق إعمار الدنيا ، وإشادة أوضاعها في حالة من التشبّع بقيم الآخرة المهيّئة لها من عدل وإحسان ، وسموّ وكرامة ، ونزاهة من غلّ وحقّ ، وتحلّ بروح المحبّة والسلام والانفتاح على مصلحة الغير وخيره إلى حدّ الإيثار والبذل في الضائقة .

نعم حالة أن تنحرف المسيرة عن الإسلام ، وتضاد الأنظمة الوضعية المنفلتة عن مداره بين ما للدنيا وما للآخرة ... ما للبدن وما للروح ، وتفرض على المؤمن ؛ إمّا حياة بدن بلا روح ، وإمّا حياة روح بلا بدن ، فلا محالة في الإسلام من تقديم الأهمّ على المهمّ ، والأسمى على ما هو دون ، فيكون الحفظ للروح ولو على حساب البدن .

وما انقطع أمل الدنيا بالإنسان عن آخرته إلّا تفه هذا الإنسان بعد وزنه الثقيل ، وقدره المرتفع ، لأن لا يبقى منه عندئذٍ إلّا كتلة لحم ودم

وأعصاب، ورغبات بهيمية ، ودوافع وشهوات حيوان ، وإذا طلب علماً
إنّما يطلبه ليهبط به إلى حضيض تلك الدوافع والشهوات ، ويجعله مطية
إشباع لنهمها . ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ . إنّهُ أمل
الدنيا القصير اللصيق السافل الذي يعقب الندامة ، ويؤدّي إلى الحسرة ،
وينهي إلى بوار وخسار .

وهذا الأمل شيطاني ، وآلة بيد أبالسّة الجنّ والإنس يصطادون به
القلوب الغافلة ، والنفوس الفارغة . أمّا القلب النابه المنفتح على الله ،
الملتفت إلى الآخرة ، فلا يسكنه أمل بهيمي ، ولا يفعل فيه كيد الشيطان ،
ولا يستغفله سحره «الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين» ، ذاك هو أمل
الدنيا المفصولة عن الآخرة ، المضادّة لها ، المستغني بها عنها . وهو
منفذ الشياطين إلى قلوب الغافلين عن الله ، وعن أنفسهم ، وعن وزن
الدنيا ، ووزن الآخرة ، وعن قيمة الحياة ، وأهميّة تجربتها ، وما يترتّب
على هذه التجربة من نتائج تحدّد قيمة الإنسان إلى الأبد ، وتصوغ
مستقبله المخدّد .

وللشياطين من هذا المنفذ سلطان على قلوب أولئك الغافلين اللاهين
لهو السائمة ، يعبثون بها ويلعبون ، ويهزأون ويسخرون .
والحقّ أن للسعادة طريقاً واحداً ، ألا وهو طريق الله الذي يوضّحه
دينه ، وتحدّد معالمه شريعته ، ويدلّ عليه رسله وأوليأؤه والصالحون
من عباده . فمن ركبته نجا ، ومن تخلّف عنه هوى ، وليس من سبيل يطلب
غير سبيل الله لسعادة دنيا أو آخرة . ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ . ولا سعادة في ما لا يقبله الله ، ولا شقاء
في ما يقبله .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيّين
 والمرسلين محمد وآله الطاهرين المعصومين ، وعباده الصالحين .

المسلمون الإنجليز

« نظرة تقويمية »

✽ محضر عبد الرزاق . جامعة ليدن (هولندا)

يُقدر عدد المسلمين في الإنجليز بحوالي ١٠ آلاف^(١)، في حين يرى آخرون أنهم بين ٣ آلاف و ٥ آلاف فقط^(٢). وأن أعدادهم تتزايد بشكل مطرد . ويعود السبب إلى اختلاف التقديرات إلى غياب أية إحصاءات رسمية أو شبه رسمية ، وإنما تبقى التقديرات تعتمد على اطلاع وسعة اتصالات الذين يقدرون عددهم . فالمسلم الجديد لا يطلب منه تسجيل اعتناقه الإسلام رسمياً ، سواء في مسجد أو مركز إسلامي أو جمعية إسلامية . كما أن بطاقة الهوية لا تستدعي ذكر الديانة . إضافة إلى أنهم قد لا يغيرون أسماءهم رسمياً مما يضطرهم لاستحصال وثائق جديدة تحمل أسماء إسلامية .



(١) Adlin Adnan, New Muslims in Britain. (1999), p.3.

(٢) Ali Kose, Conversion to Islam, (1969), p.19

وقد اعتمدنا على معلوماته بصورة رئيسية وأدرجنا المصادر التي ذكرها.

وعلى الرغم من أن بعض المؤسسات الإسلامية في بريطانيا ، مثل المركز الثقافي الإسلامي (مسجد ريچنتس بارك) ، تمنح المعتنقين الجدد (شهادة إسلام) ، لكن المركز يسجل حالات اعتناق الإسلام التي تمت من خلاله فقط ، وليس كل المساجد في بريطانيا . يضاف إلى ذلك أن عدداً من الانجليز يعتقدون الإسلام دون مراجعة المسجد لتسجيل ذلك .

دوافع اعتناق الإسلام :

يجذب الإسلام الإنجليز الذين تتراوح مستوياتهم من المرأة التي أسلمت بسبب زواجها من مسلم إلى المثقفين الحاملين شهادات عليا ، والقادرين على التعبير عن آرائهم بشكل جيد ، وغالباً ما يدخلون الإسلام من خلال علاقاتهم الشخصية مع أفراد مسلمين ، حيث تلعب هذه العلاقات دوراً في قرارهم نحو اعتناق الإسلام . وهناك العديد من النساء الإنجليزيات اللاتي ارتبطن بعلاقات مع مسلمين ثم تحولن مسلمات من خلال الزواج وخاصة مع العرب والباكستانيين^(١) ؛ على الرغم من أن الإسلام لا يجبرهن على اعتناق الإسلام بعد الزواج بمسلم ، لأنهن من أهل الكتاب ، لكنهن يرين في الإسلام ، عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً ، بما يجذبهن لاعتناقه .

في دراسة حول اعتناق الإسلام في بريطانيا هناك عدة أسباب ودوافع دفعت البريطانيين لاعتناق الإسلام . فقد ظهر أن ٢٨٪ منهم وجدوا تشجيعاً من أصدقائهم المسلمين . فيما تبين أن ١٦٪ من النساء اعتنقن الإسلام بسبب زواجهن بمسلمين . وظهر أن ١٦٪ منهم تعرفوا

(١) McHugh, F. (1990), "Allah's English Daughters", Telegraph weekend Magazine, 31 March, 34 - 38 .

على الإسلام عبر القراءة والمطالعة في الكتب الإسلامية ، و ١٠٪ بسبب سفرهم إلى بلدان إسلامية . وذكر آخرون أسباباً أخرى مثل دراسة اللغة العربية ، رفض الديانة المسيحية ، العمل مع مسلمين سواء في بريطانيا أو في الشرق الأوسط ، مشاهدة فيلم مالكوم - أكس أو دعوة في السجن^(١) .

تصور الإنجليز للإسلام :

يعتقد المسلمون الإنجليز أن الإسلام ديانة عالمية ، ويجب أن تكون فوق الحدود القومية والعرقية . ويعتقدون أن الإسلام في البلدان الإسلامية قد جرى خلطه بالثقافة المحلية والتقاليد الشعبية ، وأنهم أي الإنجليز ، يريدون ممارسة إسلام يعتمد أكثر على القرآن ، والسنة الصحيحة للرسول ﷺ . ولأجل تحقيق هذا الطموح قام بعض المسلمين الإنجليز بتأسيس حركات وجماعات خاصة بهم . واحد من هؤلاء المسلمين هو الشيخ عبد القادر الصوفي (اسمه الأصلي إيان دالاس Ian Dallas) الذي أسلم عام ١٩٦٧ م ، أسس حركة صوفية في السبعينات ، والتي سميت فيما بعد الدرقاوية ، وتدعى حالياً بحركة المرابطين : حركة المسلمين الأوربيين **Murabitun: European Muslim Movement** ، وأخذ بعض المسلمين مثل يوسف إسلام (مغني البوب كات ستيفنس سابقاً) ينشط في تقديم خدمات ومساعدة للجالية الإسلامية والمسلمين الجدد على السواء . ويعقد يوسف إسلام جلسات أسبوعية بعنوان الدائرة الإسلامية **Islamic Circle** عصر كل يوم سبت في المركز الثقافي الإسلامي في لندن . كما قام بتأسيس مدرسة ابتدائية إسلامية ،

(١) Adlin Adnan, New Muslims in Britain, (1999). p.13 .

خصص ٢٠٪ من الدوام فيها للتعليم الديني . كما أسس فيما بعد مدرسة ثانوية للبنات في لندن^(١) . ويساهم العديد من المسلمين الإنجليز أمثال مارتن لنغز Martin Lings^(٢) وغاي إيتون Gai Eaton^(٣) واحمد ثومسون Ahmad Thomson^(٤) وعبد الحكيم ونتر Winter

(١) يوسف إسلام، يهتم بإصدار كاسيتات أدعية وتعليم الصلاة وصدر له حديثاً شريط بعنوان (The Prophetic Art on Communication) ، كما صدر له كتاب (الإسلام ديني Islam My Religion) باسمه القديم Cat Stevens . وصدر له شعر بالإنجليزية (Surrender Joseph's) .
(٢) مارتن لنغز كان سابقاً مدير المخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني ولديه العديد من المؤلفات مثل :

- حياة محمد [Muhammad: his life based on the earliest sources] .
- الفن القرآني للخط والزخرفة . [Quranic Art of calligraphy] .
- الساعة الحادية عشرة : الأزمة الروحية للعالم الحديث في ضوء التقليد والنبوة . [The Eleventh Hour]
- الرمز والنموذج الأصلي : دراسة في معنى الوجود . [Sympol, Archetype; A study of the meaning of Existence]
- ولديه ثلاثة مؤلفات ضخمة في الصوفية، كما ساهم في تحرير فصل (الشعر الصوفي) في (تاريخ كامبريدج الجديد للأدب العربي) ونشر العديد من المقالات والدراسات الإسلامية وخاصة في (موسوعة الإسلام الجديدة) و (الموسوعة البريطانية) .
- (٣) غاي إيتون، ولد في سويسرا ودرس في كامبريدج، وعمل صحفياً في مصر حيث اعتنق الإسلام عام ١٩٥١م، قبل أن يعمل في السلك الدبلوماسي البريطاني. يعمل حالياً مستشاراً في المركز الثقافي الإسلامي في لندن. اشهر كتبه (ملك القلعة) [King of castle] وكتاب (الإسلام وقدر الرجل) [Islam and the Dstng of Man] الذي صدر في طبعيتين الأولى عام ١٩٩٤م والثانية عام ١٩٩٧م .
- (٤) أحمد ثومسون ولد في زامبيا عام ١٩٥٠م لأبوين إنجليزين أثناء فترة الاستعمار البريطاني لأفريقيا. لديه العديد من المؤلفات مثل :
- عيسى نبي الإسلام، [Jesus prophet of Islam] بالمشاركة مع محمد عطاء الرحيم، صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٧٧م والثانية ١٩٩٦م .
- من أجل المسيح [For christ's sake] صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٨٩م والثانية المنقحة عام ١٩٩٦م .
- الإسلام في الأندلس [Islam in Andalus] الذي صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٨٩م والثانية المنقحة ١٩٩٦م .
- النظام الدولي القادم [The Next world orden] الذي صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م .
- صناعة التاريخ [Making History] الذي صدر عام ١٩٩٧م .

Abdul Hakim وميريل واين ديفز **Meryl Wyn Davis** وعبد الصمد كلارك^(١) **Abdassmad Clark** في تأليف الكتب الإسلامية وإلقاء المحاضرات والمشاركة في المناظرات والندوات الدينية . كما توجد مجموعة من النساء المسلمات الإنجليزيات أمثال هدى خطاب **Khattab Huda**^(٢) ورقية وارث مقصود^(٣) **Ruqaiyyah Waris Maqsood** ورقية عبد الله^(٤) **Ruqaiyyah Abdullah** وحرفية عبد الحليم^(٥) **Haleem**

- - الدجال : المسيح المزيف [Dajjal: the Antichrist] الذي صدرت عدة طبعات منه في الأعوام ١٩٩٣م و ١٩٩٥م و ١٩٩٧م و ١٩٩٨م .
- الرحلة الصعبة إلى الحج [The Difficult Journey] الصادر عام ١٩٩٤م .
- رحلة العودة [The way Back] الصادر عام ١٩٩٤م .
- زوجات النبي محمد [The wives of the prophet Muhammad] الذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٩٣م والثانية عام ١٩٩٦م والثالثة عام ١٩٩٨م .
- (١) عبد الصمد كلاك ، ولد في بلغاست ودرس في أدنبرة والقاهرة، يهتم بقصص الأطفال حيث صدر له :
- قصة القصص : سيدنا يوسف [The story of stories: Sayyiduna yusu] الذي صدر عام ١٩٩٩م .
- الفتح المبين [The Clear victory] (حول صلح الحديبية) الذي صدر عام ١٩٩٨م .
- ترجمة كتاب (الأربعون حديثاً) للإمام النووي، ترجمة كتاب (تاريخ الخلفاء) للسيوطي .
- (٢) هدى خطاب ، إنجليزية ولدت في بلاك بول، وأسلمت عام ١٩٨٣م، نالت درجة بكالوريوس في اللغة العربية من معهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن عام ١٩٨٦م، ترأس حالياً تحرير مجلة الأسرة [Usra] بالإنجليزية . ولديها مؤلفات عديدة مثل :
- دليل المرأة المسلمة [The Muslim Women's Hand Book] الذي صدرت طبعات منه في الأعوام ١٩٩٣م و ١٩٩٤م و ١٩٩٦م و ١٩٩٧م . وقد ترجم الكتاب إلى الهولندية عام ١٩٩٦م .
- سلسلة قصص من العالم الإسلامي [Stories form the Muslim World] الذي صدر منه طبعتان الأولى عام ١٩٨٧م والثانية عام ١٩٩٦م .
- (٣) رقية وارث مقصود ترأس حالياً قسم الدراسات الدينية في معهد وليم غي في بريطانيا. ولديها ١٧ مؤلفاً منها :
- دليل الزواج الإسلامي [The Muslim Marriage Guide] الصادر عام ١٩٩٥م .
- العيش مع المراهقين : دليل الوالدين المسلمين عام ١٩٩٥م .
- [Living With Teenagers: A Guide for Muslim Parents]
- (٤) رقية عبد الله ، أصدرت كتاب (الإختبارات والمحن : نصيحة من القرآن والسنة) الصادر عام ١٩٩٩م [The sunnh Trials and Tribulations: Advice form the Quran] .
- (٥) حرفية عبدالحليم، أصدرت كتاب (الإسلام والبيئة (Islam and the Environment) عام ١٩٩٨م .

Harfiyah Abdul وعائشة بيولي^(١) Aisha Bewley وسوزان حنيف^(٢) Suzanne Haneef وجميلة جونز^(٣) Jameelah Jones وغيرهن اللاتي ينشطن في مجال تأليف الكتب الإسلامية وخاصة ذات العلاقة بالمرأة والأسرة والأطفال .

منظمات إسلامية إنجليزية :

ويلاحظ أن المسلمين الإنجليز أكثر ليبرالية وديناميكية في تفسيرهم لدور الإسلام في بريطانيا من المسلمين المهاجرين الذين يبدون أكثر ميلاً للتقليدية المستمدة من خلفيتهم التاريخية والثقافية . وقام المسلمون الإنجليز بتشكيل منظمات أخرى تحت أسماء مختلفة مثل :

١ - الحزب الإسلامي في بريطانيا :

يعتقد بعض المسلمين في بريطانيا أنه من أجل إحراز تقدم في أوضاعهم يجب أن تكون لديهم قوة سياسية . كما يشعرون بعدم وجود

(١) عائشة بيولي، متخصصة باللغة العربية الكلاسيكية، حيث قامت بترجمة العديد من الكتب من العربية إلى الإنجليزية مثل (موطأ مالك) ، (الشفاء) و(القواعد) للقاضي عياض، و(الطبقات الكبرى) لابن سعد، و(دليل الإسلام والإيمان والإحسان) للشيخ عثمان، و(العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي، وكتاب (الطواسين) للمنصور الحلاج وكتاب (فصوص الحكم) لابن العربي. أصدرت كتباً من تأليفها مثل :

- معجم المصطلحات الإسلامية [Glossary of Islamic Terms] الصادر عام ١٩٩٨ م .

- الإسلام: ومنح السلطة للمرأة [Islam: the Empowering of women] الصادر

عام ١٩٩٩ م .

- علامات في الآفاق : الشمس والقمر والنجوم .

[Signs on the horizons: the sun, the Moon, the stars]

- عالم ما دون الذرة في القرآن .

[Signs on the horizons: the sun, the Moon, the stars]

(٢) سوزان حنيف، أصدرت كتاب (ما يجب أن يعرفه الجميع عن الإسلام والمسلمين) عام ١٩٩٤ م .

[What everyone should knowabout Islam and Muslime]

(٣) جميلة جونز، أصدرت كتاب (أمهات ثلاثة أنبياء) الذي صدر عام ١٩٩٤ م ثم عام ١٩٩٥ م .

حزب سياسي في بريطانيا يمثل مصالحهم ويدافع عنها^(١). وقد تنامي الوعي السياسي بهذا الاتجاه بعد الأحداث التي رافقت الاعتراضات على كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية) عام ١٩٨٩م. فقد أخذ بعض المسلمين يفكر جدياً بتأسيس حزب دُعي بالحزب الإسلامي في بريطانيا **Islamic Party of Britain**، حيث تأسس في أيلول عام ١٩٨٩م، والذي يعتبر أول حزب إسلامي يتشكل في بلد غير إسلامي. لقد اعتقدوا أن التظاهرات والضغط السياسي لم يعد مجدياً للمسلمين في بريطانيا. وكانت الشخصية الرئيسية في مبادرة تأسيس الحزب الإسلامي هو صاحب مستقيم بليهر **Sahib Mustaqim Bleher**، وهو مسلم ألماني، اعتقد بأن الوقت قد حان لعمل سياسي أكبر من قبل المسلمين في بريطانيا، ثم أصبح السكرتير العام للحزب بعد تأسيسه. ويقول الحزب بأن عدد أعضائه ٨٠٠٠ (ثمانية آلاف عضو)، ويتوقع أن يصل إلى ربع مليون في مدة خمس سنوات. أما دوافع تأسيس الحزب والأهداف التي يتطلع إليها فهي:

١- تشكيل مجموعة ضغط (لوبي **Lobby**) تدعم المستشارين ونواب البرلمان الحاليين في القضايا ذات العلاقة بالمسلمين بشكل عام، والدفاع عن بقية أفراد المجتمع دون اعتبارات العرق واللون والعقيدة، والذين هم ضعفاء أيضاً في الدفاع عن أنفسهم.

٢- مواجهة الإعلام بكفاءة عالية وتصحيح عدم الدقة التاريخية والأحكام المسبقة.

٣- إقامة حملات قوية من أجل تسهيلات مصرفية ومشاريع تجارية

(١) Evans, R. (1989), 'political Emergence of Britain's Muslims, Geographical Magazine, December 11 - 12 .

وشركات تأمين قانونية لاربوية .

٤ - تقديم خيار سياسي واجتماعي للشعب البريطاني مبني على الأسس الإسلامية الدائمة في العدل والخير والتسامح .

٥ - عقد اجتماعات وندوات لدعوة الناس إلى الإسلام ، والمشاركة في العمل من تقديم الدعم أو العضوية^(١) .

وقبل الانتخابات البرلمانية البريطانية في ٩ نيسان ١٩٩٢م ، شارك الحزب الإسلامي في بضعة انتخابات محلية في المناطق ذات الكثافة الإسلامية العالية مثل برادفورد ، حيث أصبح الحزب الإسلامي الرابع بعد الأحزاب الثلاثة الكبرى (المحافظين والعمال والليبراليين) ، لكنه فشل في جذب أعداد كبيرة من أصوات المسلمين^(٢) . وفشل أيضاً في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٢م . فعلى سبيل المثال ، فشل زعيم الحزب داود بيدكوك Daoud Pidcock في منطقة غرب برادفورد حيث لم يحصل على سوى ١٪ من الأصوات^(٣) .

ويتألف الحزب من غالبية من المعتنقين Converts النشيطين ، فالرئيس داود بيدكوك ، والسكترتير العام هو صاحب مستقيم بليهير ، والمتحدث في مجال النقل والتعليم هو عبد الرحيم كرين Green Abdurrahim ، والمتحدث في مجال الاقتصاد هو عبد السلام هانكن Abd as - salam Hankin . ولما كان الحزب يدار من قبل معتنقين بالإسلام فقد واجه انتقادات من بعض المسلمين وزعماء الجالية الإسلامية . يقول الدكتور زكي بدوي ، عميد الكلية الإسلامية ورئيس

(١) من كراسة ورّعها الحزب الإسلامي في بريطانيا بعنوان :

The Way Ahead: Islamic Party of Britain.

(٢) Islamic Party Losses its Deposit",The Muslim News, 23 November 1990 .

(٣) The Independent.Election 1992 results, 10 April 1992, p. 10 .

مجلس الأئمة والمساجد في بريطانيا : إن المعتنقين هم الذين يمسون بقيادة الحزب ، وبعضهم ليس له جذور في الجالية المسلمة^(١) . كما يرى بعض المسلمين أن قيادة المعتنقين قد لا تتفهم المشاكل الحقيقية للآسيويين كالعنصرية . على أية حال يشرح المتحدث عبد السلام هانكن لماذا يجب أن تكون قيادة الحزب بأيدي المعتنقين فيقول : إن واقع المنظمات الإسلامية في بريطانيا يعاني من الانقسام والتشردم . فالمنظمات تأسست على أساس عرقي أو وطني ، أي أن أفراد المنظمة غالباً ما يكونون من عرق معين أو انتمائهم لبلد معين . وهناك قدر من التنافس ، وقدر من الصراع الشخصي التافه بين المنظمات . والسعي لجمعهم مع بعضهم البعض كانت مهمة يائسة منذ البداية . ولذلك يجب أن يكون المعتنقون في الحزب هم ؛ لأنهم ليس لديهم انحياز لأية مجموعة عرقية أو إثنية .

٢ - جمعية المسلمين الإنجليز :

طالما أن المنظمات القائمة بعيدة عن مشاكل المسلمين الجدد ، إضافة إلى أنها ليس لديها برامج خاصة بهم ، قام المسلمون الإنجليز بتأسيس منظمة خاصة بهم تدعى جمعية المسلمين الإنجليز **British Muslims Association for** التي تشكلت عام ١٩٧٤م . وهي استمرار لجمعية وليم كويلم **William Quilliam** القديمة في ليفربول في العشرينات . واستمرار للمنظمة التي تأسست في نوتنك هل غيت **Notting Hill Gate** غرب لندن في الثلاثينات . إن الهدف من الجمعية هو تمثيل مصالح جميع المعتنقين **converts** ، ومن أجل ترسيخ فهم أفضل للإسلام في

(١) Muslim Divided About the party' New Horizon. November 1989, p.21.

بريطانيا . كما تهدف الجمعية بشكل رئيسي لتقديم العون للمسلمين الجدد للتكيف مع الحياة الجديدة بعد اعتناقهم الإسلام . كما تهدف إلى مساعدة الأجيال اللاحقة من المسلمين المهاجرين ليكونوا مسلمين بريطانيين .

ويعتقد رئيس الجمعية أنهم لا يرون تناقضاً بين التقاليد البريطانية والإسلام . وأن الجمعية تمثل غالبية المعتنقين للإسلام ، وأنهم ينحدرون من الطبقة الوسطى ، وأصحاب مهن ، وغالباً أنهم تعلموا في مدارس عامة ، وأنهم ملكيون ومحافظون ، ولهم علاقة بالطرق الصوفية^(١).

وتواجه الجمعية قدراً من الانتقادات ، على الأقل من بقية المعتنقين على أساس أنه لا يوجد تقسيم عرقي في الإسلام ، لذلك لا يريدون تمزيق واقع المسلمين . ويجيب رئيس الجمعية داود أوين Daoud Owen على هذا الانتقاد متهماً المنظمات الإسلامية الأخرى بأنها ليست قادرة على فهم المعتنقين والعقلية البريطانية فيقول :

إن المشكلة أن غالبية المنظمات في بريطانيا لا تخاطب الحاجات النوعية للمعتنقين الذين لديهم مشاكلهم الخاصة . كما أنها لا تفهم الثقافة البريطانية . بعض المنظمات تسعى لنشر الإسلام بين الإنجليز ولكن لم تستطع واحدة منها فهم الثقافة البريطانية والعقل البريطاني . فمن المناسب جداً الانضمام لهذه المنظمات ولكن لا أحد يساعد المعتنق في مواجهة العقاقب الاجتماعية بعد اعتناق الإسلام . وأبسط شيء هو قولهم : لا تشرب خمراً ، لا تأكل لحم الخنزير ! والنتيجة أن هناك قدراً من

(١) Owen. D.(1991), 'What's it Like to UK Muslim' The Independent, 26 August, 14.

المعتنقين لا يحظون بالرعاية اللازمة التي يحتاجونها^(١).

يعاني المسلمون الجدد من العزلة الاجتماعية ، فبعد اعتناقهم الإسلام غالباً ما تنقطع علاقاتهم بأهلهم وأصدقائهم وأحياناً بأزواجهم . فيبقون يبحثون عن دعم معنوي من المسلمين المهاجرين الذين قد لا يتفهمون هذه الحاجة النفسية والاجتماعية . فالمساجد والمراكز الإسلامية تركّز جهودها في شرح العقائد والأحكام الإسلامية ، لكن ذلك غير كاف لوحده بالنسبة للمعتنقين الجدد . ولذلك يسعى هؤلاء للبحث عن بناء علاقات مع المسلمين المهاجرين ، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن ٨٠٪ منهم يبذلون جهودهم لإنشاء علاقة مع المسلمين الذين يعيشون قريباً منهم ، أو مع الذين يعملون معهم (١٦٪) ، أو يدرسون معهم (١٥٪) وغالباً ما ينضمون للمنظمات الطلابية في المعاهد والجامعات . وأن ٣٥٪ منهم يألف التردد على المسجد لمقابلة المسلمين : لأن المسجد يحتل مكانة فريدة باعتباره مؤسسة دينية ، ومكاناً للعبادة ، ومركزاً للتعليم ، إضافة إلى أنه يوفر محيطاً اجتماعياً ، وخاصة في المناسبات كالزواج حيث أصبحت الأعراس تقام في المساجد في الغرب^(٢).

يلاحظ أن النشاط العام للمسلمين الإنجليز أضعف بكثير من نشاطهم في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث كانوا يتولون شؤون الجالية الإسلامية . ويعود ذلك لأسباب منها : أولاً : أن عدد المسلمين المهاجرين كان قليلاً جداً ، وإنما تصاعدت الهجرة في الخمسينات والستينات . وصاحبها جلب الأفكار السياسية والفلسفية لدى المفكرين المسلمين من بلدانهم إلى المهجر الجديد . ثانياً : ورافق

(١) Ali Kose(1996). Convrsion to Islam. p.24.

(٢) Adlin dnan, (1999), New Muslims in Britain, p. 20.

المهاجرين المسلمين قياداتهم الدينية وزعماء الجاليات الذين قدموا معهم . هذه الحالة أدت إلى أن المهاجرين لم يهتموا بالتشاور مع المسلمين الإنجليز فيما يتعلق بشؤون الجالية الإسلامية^(١).

٣- رابطة الإيمان للمسلمين الإنجليز :

تأسست رابطة الإيمان عام ١٩٩٣م من قبل الشيخ صلاح آل بلال ، وهو عراقي شعر بأهمية التوجه للاهتمام بالمعتنقين الجدد للإسلام . يقول الشيخ آل بلال :

بعد مجيئي إلى لندن عام ١٩٩٣م رأيت أن هناك فراغاً في هذا الجانب ، فقررت أن أملأ هذا الفراغ . فقامت بتأسيس الرابطة ، وانتخبنا شوري من ثمانية أشخاص كلهم من المسلمين الجدد . ونشطت الرابطة في أعمالها ، ودخل الكثيرون الإسلام من خلال نشاطاتها . هذا ويبلغ عدد أعضاء الرابطة المسجلين رسمياً ٦٥ عضواً ، و ١٥٠ آخرين من أصدقاء الرابطة . وتضم الرابطة خليطاً من المعتنقين ، ففيهم الإسكتلنديين والإيرلنديين والإنجليز ، وفيهم من البيض والسود . ولا توجد لدينا إحصائية بأصولهم لأننا نعتبر ذلك من مخلفات المجتمع الغربي .

وتقدم الرابطة خدمات متنوعة لهذه الشريحة ، فهناك لقاءات نصف شهرية تلقى فيها محاضرات عقائدية وفكرية ، تدور خلالها مناقشات مفتوحة لكافة القضايا الإسلامية . وهناك دروس في القرآن الكريم واللغة العربية . وتقام جلسات خاصة لغير المسلمين من أجل تعريفهم بالإسلام ، وتدور فيها نقاشات دينية وجدلية وفلسفية .

ونحرص على توفير جو اجتماعي أو ما نسميه باللقاء الاجتماعي

(١) Ali Kose(1996), Conversion to Islam, p. 25.

Social Gathering أي لا تكون الجلسة رسمية ، وهذا أمر هام خاصة وأن هؤلاء المسلمين تنقطع علاقاتهم مع أهليهم ومحيطهم ، لذلك نحرص على خلق جو عائلي لتعويضهم عن هذا الشيء الذي فقدوه . ولكي يشعر بأننا أهله وإخوانه وأصدقائه . وأنه لم يفقد كلياً الجو الاجتماعي الذي كان يعيشه مع عائلته قبل أن يصبح مسلماً . وقد نجحنا في تكييفهم للحياة الاجتماعية مع المسلمين الآخرين ، حتى أنهم تعودوا خدمة ضيوفهم من المسلمين الذين يزورون الرابطة ، فترى هؤلاء المعتنقين يؤدون دور المضيف فيجلبون الطعام والشاي وغيره . لقد تمكنوا من الاعتماد على أنفسهم وإدارة شؤونهم ، فلا يجب أن يعتمدوا علينا نحن الشرقيين .

كما تقدم خدمات مثل المساعدة في توفير مسكن للذين يطردونهم أهلهم من منازلهم بعد اعتناقهم الإسلام ، أو تطرد امرأة من عملها بعد إسلامها وارتدائها الحجاب . وتعاني الرابطة من قلة الإمكانيات المتاحة من أجل تطوير وسائل الدعوة ، وتقديم برامج أفضل لجذب الإنجليز للإسلام ، كما تعاني من عدم وجود مكان خاص بها^(١).

التحول الثقافي للمسلمين الإنجليز :

يقال إنه عندما بدأت المسيحية بالانتشار في الامبراطورية الرومانية؛ أصبح تأثير الوثنية في المسيحية أكثر من تأثير المسيحية في الامبراطورية الرومانية^(٢) . والأمر يشابه وضعية المسلمين الإنجليز ، فهل يريدون تخريب **Westernise** الإسلام أم يصبحون متأسلمين

(١) لقاء خاص بالشيخ صلاح آل بلال في لندن بتاريخ ١٨ شباط ١٩٩٩م.

(٢) Sharma,A.(1985)'The Rajnceesh Movement' in Religions: Genements.Exodus. and Numbers, (ed) R. Stark: Pragon House. 124.

Islamised مستوعبين ثقافة المسلمين من حولهم ؟ وهل يرغبون في المضي في التحول الثقافي ؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تختلف من معتنق إلى آخر وحسب تجربته . فبعض المعتنقين قد غيَّروا من أسمائهم ، ملابسههم ، مواقفهم وقيمهم . في حين تمسك آخرون بطرز ملابسههم ، ولم يحملوا أسماء إسلامية ، إضافة إلى أنهم ما زالوا يحافظون على بعض عاداتهم وقيمهم السابقة . وهنا تبدو الحاجة لتأكيد قضية هامة هي أن اعتناق الإسلام لا يعني بالضرورة إقصاء الهوية الإنجليزية أو البريطانية . فيمكن أن توجد عناصر من التقاليد الدينية المسيحية في أسلوب الحياة **Life - style** لدى المعتنقين طالما أنها لا تتعارض كلياً مع الإسلام . مثال على ذلك ، يعتقد بعض المعتنقين أن الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح **Christmas** يمكن أن يستند على أنه ميلاد النبي عيسى عليه السلام ، ولا بأس من تبادل الهدايا مع عائلاتهم في هذه المناسبة . إنهم يسعون من أجل إيجاد طريقة عملية لقبول الإسلام في بريطانيا ، بمستواهم من أجل العيش في هذا المجتمع .

إن معظم المعتنقين لم يتغيروا ثقافياً . إذ أنهم لم يلفظوا ثقافتهم كلياً ، حتى بعد أن شهدوا تغيرات ثقافية عبر السنين . فهم لا يشعرون أنهم باعتراقهم الإسلام قد تعربوا **Arabised** أو صاروا باكستانيين ، بل ما زالوا يشعرون أنهم إنجليز أو بريطانيون ، ولا يرون صراعاً بين الثقافات قبل إسلام الفرد وبعد اعتناقه الإسلام . ويرون أن وضع المسلم الإنجليزي يشابه وضع المسلم المصري أو المسلم النيجيري أو أية جنسية أخرى . يقول ريتشارد وهو مسلم إنجليزي : (الإسلام دين يتجاوز الثقافات . ولا تناقض بين الثقافة البريطانية وقبول الإسلام . أنا فخور بأنني إنجليزي ، وكوني باكستانياً أو أية جنسية أخرى لا تعني

بالضرورة أن أكون أقرب للإسلام^(١). ويرى بعض المعتنقين أن باستطاعته التوفيق بين الثقافة الغربية والإسلام، أو أخذ الجيد من كل منهما! ولكن يعاني بعضهم من الحيرة وسط الثقافتين تؤدي إلى صراع ثقافي ونفسي واجتماعي. يقول ستيف: (نعلم من خلال تجربتنا أننا عندما نسير في المسجد، نجد الجميع يلتفت إلينا، وتحقق بنا العيون بشيء من الريبة. وبعد أن تفكر ملياً تجد أنهم لا ينظرون إلى أخ مسلم بل ينظرون إلى رجل أبيض دخل الغيتو الآسيوي).

عندما يدخل الغربيون الإسلام يتعلمون مفردات الأمة الواحدة، وأنهم ينتمون إليها بحكم انتمائهم للإسلام، وأن الإسلام دين عالمي يدعو للأخوة العالمية. ولذلك لا يشعرون بالارتياح تجاه الثقافة والعادات التي تمارسها الجاليات الإسلامية من حولهم. ويعتقدون أن العديد من العناصر العائدة لمختلف الجماعات العرقية قد تم إدراجها في الإسلام، واعتبرت جزءاً منه. ولذلك يحاولون فهم الإسلام بعيداً عن المسلمين أو أية خلفية عرقية، وجلب عقلية بحث وتحقيق إلى زملائهم، وطردها من المواقف والممارسات الإسلامية السائدة في الجالية الإسلامية. إنهم يشعرون بأن المسلمين يخلطون الدين بالثقافة المحلية القادمة من بلدانهم. وإن العديد من الأفكار حول الإسلام ربما هي انعكاس للتقاليد الثقافية أو الموروث الشعبي، ولكن ليس من الإسلام.

وتسيطر هذه الأفكار على أذهان غالبية المسلمين الإنجليز. ففي استبيان للرأي فيما إذا كانوا يودون لو ولدوا في عائلة مسلمة، أجاب بالنفي ٧٣٪ منهم، في حين أجاب ٢٧٪ فقط بنعم. وأن جميع الذين أجابوا بنعم كانوا قد عانوا كثيراً قبل اعتناقهم الإسلام، مثل مواقف عوائلهم أو

(١) Ali Kose(1996), Conversion to Islam, p. 135.

اضطرارهم للطلاق من أزواجهم . وذكروا أنهم ما كانوا يعانون لو ولدوا في عائلات مسلمة أو في بلد إسلامي . أما الذين رفضوا أن يكونوا قد ولدوا في أسر مسلمة فقد اعتبروا الخبرات والتجارب التي اكتسبوها قبل الإسلام وبعده أنها من الأهمية بحيث ما كانت توجد لو ولدوا في بيئة مسلمة . ويفخر بعضهم بأنهم أصبحوا مسلمين بعد أن رأوا وجربوا ثم رفضوا العقائد الأخرى . ويرى آخرون أنهم دخلوا الإسلام عن فهم عميق ومناقشات عقلية طويلة ، وأن اعتناقهم الإسلام أفضل ممن ولدوا به لأن الآخرين أولئك خلطوه بثقافة لا إسلامية .

المتصوفون الإنجليز :

تعتبر الصوفية من العناصر الرئيسية في جذب غير المسلمين للإسلام عبر التاريخ^(١) . وذلك ينطبق على اعتناق الإسلام بين الغربيين في العصر الحالي^(٢) . ففي دراسة قام بها أحد الباحثين في بريطانيا ظهر أن ٣٣٪ من الذين اعتنقوا الإسلام كان عبر الصوفية . وهناك حركات وطرق صوفية عديدة منتشرة في أوروبا . فهناك حركة الشيخ ناظم القبرصي ، وحركة الشيخ عبد القادر الدرقاوي الصوفي .

وتجد الصوفية أتباعاً كثيرين لها في أوروبا وأميركا ممن يبحثون عن الجوانب المعنوية والروحية في ظل المجتمعات المادية والعلمانية . وإضافة إلى الطرق الصوفية المنتشرة في الغرب ، هناك منظمات ومراكز صوفية تدرس التصوف وتنتشر معلومات حولها ، مثل (مركز

(١) Levzion, N. (1079), "Towards Comparative Stusy of Islamisation". in Conversion Islam. (ed) N, Levzion, London: Holmes and Meier. p. 17.

(٢) Gerholm, T. (1988), Three European Inttectuals as Converts to Islam : Cultural Mediators or Social Critics?" in New Islamic Presence in Western Europe,p. 264- 265.

مولانا (The Mawlana Centre) و (جمعية الدراسات الصوفية The MSociety for Sufi Studies) في لندن ، وجمعية محي الدين بن العربي Muhyiddin Ibn al - Arabi في أوكسفورد .

في الغرب في الوقت الذي يدعي المئات بأنهم صوفيون لكنهم يقولون بأن الصوفية لا علاقة لها بدين معين^(١) . وفي بريطانيا يعتقد البعض بأن الصوفية لا تقتصر على الإسلام وحده . فعلى سبيل المثال تعتقد إيرينا تويدي ، معلّمة تصوف من أصل سوفيتي وتقيم في Willesden Green شمال لندن بأنها متصوفة لكنها غير مسلمة . وتصر على أنه ليس بالضرورة أن يرافق الإسلام التصوف^(٢) . وهناك حركة سيود Subud الصوفية التي تضم آلاف الأعضاء في الغرب ، ولكنها لا تعد ضمن الإسلام ، وقد أسسها محمد سيود (١٩٠١ - ١٩٨٧م) عام ١٩٣٤م في اندونيسيا . كما توجد عدة طرق صوفية في الغرب تستمد أفكارها من الطريقة النقشبندية - القادرية .

وتجذب الصوفية العديد من المثقفين الأوربيين كالفيلسوف الفرنسي رينيه غونون Rene Guenon ، والمتصوف الإنجليزي مارتن لينغز Martin Lings ، والمثقفين السويسريين فريثيوف شون Schuon و فريثيوف بورخهاردت Titus Burekhardt . وفي فرنسا أسس مجموعة من المستشرقين الفرنسيين المسلمين طريقة صوفية تدعى ب (الطريقة المريمية) نسبة إلى السيدة مريم والدة المسيح . ويجد هؤلاء المثقفون في الشرق المسلم طريقاً لحياة الحكمة والاتصال مع العالم اللامحدود .

(١) Martin Lings, (1981) "What is Sufism?" p.16.

(٢) تحدثت إيرينا تويدي في برنامج تلفزيوني بعنوان (الصوفية: قلب الإسلام) بثته القناة الرابعة الإنجليزية في ١٨/١٢/١٩٩٠م .

١ - حركة الشيخ ناظم الصوفي :

الشيخ ناظم هو صوفي تركي من قبرص ، طلب منه أستاذه الشيخ الداغستاني أن يذهب إلى أوروبا لدعوة الغربيين للإسلام ، وتهيئة الأرضية لجنود (جيش المهدي) من الأوروبيين . فبدأ الشيخ ناظم يتردد على بريطانيا منذ عام ١٩٧٣م ، حيث يمكث شهرين بضمناها شهر رمضان . وأخذ يجمع الأتباع تدريجياً حتى أنه عندما يأتي إلى لندن يجتمع عنده ٥٠ ألمانياً مسلماً ، إضافة إلى آخرين يأتون من أميركا وبقية الدول الأوروبية كفرنسا وأسبانيا وسويسرا .

ويعقد الشيخ جلسات ليلية في مسجد بيكام Peckam بعد الصلاة . ثم تبدأ حلقات الذكر التي تزدهم بالمشاركين ليالي الجمع . ويعتقد أعضاء الحركة بأن الشيخ يمنحهم البركة . ويؤمنون بكراماته وأنه يمكن أن يشفيهم من الأمراض . كما يرون وجوب طاعته ، وأن له تأثيراً قوياً عليهم ، فهم يقبلون يده أثناء مبايعته بعد إعلان شهادة الإسلام . ثم يمنح الشيخ الأعضاء الجدد أسماء إسلامية .

وقد حقق الشيخ ناظم نجاحاً كبيراً من خلال تعامله المنسجم مع الروحية الغربية . ففي البداية لا يصرّ عليهم بالواجبات الثقيلة من العبادة والصيام وغيرها من الواجبات المطلوبة من المسلم المكلف . ولا يصرّ على غير المسلمين الملتحقين بحلقات الذكر أن يسلموا أو لا بل يترك ذلك للزمن . ويقول لهم دائماً : اعبدوا الله حسب أي طريق ترونه ، اليهودية أو المسيحية أو الإسلام . كما أن يطلق العديد من النكات أثناء أحاديثه فيخلق جواً مرحاً .

ويلاحظ أن المرأة تشارك في حلقات الذكر ، فتارة في حلقات نسوية خاصة في مكان بعيد عن الرجال ، وتارة في حلقات لا تبعد كثيراً عن حلقات الرجال . وتبلغ نسبة النساء حوالي ٣٠٪ من مجموع الأعضاء .

ويرتدي أعضاء الحركة الصوفية لباساً خاصاً يتألف من (روب robe) وعمامة ولحية . ويمكن تمييز الصوفيين عن بقية المسلمين من خلال العمامة . ويشجع الشيخ أتباعه على ارتداء العمامة ، حيث يرتدونها في حلقات الذكر والمسجد والمنزل ، لكنهم قد يجتنبون لبسها في الشوارع والأماكن العامة لعدم تعود الناس عليها . ويتم اختيار لون العمامة حسب جنسية الصوفي ، فالمسلمون الألمان يرتدون العمامات الأرجواني (الماروني) ، والإنجليز يرتدون العمامات الخضراء ، والسود يرتدون العمامات الحمراء ، وتلبس العمامات البيض والخضر من قبل كل الجنسيات . ويمكن رؤية صوفي أسود يرتدي عمامة خضراء ، ولكن لا يمكن أن يرتدي ألماني عمامة حمراء (التي تختص بالسود)^(١) .

٢ - حركة عبد القادر المرباط الصوفي :

وهي جماعة صوفية أسسها الشيخ عبد القادر الصوفي المرباط ، وهو بريطاني من أصل اسكتلندي (اسمه السابق إيان دالاس Dallas Ian) ، وهو كاتب وممثل سابق اعتنق الإسلام عام ١٩٦٧م ، وأسس الحركة الصوفية في بداية السبعينات في بريطانيا . وأخذ يزور البلدان الأوربية وأميركا للدعوة إلى الإسلام ، حيث فتح عدة فروع لها ، في جنوب أفريقيا ونيجيريا وماليزيا واندونيسيا والعالم العربي^(٢) .

وترجع علاقته بالإسلام والصوفية إلى أواسط الستينات عندما اشترى لوحة فارسية Miniature قديمة ، سرعان ما اكتشف كتابة خلف اللوحة تحمل اسم الصوفي الشهير عبد القادر الكيلاني (توفي ١١٦٦م) . وسافر إلى البلدان الإسلامية واعتنق الإسلام في مراكش

(١) Ali Kose(1996), Conversion to Islam, p. 163.

(٢) Al - Affendi, A.(1988), A fatse Dawn". Inquiry, I. p. 51.

بالمغرب عام ١٩٦٧م . وسرعان ما اتخذ لنفسه اسم عبد القادر تقليداً للشيخ الصوفي . وفي عام ١٩٦٨م التقى في مكناس بالمغرب بالشيخ ابن حبيب الدرقاوي الذي أعطاه لقب (مقدم) أي ممثلاً له عن الطريقة الدرقاوية ، التي هي فرقة من الطريقة الشاذلية . كما سماه بالصوفي وأمره بدعوة الناس إلى الإسلام^(١) .

وسرعان ما بدأ عبد القادر بالمهمة الموكولة إليه وجمع مجموعة من الأنصار من بين المسلمين البريطانيين والأميركان . وفي عام ١٩٧٥م استقروا في منازل متجاورة في شارع بريستول غاردنز Bristol Gardens في غرب لندن حيث شكّلوا جماعة صغيرة هناك . وكان عددهم يتراوح بين ٢٠ إلى ٣٠ فرداً ، أغلبهم من العازبين مع بضع متزوجين أو عوائل . وكانت غالبيتهم ممن تعاطوا المخدرات من قبل . وأخذ الشارع يمتلئ بعشرات من أصحاب العمامم الخضراء واللباس المغربي الطويل . لقد كانوا يعيشون حياة رومانسية تستجيب لحاجات الشباب الغربي المتحرر من وهم الثقافة المادية الغربية . لقد كان عبد القادر يقبل في مجموعته كل الباحثين من كل مشارب الحياة دون أن يكونوا قد أسلموا . ولكن يقول لهم فيما بعد : بأن لا طريق أمامهم سوى الإسلام . لقد كانوا يجدون في الصوفية دعوة للهروب من الثقافة الغربية ، ثم دخول الإسلام فيما بعد . أي أنهم دخلوا الإسلام ليس لأنه أفضل ديانة وأنه الدين الحق كما يعتقدون . إنهم في الحقيقة نسخة إسلامية Islamic للذين تركوا السياسة والفلسفة . ولعلها تقترب من توجهات ثورة الطلاب في باريس عام ١٩٦٨م . إن جو الألفة والصدقة داخل المجموعة يجذب الكثير من الناس إليها . يقول أحدهم : (لقد جئت من

(١) Clark, p.B,(1983), The Sufi path in Britain, The Revivalist Tendency, Update: A Quarterly Journd of New Retigious Movement, 3 . p. 13.

الريف إلى لندن ، فعشت وحيداً لعدة أشهر حتى تعرفت على الحركة ، فأخذت أشارك في اجتماعاتها ثم أصبحت مسلماً عام ١٩٧٢م^(١) . وبدأ عبد القادر يتصرف كشيخ ، مفروض الطاعة ، لا يسأل أبداً . فقد أمر جماعته بتجنب كافة مظاهر الحياة العصرية . ففي منتصف السبعينات لم يعد مسموحاً به ارتداء الملابس الغربية ، وتم منع استخدام الكهرباء ، لتكون مواقد الفحم ومصابيح الزيت بديلاً عنها . وفي السنين الأخيرة منع أتباعه من إرسال أولادهم إلى المدارس لأنه اعتقد أن التعليم هو الأداة الهامة للدخول في المجتمع الكافر . لقد كانت آراؤه لا تختلف كثيراً من بعض الحركات في الشرق الأوسط التي دعت إلى العزلة وهجرة المجتمع الكافر .

في عام ١٩٧١م توفي الشيخ ابن حبيب الداغستاني ، أستاذ عبد القادر ، فأصبح عبد القادر المسؤول والمرشد الوحيد . وبدأ في منتصف السبعينات يبحث عن شيخ جديد ، حتى سافر إلى ليبيا عام ١٩٧٦م والتقى بالشيخ محمد الفيتوري من (الطريقة العلوية) ، والذي أعلن أن عبد القادر أصبح شيخاً للطريقتين العلوية والدرقاوية . عند ذلك تغير اسمه من (المقدم) إلى الشيخ عبد القادر الصوفي .

مشروع القرية الإسلامية الإنجليزية :

اتسعت الجماعة تدريجياً ، وبات الشيخ عبد القادر معروفاً في العالم الإسلامي باعتباره شيخاً إنجليزياً ، كما ترجمت كتاباته إلى مختلف اللغات الإسلامية . وفي نهاية السبعينات تغير تفكيره ليكون واحداً من الإسلاميين النشيطين في بريطانيا . ففي صيف عام ١٩٧٦م أقامت الحركة صلاة الظهر جماعة في حدائق الهايد بارك بهدف جذب انتباه

(١) Ali Kose(1996), Conversion to Islam, p. 177.

الناس إلى الإسلام . وفي نهاية عام ١٩٧٦م دعا عبد القادر جماعته للانتقال إلى الريف ، في منطقة نورفولك Norfolk لتأسيس أول قرية إسلامية مكتفية ذاتياً للمؤمنين ، ومن أجل خلق رابطة اجتماعية كاملة حيث يزدهر الإسلام . فلا يمكن اختصار الإسلام ساعة واحدة من التعليم الديني للأطفال . وقد كانت الجماعة تهدف إلى عرض المعنويات النبيلة للإسلام سواء الإنجليز المتحررين من وهم المادية أو المسلمين في بريطانيا الذين يرغبون في تعزيز إيمانهم من خلال إعادة اكتشاف الإسلام التام الذي فقدوه منذ مغادرتهم بلدانهم^(١) . ورغم سعيه ، عجز الشيخ عبد القادر عن الحصول على دعم مالي من العالم الإسلامي لبناء القرية الإسلامية . على أية حال قاموا بشراء مبنى وود دالنج هول Wood Daling وهو قصر قديم يقع خارج نورويج Norwich ، قاموا بترميمه واتخذوه مركزاً ومسكناً . وسمي بمعهد الدرقاوي Darqawi Institute ، ومنه أصدروا صحيفة بعنوان (الإسلام Islam) التي صدر العدد الأول منها في حزيران ١٩٧٦م .

ومع تأسيس معهد الدرقاوي بدأ التوتر بالحدوث بين أفراد الجماعة . إذ تصاعد عدد الأفراد ليصل إلى حوالي (٢٠٠) عائلة ، وفيهم الأطفال والنساء والرجال . وازدادت حاجاتهم ، فلم تعد الحياة ملائمة . كما بدأ عدم الرضا تجاه أسلوب عبد القادر وهيئته . فقد طلب من جماعته ترك أعمالهم والذهاب في مهام معينة . كما متهم ببيع سياراتهم ، فلبى بعضهم هذا الطلب ورفض الآخرون بيع سياراتهم لحاجتهم إليها وكانت هذه الممارسة غير مقبولة من قبل الكثير من أعضاء الجماعة . إضافة إلى ذلك كان عبد القادر يسافر ويغادر بارتياح اعتماداً على المساعدات القادمة

(١) Islam: Journal of the Darqawi Institute. June 1976, p. 1.

من العالم الإسلامي^(١). أدى ذلك إلى بروز انتقاد حاد ، حتى قرر عبد القادر بوجوب مغادرة الجميع ذلك المبنى . لقد كان التناقض واضحاً بين النظرية والتطبيق .

أدت تلك التناقضات إلى أزمة داخل الجماعة . لقد كانت العلة هي فكرة اجتناب المجتمع ، ولما جاءوا في المبنى أرادوا العيش في مجتمع لكنهم لم يقوموا علاقة مع الجالية الإسلامية ، بسبب رفضهم لكل المجتمع البريطاني .

وجمدت الأزمة لفترة بسبب إجماع الأعضاء على العودة لواقع الحياة . أولاً سمح للأعضاء باستخدام الكهرباء ومنتجات التكنولوجيا الحديثة . ثم اقتنع الجميع بأن الملابس المغربية تعيق نشر الرسالة بين الإنجليز المحيطين بالمكان ، فتم خلع الروب لكن بقيت العمامة الخضراء . (ثم خلعت العمامة في وقت متأخر . أما الآن فيلبسون الروب والعمامة في خلقة الذكر فقط) . وأخيراً سمح بإرسال الأطفال إلى المدارس الإنجليزية . وانقسمت الجماعة إلى مجاميع متعددة ، وانفرط عقد الحركة الصوفية التي أسسها عبد القادر الصوفي . وبسبب هذه المشاكل هاجر عبد القادر إلى غرناطة في إسبانيا ، حيث انضمت معه مجموعة صغيرة . وبقي في أسبانيا حتى عاد إلى اسكتلندا عام ١٩٩٤م ، ولكنه حافظ على علاقة وثيقة مع أعضاء جماعته الذين بقوا في بريطانيا . وكان يتردد على بريطانيا بين حين وآخر للمشاركة في المؤتمرات ، مثل المؤتمر الذي عقد إبان حرب الخليج في آذار ١٩٩١م بعنوان (الإسلام ضد النظام الدولي الجديد) في كلية ريجنتس في لندن . وعندما كان في أسبانيا قام بتعيين (أمير) للجماعة في بريطانيا . وما تزال الجماعة نشطة ، حيث تنظم ندوات ومحاضرات ومؤتمرات وأياماً صوفية وحلقات ذكر لغير

(١) Al - Affendi, A.(1988), A false Dawn". Inquiry, I. p. 53- 54.

المسلمين الذين قد ينجذبون عبرها للإسلام .

٣- حركة المرابطين الأوربيين :

تطورت حركة عبد القادر على مرحلتين ، الأولى : عندما كان صوفياً ، وكانت دعوته في الأساس صوفية ، حيث يحتل الإسلام فيها دوراً ثانوياً . فقد ذكر الأعضاء المبكرون في الجماعة أن الارتباط فيها لا يعني الارتباط بالإسلام مباشرة . فتعاليم الصوفية كانت تقتصر على دعوة الناس وجذبهم إلى الجماعة . وفي مرحلة متأخرة أصبح الإسلام مرتبطاً بالتوصف ، حيث أخذ التركيز ينصبّ على الشكل الخارجي للدين أي الشريعة . وفي كلتا المرحلتين كان المجتمع الغربي غير مقبول . مع ذلك كان عبد القادر قد قرر في المرحلة الأولى أن يعزل الجماعة عن المجتمع ، وفي المرحلة الثانية قرر العمل داخل المجتمع . وأخذت الجماعة تدعو بالإسلام باعتباره الحل لمشاكل الثقافة الغربية «المريضة» . كما استخدمت شبكة الاتصال الاجتماعية كقناة للارتباط مع المجتمع . وأخذت تتناول المشاكل اليومية للمجتمع البريطاني كالبطالة والتفسخ العائلي .

في المرحلة الأولى كان عبد القادر يلقب نفسه بالصوفي ، وفي المرحلة الثانية صار يدعو نفسه بالمرابط ، وحركته سميت بالمرابطين :

حركة المسلمين الأوربيين **The Murabitun: European Muslim Movement** . وشيئاً فشيئاً أخذ عبد القادر يبتعد عن الصوفية ويتجه نحو الشريعة حيث انتهج المذهب المالكي ، واضعاً نموذج المدينة (المنورة) نصب عينيه^(١) . لقد كان يعتزم إحياء الصوفية ويجدّد الشريعة على المذهب المالكي ، وإن التصوف والشريعة يمكن أن يسيرا جنباً إلى

(١) as - Sufi (ad - Darqaci). Abd al - qadir (1981). Letter to an African Muslim, p.

جنب^(١).

يرجع اسم المرابطين إلى حركة تأسست عام ١٠٢٩م من قبل عالم مغربي هو عبد الله بن ياسين ، والتي سرعان ما انتشرت وازدهرت في أسبانيا^(٢). وكلمة مرابط تعني الرّوّد المسلمين الذين استقرّوا في المناطق القبلية في شمال أفريقيا . حينما لم تكن المنطقة قد دخلها الإسلام بعد. وكانوا ينشئون (رابطة) بين الإسلام والقبائل المحيطة بهم. كما أن المصطلح مشتق من لفظ (المرباط) أي الورع^(٣). وتعني لفظة (رباط) الحصن المقام على الحدود الخارجية لدار الإسلام ، حيث ينظر إليه كواجب عظيم . وهؤلاء الذين يقومون بالواجب ويدافعون عن الإسلام ، سمّوا بالمرابطين أي المجاهدين في الرباط . وقد أصبحت هذه التسمية تطلق على حركة المرابطين (al - Moravid) في أسبانيا ، وهي أسرة حاكمة حكمت هناك . إن مفهوم (الرباط) يتضمن معنى الخدمة العسكرية ومعنى الالتزام الديني . وكانت بعض الحصون (الرباطات) مركزاً لتجمع الصوفيين ، الذين كانوا يقيمون حلقات الذكر عندما لا يكونون مشغولين بعمل جهادي ، إضافة إلى الصلوات اليومية الخمس . آمن عبد القادر بمفهوم الرباط ، واعتقد أن الوقت قد حان للبدء بمهمته لتطبيق نموذج الرباط . درس الإسلام ليبين للناس أن الإسلام هو واقع سياسي بالإضافة إلى القيام بالذكر أو العبادة^(٤). ويعرف جماعة المرابطين بأنهم مسلمون وبأنهم قاعدة بشرية أمامية تتدرب وتدرس ثم تذهب لنشر رسالة الإسلام . إن حركة المرابطين تختلف كثيراً عن تلك الحركات الصوفية الكلاسيكية منذ أن أخذت بالشؤون الدنيوية وليس الآخروية.

(١) Ali Kose(1996), Conversion to Islam, p. 181.

(٢) Ahmad Thomson(1989), Islam in Andalus, p.191.

(٣) Eickelman, D.F(1981), The Middle East: An Anthropological Approach, p.289.

(٤) as - Sufi. Abd al - qadir (1798). Jihad " A Ground Plan, p. 37.

حوار

بين أخوين مسلمين

في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

✽ إعداد: الدكتور محمد علي رضالي الاصطهالي

تمهيد :

في شهر ذي الحجة المبارك من عام ١٤٢٢ هـ، وفقني ربي الكريم لأتشرف بالحج والطواف حول بيت الحبيب . ثم وفقت كذلك لآحل في رحاب المدينة المنورة ، وأزور فيها نبي الرحمة ﷺ والأئمة من أهل بيت ﷺ .

وفي يوم الاثنين المصادف الثالث والعشرين من ذي الحجة ، قرّرت الذهاب إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بزي أهل المدينة . والجامعة الإسلامية ، هي الحوزة العلمية لإخواننا أهل السنة ، تُدار بمنهج جامعي أكاديمي عصري ، ويدرس فيها الطلبة مختلف العلوم الإسلامية ، كالفقه ، والقرآن ، والحديث ، و... وعلى مستوى البكالوريوس ، الماجستير ، والدكتوراه .

في صباح ذلك اليوم وتحديدًا عند الساعة التاسعة تركت محلّ إقامتي بالفندق الواقع في شارع علي بن أبي طالب عليه السلام ، واتجهت نحو مسجد النبي صلى الله عليه وآله لأقدم تحيتي وسلامي لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام ، وطبقاً للمعلومات التي كنت قد حصلت عليها عن محل الجامعة، خرجت من الجانب الغربي من مسجد النبي صلى الله عليه وآله ، قاصداً الجامعة ، وبعد فترة وجيزة وصلت إليها .

في البداية زرت كليات الجامعة (كلية اللغة ، وكلية القرآن ، وكلية الحديث) وتعرّفت على بعض المسؤولين ، والوضع العام الذي كان يسودها .

ثم زرت المكتبة المركزية للجامعة ، والتي شغلت مساحة واسعة في طابق واحد من البناية ، وكان النظام المستخدم في ترتيبها نظاماً مفتوحاً. لكنني كلما بحثت لم أجد فيها كتب المسلمين الشيعة : في التفسير ، الفقه ، الأصول ، التاريخ ، و ..

بداية الحوار :

عندما كنت واقفاً بجانب دار النشر التابعة للجامعة الإسلامية التقيت بأحد الطلاب ، بدأت بالسلام ، وصاحبتة بالمسير نحو مسجد النبي صلى الله عليه وآله ، ثم بادرت بالسؤال :

من أيّ بلد أنتم ؟ أجابني : من لبنان (*) ؛ فاطريت على الأخوة اللبنانيين ، وخصصت منهم «حزب الله» الذين وقفوا ببسالة فائقة أمام العدو الإسرائيلي (حيث أخرجوهم أذلاء خاسرين من جنوب لبنان

(*) من خلال الحوار عرفت أنه من الفضلاء الدارسين في تلك الجامعة، وأنه من الأخوة أهل السنة ومحيط بمتون الكتب الشيعية والسنية القديمة .

وبانتصارهم هذا بعثوا السرور والبهجة في نفوس المسلمين . وهذه أول مرة ينتصر بها المسلمون على القوات العسكرية الإسرائيلية ويجبرونهم على التراجع) ؛ لكنّ هذا الطالب اللبناني لم يسره كلامي هذا ، وذكر «حزب الله» باستياء ثم قال : حزب الله اللبناني هو ضد إسرائيل وضد المسلمين !! .

قلت له : ماهي إشكالاتك على «حزب الله» حتى تذكره بسوء ؟

قال : إنهم شيعة !

قلت : وما هو الإشكال في كونهم شيعة ؟

قال : لعلك شيعياً أيضاً ؟!

قلت : أفترض أنني كذلك ، فما هو الإشكال ؟ إنَّ المسلم الشيعي والسُّنّي كلاهما يعبدان الله ويعتقدان بتوحيده ، وأن نبيهما معاً محمد ﷺ ، وكتابهما القرآن . وهذه الأصول المشتركة تشكل الأساس الذي ينطلقان منه في موقفهما صامدين أمام أعداء الإسلام والمسلمين بالرغم من الاختلاف في بعض فروع الاعتقادات والأحكام .

مسألة تحريف القرآن :

خاطبني الطالب الجامعي قائلاً : أنتم عليكم إشكالان أساسيان يوجبان الكفر ؛ أحدهما قولكم بتحريف القرآن ، وكل من يقول بذلك كافر . سألته : بأي دليل تحكم أن المسلمين الشيعة تقول بتحريف القرآن ؟ أجابني : أثبت الشيخ النوري في كتابه فصل الخطاب ، تحريف القرآن بأدلة عديدة . ووردت في كتاب الكافي رواية في هذا المضمار أيضاً . قلت له :

أولاً: إنّ قرآننا وقرآنكم واحد ، وإنّ عدد آياته ٦٢٣٦ آية لا أقل ولا أكثر ؛ بل إنّ المصاحف المطبوعة في المملكة العربية السعودية موجودة عندنا ونتلوها في مساجدنا ومنازلنا ، وهي لا تختلف عن المصاحف المطبوعة في الجمهورية الإسلامية في إيران .

ثانياً: إنّ كتاب الشيخ النوري لا يمثل أكثر من اعتقاده الشخصي . ولم ينل تأييد المرجعية الإسلامية الشيعية المعتبرة وعلمائها الأعلام ؛ بل إنّنا في الحوزات العلمية الشيعية نرفض هذا الكتاب الضعيف ، وقد دوّنا كتباً في الردّ عليه^(١) .

ثالثاً: توجد في مصادر الفريقين السنّي والشيعي روايات ضعيفة ونادرة في تحريف القرآن^(٢) ، وهي غير مقبولة لديهم ومرفوضة من قبل المحقّقين والعلماء العظام من كلا الفريقين^(٣) . وقد نهانا أهل البيت عليهم السلام عن قبول الروايات المخالفة للقرآن^(٤) ، وإن دلّ هذا فإنّما يدلّ على أنّ القرآن غير قابل للتحريف ، وأنّه المعيار لتشخيص الروايات الصحيحة من غير الصحيحة . ثم قال الطالب الجامعي : أنتم الشيعة تستخدمون التقية وتكتمون الحقائق ، وقرآنكم غير قرآن المسلمين وتقولون

(١) صدر في السنوات الأخيرة كتابان جيدان في مورد عدم تحريف القرآن؛ أحدهما صيانة القرآن عن التحريف لآية الله الشيخ محمد هادي معرفة، والآخر سلامة القرآن من التحريف للدكتور فتح الله المحمدي (نجار زادكان).

(٢) انظر: الإتيان للسيوطي ١ : ٧٩، وفتح الباري ٨ : ٥٧١، والدر المنثور للسيوطي ٨ : ٦٨٣، حيث يدّعون أنّ ابن مسعود قال : إنّ سورتي الناس والفلق ليستا من القرآن . وأيضاً في الإتيان ١ : ٨٠ ، وفصائل القرآن لابن سلام : ١٨٩ - ١٩٠ حيث يدّعون أنّ هناك سورة أخرى في مصحف أبي بن كعب، وكذلك راجع : سلامة القرآن من التحريف للدكتور فتح الله المحمدي : ٩٩ وما بعدها .

(٣) انظر نفس المصدر، وسلامة القرآن من التحريف، الفصل الثالث : أحاديث التحريف في كتب أهل السنة : ٩٩ وما بعدها .

(٤) وسائل الشيعة ١٨ ، أبواب صفات القاضي، الباب التاسع ح ١٠ ، وما بعده . يذكر هناك روايات متعددة.

بتحريفه !

فقلت له : إنَّ كلامكم هذا افتراء وتهمة ؛ فنحن عندما نقول : إننا لا نقبل هذه المطالب وقرآننا نفس هذا القرآن ، فلماذا تتهموننا ؟ (وفي هذه الأثناء خطر في ذهني خلوّ مكتبة الجامعة من أي كتاب إسلامي شيعي يمكن أن يكون في متناول الطلبة ، فعلمت أنَّ عدم اطلاع هؤلاء حول مبادئنا العقائدية الشيعية الصحيحة وكتبنا الحديث جعلهم يقعون في مأزق التعصب .

بحث أفضلية الخلفاء الثلاثة :

حينما وصل الحديث إلى هنا غيّر الطالب الجامعي موضوع الحديث وطرح إشكالاً آخرّاً على المسلمين الشيعة فقال : أنتم تلعنون أبا بكر وعمر وعثمان في حين أنهم أفضل الصحابة وكل من يلعنهم كافر .

قلت له : في الوقت الذي أشكك في صحة ما تدعيه أطرح عليك السؤال التالي : هل أنَّ الاعتقاد بأفضلية الخلفاء الثلاثة جزء من الإيمان ؟ وهل ورد في ذلك آية قرآنية ؟ أو روي عن النبي ﷺ حديث متواتر قطعي بحيث يجب على جميع المسلمين أن يعتقدوا بأفضلية الخلفاء الثلاثة ، ونحن نعلم بعدم وجود ذلك ؟!

قال : إنَّ اجماع المسلمين على أن الخلفاء الثلاثة أفضل الصحابة ؛ وبما أنكم تنكرون هذا الأمر وتلعنونهم فأنتم كافرون .

قلت له : ألم يحارب صحابة النبي ﷺ في حرب الجمل وصفين بعضهم البعض ؟ أولم تكن سورة المنافقين والآيات التي تتعلق بالنفاق

قد نزلت في بعض الصحابة ؟

إذن على فرض أن شخصاً ما يسب الصحابة - وهو أمرٌ غير صحيح برأينا - ؛ لكن هذا ليس أكبر من شئٍ حربٍ عليهم . في حين أنتم لا تقولون بكفر المحاربين لهم . بعد هذا اعترته حالة الغضب وكان يرفع صوته في كل لحظة ، ويكرر تلك المطالب نفسها .

فقلت له : اخفض صوتك ؛ فإن الله تعالى قال في كتابه الحكيم : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ وأنا لم أظلمك حتى ترفع صوتك ، والمفروض أن تكون هادئاً عند البحث العلمي خصوصاً وأنه يتم بين أخوين مسلمين ، حتى تتجلى الحقائق بشكل أوضح .

أجاب الطالب الجامعي : أمّا الخلفاء الثلاثة فمظلومون ؛ لأنكم تسبونهم (لذلك أنا أرفع صوتي) . عندما رأيته يصرّ على أفضلية الخلفاء الثلاثة ، ولم يسمح بعرض المطالب في هذا المجال بهدوء ؛ انتخبت طريقاً آخر لتبيان الحقائق . فقلت له : عندي سؤال .

أجابني : أنا لا أجيبك لأنك كافر ؛ إلا إذا ثبت ؛ ثم تحدثت معه عدة دقائق حتى أقنعت أنه يجب على سؤالي ، وعندما قلت له : أنا قطعت آلاف الكيلومترات قادمًا من الجمهورية الإسلامية في إيران ، فأرشدني ؛ عند ذلك هُداً ووافق على الإجابة على سؤالي . فسألته : هل تعرف كتاب صحيح البخاري ؟

أجاب نعم ، ذلك الكتاب الذي هو أصح الكتب بعد القرآن ، وأحاديثه صحيحة ومورد قبول أهل السنة . قلت له : هناك حديثان في صحيح البخاري ، الأول في كتاب فضائل الصحابة (باب مناقب فاطمة ج ٢) جاء

فيه : أن رسول الله ﷺ قال : « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني »^(١).

وجاء في الحديث الثاني المروي عن عائشة في كتاب فرض الخمس ، الباب الأول : « إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه . فقال لها أبا بكر : إن رسول الله قال : لا نورث^(٢) ، ما تركنا صدقة . فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر »^(٣).

قلت له : أنا لا أدري كيف يكون الجمع بين هذين الحديثين وما هو معناهما ؟ إذا أغضب أحد فاطمة فإنه سيكون مورداً لغضب النبي ﷺ وطبقاً لحديث عائشة فإن أبا بكر أغضب فاطمة . إذن كيف يكون أفضل الصحابة ؟

عندما طرحت هذا السؤال عليه ، كنا جالسين في السيارة وعلى قرب من مسجد النبي ﷺ صاح متفعلاً : أنتم تكذبون علينا .

قلت له : هذه الأحاديث نقلها البخاري في صحيحه ، وأنا حكيتها لك فقط . تستطيع أنت مراجعتها لتتأكد من صحتها ؟

قال الطالب الجامعي : نحن لا نقبل منكم الرواية . يجب أن نذهب إلى مكتبة مسجد النبي ﷺ ونجمع الناس وعليك هناك أن تريني تلك الأحاديث .

قلت له : حسناً جداً ، لا مانع من ذلك سنذهب وسأدلك عليها .

(١) صحيح البخاري ٢ : ٢٥٠ ، ح ٢٧٦٧ ، بيروت : دار احياء التراث العربي .

(٢) أولاً : يرد على حديث الأنبياء لا يورثون : إن راويه أبو بكر كان نفسه مدعياً في تلك الدعوى ، وثانياً : إن هذا الحديث مخالف لظاهر القرآن ، حيث أن سليمان ورث داود كما في سورة النمل ، الآية : ١٦ .

(٣) انظر ذيل الآية : ﴿ وآت ذي القربى حقه ﴾ الإسراء : ٢٦ .

لم يمض وقت طويل حتى وصلنا إلى مسجد النبي ﷺ ، هداً تدريجياً وشرب قليلاً من الماء على حاشية المسجد وقال : أنا ذاهب إلى الطابق السفلي من المسجد لأتوضأ ثم نذهب سوياً إلى المكتبة . أنا أيضاً ذهبت للوضوء ثم رجعت ؛ لكنني لم أجده (والذي أتصوره أنّ هذا الطالب الجامعي كان يعلم أن الأحاديث التي نقلتها له موجودة في الصحاح لهذا فضّل عدم مواصلة الحوار لئلا يلزم نفسه الحجة) .

وبعد يأسي من عودته سلّمت على النبي ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ ثم توجهت لأداء فريضة الظهر في مسجد النبي ﷺ وشكرت الله تعالى على هدايته لي وإدراكي لحقائق الإسلام على صراطه المستقيم وعدم سقوطي في عالم التعصب المذموم .

أجل هناك علاقة مباشرة بين الجهل والتعصب . وحدثت نفسي : ياليت الشعوب الإسلامية والمذاهب الإسلامية تقترب من بعضها البعض أكثر فأكثر ، ويطالعون كتب الطرف الآخر وعقائده ، ولا يهتمون بعضهم البعض بهذا المقدار ، ولا يجعلون الأعداء يفرحون بتفريقنا ، ولا يمنحون الفرصة لمستكبري العالم وطواغيته ليمرروا مخططاتهم الخبيثة في تمزيق أمتنا الإسلامية الواحدة . وهنا تجلت لي أكثر من قبل ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتبادل الكتب والاساتذة بين حوزات وجامعات الدول الإسلامية ، ولزوم الحوار بين شخصيات المذاهب الإسلامية . وعندها تأوهت حسرة ثم ترحمت على الروح الواعية لآية الله البروجردي رحمه الله وكذلك على روح الإمام الخميني رحمه الله اللذين كانا قد شخّصا بقوة ووعي الحاجة الأساسية للمجتمع المسلم فرفعوا نداءهما بالوحدة والتقريب .

الشريف المعتمد عبد العظيم الحسيني عليه السلام

(٢)

✽ عز الدين سليم (المراق)

طبيعة الظرف السياسي الذي عاشه الشريف الحسيني عليه السلام :

منذ وفاة الخليفة العباسي هارون الرشيد عام (١٩٣ هجرية) بدأت ظواهر الضعف تبرز على جسم الدولة العباسية رويداً رويداً، وكانت أبرز هذه الظواهر قد تجلت بالصراع على الملك بين ولدي هارون الرشيد: محمد الأمين وعبد الله المأمون، حيث تحصن الأول في العاصمة بغداد، وتحصن الثاني في عاصمة خراسان الكبرى واشتد الصراع العسكري بينهما حتى أطاح المأمون أخيه الأمين عام ١٩٨ هجرية.

وفي هذه المرحلة بالذات كان التشيع للأئمة من آل البيت عليهم السلام قد بلغ أوجه في جميع الأقاليم المسلمة، فرأت حكومة الخلافة أن تغير

سياستها من العنف والمطاردة والإرهاب إلى المهادنة واللين .
 وكان المأمون هو مهندس هذه السياسة الخبيثة من أجل استيعاب
 الشيعة أو إلهائهم على الأقل ، وقد انعقدت لديه فكرة تسليم ولاية عهده
 للإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي فرضت عليه في
 ظروف ملقمة عام ٢٠١ هجرية حيث غادر المدينة المنورة إلى خراسان
 من أجل هذا الغرض ، بيد أنه استشهد بالسم عام ٢٠٣ هجرية ، كما
 استشهد بعده ولده الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام عام ٢٢٠
 هجرية في بداية حكم المعتصم بن هارون الرشيد .

ومنذ عصر المعتصم وما بعده من سلاطين العباسيين اتجه الحكم
 العباسي إلى فرض الإقامة الجبرية على أئمة الهدى من آل الرسول عليه السلام ،
 حيث شملت هذه السياسة الخبيثة الإمام الجواد عليه السلام في آخر أيامه ، ولده
 علي بن محمد الهادي وحفيده الحسن بن علي العسكري عليه السلام ، حيث
 قضى الإمام محمد الجواد عليه السلام شهيداً بعد أن دس له السم في بغداد ، كما
 قضى الإمامان الهامان شهيدين بعده تبعاً في سامراء العاصمة
 العباسية منذ عصر المعتصم .

وفي هذه المرحلة الحساسة برزت ظاهرتان في الدولة العباسية :

١ - ظاهرة ضعف الحكام العباسيين نتيجة ترفهم وفسادهم
 الأخلاقي وقصر الفترة التي يباشرون بها الحكم ، وهذه الظاهرة برزت
 أكثر منذ أيام المعتصم العباسي .

ونترك وثائق التاريخ هنا لتعكس هذا الواقع الذي طفق على جسم
 الدولة العباسية ، بأوضح معالمه ، يقول ابن الأثير الجزري في تاريخه
 مايلي : «ولما بويغ له - للمعتصم - شغب الجند ، ونادوا باسم العباس بن
 المأمون ، فلما صار المعتصم خليفة كان اسمها له ، وكان معناها للفضل

ابن مروان كاتب المعتصم - واستولى على الدواوين كلها، وكنز الأموال، وكان المعتصم يأمره بإعطاء المغني، والنديم، فلا ينفذ الفضل ذلك...»^(١)، حتى قال له مهزجه الخاص واسمه ابراهيم (الهفتي) مذكراً إياه أن الأعطية التي أمر له بها لم ينفذها الفضل، فقال: «لا والله مالك من الخلافة إلا اسمها، ما يتجاوز أمرك أذنك، إنما الخليفة الفضل»^(٢).

وذكر إسحاق الموصلي المغني العباسي الشهير: «أتيت أمير المؤمنين المعتصم بالله يوماً، وعنده قينة، كان معجباً بها، وهي تغنيه، فلما سلّمت، وأخذت مجلسي، قال لها: خذي فيما كنت فيه، فغنت، فقال لي: كيف تراها يا إسحاق قلت: يا أمير المؤمنين أراها تقهره بحذق، وتخله برفق، ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه، وفي صوتها قطع شذور، أحسن من نظم الدر على النحور، فقال: لصفتك لها، أحسن منها، ومن غنائها...»^(٣).

«وكان له غلام يقال له عجيب، وكان مشغولاً به وينظم فيه الشعر»^(٤).

وفي هذه المرحلة، خصوصاً بعد انتقال العاصمة العباسية إلى سامراء لعبت القوى العسكرية المتنفذة في البلاد دوراً مثيراً في تصريف أمور الدولة، خصوصاً قادة العساكر من الأتراك الذين اعتمدتهم المعتصم في حماية الدولة منذ انتقاله إلى سامراء عام ٢٢١ هجرية.

فقد سلّم الخلفاء العباسيون بعد المعتصم بعض أقاليم الدولة إلى القادة الأتراك لاسترضائهم، كما فعل الواثق العباسي مع قائده التركي

(١) الكامل في التاريخ ٦: ٤٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٦: ٤٥٣.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣١٧.

(٤) تاريخ الخلفاء، للسيوطي: ٣٨١.

أشناس ، حيث ولّاه المغرب ، وولّى خراسان لآيتاخ التركي وأضاف لها السند^(١).

وفي هذه المرحلة من مسيرة الدولة العباسية تصاعدت حالة البذخ والترف والفساد في القصور السلطانية .

يقول ابن الأثير عن عام ٢١٠ هجرية ما يلي : «وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل في رمضان ، فلما دخل عليها المأمون كان عندها حمدونة بنت الرشيد وأم جعفر زبيدة أم الأمين ، وجدتها أم الفضل ، والحسن بن سهل فلما دخل نثرت عليه جدتها ألف لؤلؤة من أنفاس ما يكون فأمر المأمون بجمعه ، فجمع ، فأعطاه بوران ، وقال : سلي حوائجك ... وألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية الأموية ، وابتنى بها في ليلته ، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون مثاً ، وخلع الحسن بن سهل على القواد على مراتبهم ، وحملهم ، ووصلهم . وكان ما لزمه خمسين ألف ألف درهم ، وكتب الحسن أسماء ضياعه في رقاع ، ونثرها على القواد ، فمن وقعت ، بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها^(٢) .

ومن مظاهر البذخ العباسي في ذلك الزمن الرديء أنه «كان للوائق بن المعتصم خوان من ذهب مؤلف من أربع قطع يحمل كل قطعة عشرون رجلاً»^(٣).

ويتحدث المؤرخون عن نهاية المتوكل العباسي الأرعن فيقولون : إن جنده من الترك قد اتفقوا مع ولده المنتصر لقتل أبيه ، «فدخل عليه خمسة ، وهو في جوف الليل في مجلس لهوه ، فقتلوه هو ووزيره الفتح

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٧٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٦ : ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ٣٨٨ .

ابن خاقان في الخامس من شوال عام ٣٤٧ هجرية»^(١).

هذه صور عن كيفية هدر أموال الأمة في ذلك الزمان النحس ، وعن كيفية إدارة أمور المسلمين بينما يتضور الملايين جوعاً ، ويطارد المطالبون بالعدل والحق ، أو يختفون في التراب أو الطوامير ! وفي هذه الفترة - خصوصاً بعد عصر المعتصم بن الرشيد - ضعف الخلفاء أمام الجنس والبذخ وهنوا أمام القواد من الأتراك ، حيث صار الخليفة رهينة بيد مخنث أو حسناء أو نزوات قواده .

ولقد وصف شاعر المرحلة بعض مظاهر ذلك الضعف بقوله :

خليفة في قفص بين وصيف وبُغا
يقول ما قال له كما تقول الببغا

٢ - ظاهرة التحرك العلوي المسلح :

منذ النهوض الحسيني المظفر في وجه الانحراف الأموي في مطالع عام ٦١ هجرية ، وما أفرزته تلك النهضة المباركة من نتائج عظيمة في كيان المسلمين ، وظاهرة «الخروج» على السلطات الظالمة تتواصل ، وتتجذر في كيان المسلمين وضمائرهم .

فلقد شهدت المرحلة الممتدة منذ حركة الطفوف المضمخة بدم الشهداء من آل محمد ﷺ عام ٦١ هجرية ، وعلى مدى أربعة قرون العشرات من النهضات العلوية المدوية في وجه الظلم والانحراف ، وسوء الإدارة والتجاوز على مقدرات المسلمين ومصالحهم .

وظل آل النبي ﷺ يقدمون دماءهم سخية من أجل الإسلام ومصالح الأمة طوال عهود الخلافة الأموية والعباسية ، ويشككون صرخة مدوية في وجه الطواغيت والمنحرفين من حكام الجور الذين ابتليت بهم أجيال

المسلمين المتعاقبة منذ بداية الحكم الأموي القائم على جماجم الأبرياء حتى سقوط دولة بني العباس في منتصف القرن السابع الهجري على أيدي المغول .

وكان نصيب الخلافة العباسية الظالمة من نماذج النهوض العلوي والمواجهة الحسينية أكبر بكثير من المواجهات الباسلة التي جرت بين آل رسول الله ﷺ ، وبني أمية .

ويمكننا أن نعدّد الانتفاضات العلوية التي اندلعت ضد الطواغيت أيام أبي القاسم عبد العظيم الحسني وهي الفترة المحصورة بين إمامة أبي جعفر محمد بن علي الجواد ونهاية إمامة ولده علي بن محمد الهادي عليه السلام . فنذكر منها ما يلي :

١ - ثورة الكوفة عام ٢٠٢ هجرية :

انتفضت الكوفة في وجه الطغيان العباسي عام ٢٠٢ هجرية بقيادة أبي عبد الله بن منصور من بني ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وتولى الزعامة الروحية لهذه الحركة : علي بن محمد بن الإمام الصادق ، جعفر ابن الإمام الباقر ، محمد بن الإمام السجاد ، علي بن الحسين سبط رسول الله ﷺ .

وقد كانت الانتفاضة ردّاً على إصرار والي الكوفة العباسي على حمل أهلها على طاعة الخليفة المأمون ، بينما كان الناس في هذه المدينة أتباعاً لأهل بيت النبي ﷺ لا يرون أحداً أحق بالخلافة من الإمام الوصي علي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام .

وقد اندلع القتال بين رجال الانتفاضة ، وأنصار العباسيين ، وانتشرت الحرائق في المدينة ، وقدم الثوار الكثير من الخسائر في الأنفس

والممتلكات بسبب موقفهم المبدئي ذاك ، إلا أن الانتفاضة ارتبكت بعد عملية اغتيال قائدها العسكري أبي عبد الله بن منصور ، واستسلام بعض المترفين من أهل الكوفة للمأمون العباسي بعد وروده إلى بغداد قادماً من خراسان ، وذلك بعد شهادة الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام .

٢ - ثورة عبد الرحمن بن أحمد العلوي :

وهي الحركة التي اندلعت ضد العباسيين في اليمن عام ٢٠٧ هجرية بقيادة عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي دعا أهل اليمن إلى الرضا من آل محمد ﷺ^(١) ، واجتمع لنصرته جماهير واسعة من اليمانيين ، خصوصاً المستضعفون منهم . وهذه الحركة لم يشأ الطبري ولا غيره أن يعطوا تفصيلات مناسبة عنها إلا أن المؤرخين أكدوا أن المأمون بعد انهيار مقاومة الثورة في اليمن عيّن عليها والياً خبيثاً من أبناء زياد بن أبيه يدعى محمد بن إبراهيم الزيادي^(٢) ، وعيّن له وزيراً لنصرته هو سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي المعروف ، كما فرض على العلويين لبس السواد ، وهو لباس العباسيين ، إمعاناً في تغييب هوية العلويين الذين اعتادوا لبس الخضرة . وقد منح المأمون واليه المزيد من الصلاحيات من أجل تتبع أنصار أهل البيت عليه السلام في ذلك البلد حتى أقام دولة ذات حكم ذاتي ضمن حدود الدولة العباسية ، بسبب خدماته الكبيرة للسلطان العباسي ، سمّيت بالدولة الزيادية تداول حكمها أحفاد زياد بن أبيه حتى عام ٥٥٣ هجرية .

(١) الرضا من آل محمد: مصطلح يراد به إمام الوقت من أئمة أهل البيت (ع) دون ذكره باسمه صيانة له من الأعداء .

(٢) جهاد الشيعة : سميرة الليثي : ٣٧٦ .

٣- ثورة محمد بن القاسم العلوي :

من أهم الثورات التي اندلعت في عهد الشريف عبد العظيم بن عبد الله الحسيني كانت ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم آلاف التحية والسلام ، ويكنى أبا جعفر ، وذلك عام ٢١٩ هجرية .

كان محمد بن القاسم من أهل العلم والفقه ، والدين ، والزهد وحسن المذهب^(١) ، وقد بدأت دعوته في خراسان فنشط أتباعه في دعوة الناس وربطهم به حتى بلغ أنصاره يومذاك أربعين ألفاً .

ثم غادر إلى الطالقان ، ودعا الناس إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، ولما كثر مريدوه ، وذاع اسمه في تلك الأقاليم بدأ عملياته العسكرية التي حققت انتصارات محلية في بادئ الأمر .

إلا أن الحكومة المحلية جندت قوات كثيفة لنصرة عمالها وأنصارها في تلك البقاع ، فكسر جيش أبي جعفر العلوي ﷺ ، فانتقل إلى «نسا» في خراسان ، إلا أن عيون السلطة كشفت وجوده هناك ، فألقت عليه القبض شرطة والي نيشابور «عبد الله بن طاهر» ثم نقل إلى الخليفة العباسي المعتصم في بغداد وادخل حاسراً بأمر من الطاغية .

وكان مجلس الحاكم الطاغية غاصاً بالمتفرجين على المهرجين وكان مجلس المعتصم عامراً بالرقص والغناء ، والمجون بمناسبة يوم النوروز عام ٢١٩ هـ .

والمعتصم ينظر إلى تلك النشاطات الماجنة في خيلاء وبهجة ، وهو يغرق بالضحك تارة من هذا المشهد وتارة من ذلك .

(١) مقاتل الطالبين : ٥٧٨ .

فلما أدخل الجلاوزة ذلك البطل العلوي المفيد بسلاسل الطاغية والظلم ، ورأى ذلك المشهد الخليع بكى وهو يرفع يدي الضراعة قائلاً : اللهم إنك تعلم أنني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وإنكاره^(١) ، ثم اشتغل بذكر الله وتسبيحه ، وبالدعاء على الظالمين^(٢) .

وبعد أن وقف أبو جعفر العلوي طويلاً بين يدي طاغية الزمان حانت منه التفافة إليه ، فأمر بإلقائه في سرداب كالبئر كاد أن يموت من ضيقه^(٣) . وهكذا يعبت الظلم والإرهاب ، والكبرياء الفرعوني بالنفوس الزكية الشامخة .

ثم نقل بعد حين إلى غرفة في بستان ، وحبس فيها . وبعد أن قضى أشهراً في سجن الطاغية ، دبّر حيلة ، وهرب من سجنه في ليلة عيد الفطر من تلك السنة ، واختفى في واسط حتى وفاته رضي الله عنه ، بينما تفيد معلومات أخرى أن هذا العلوي الكريم ، أُلقي عليه القبض في عهد الطاغية المتوكل ، فقضى نحبه مسموماً^(٤) في سجنه في سامراء .

٤ - ثورة محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام :

وهذه الثورة اندلعت على مقربة من المدينة المنورة ، إلا أنها لم يكتب لها النجاح ، ثم ألقي عليه القبض ، وقضى ثلاث سنين في سجن المتوكل فوافته المنية .

(١) مقاتل الطالبين : ٥٨٥ .

(٢) نفس المصدر السابق : ٥٨٥ .

(٣) مقاتل الطالبين : ٥٨٥ والطبري ٧ : ٢٢٤ .

(٤) مقاتل الطالبين : ٥٨٧ - ٥٨٨ ، وانظر قصة هروبه أيضاً فيه وفي الطبري ٧ : ٢٢٤ .

٥- ثورة الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (١):

اندلعت هذه الثورة بناء على طلب من أهل طبرستان الذين عانوا من ظلم الولاة العباسيين ، فاتصلوا بالحسن بن زيد عليه السلام ، فاستجاب لطلبهم بعد أن مكّنه من نصرتهم وعاهدوه على ذلك ، وبإيعاه أهل الديلم ، وكلار وشالوس وغيرها ، ثم زحف على أمل وفتحها عنوة بعد هزيمة العباسيين ، ثم فتح بلاد الري ، وقد بقي حاكماً لهذه البلاد حتى توفي عام ٢٧٠ هجري .

٦- ثورة يحيى بن عمر الطالبي (٢):

اندلعت هذه الثورة في الكوفة عام ٢٥٠ هجري بقيادة العلوي الحسيني يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

وكان سببها ظلم الولاة العباسيين ، وقهرهم للمستضعفين واستهتار الحكم بحقوق الأمة لا سيما آل محمد عليهم السلام وقد سيطر بداية أمره على الفلوجة غرب العراق ، وفتح السجون واطلق سراح المعتقلين المعذبين فيها ، ثم توجه إلى الكوفة وعندها وقعت أشد المعارك ضراوة مع العباسيين ، فقتل يحيى فيها ، وانكسر جيشه وحمل رأسه إلى الطاغية في سامراء ، وكان يومها المستعين العباسي .

هذه أمهات الثورات العلوية التي شهدتها أيام الإمام محمد بن علي الجواد وولده الإمام علي بن محمد الهادي صلوات الله عليهما .

(١) راجع الطبري ٧: ٤٢٩ .

(٢) راجع الطبري ٧: ٤٢٥ .

على أن المؤرخين قد أحصوا من الانتفاضات العلوية التي دوت ضد الظلم في تلك الفترة العصبية من مسيرة الإسلام والأمة «وهي فترة حكم المأمون فالمعتصم ، فالواثق ، فالمتوكل ، فالمنتصر ، فالمستعين ، فالمعتز» فبلغت أهمها إثنتي عشرة^(١) انتفاضة في وجه الطغيان العباسي الأسود .

إن الانتفاضات العلوية الشجاعة ، وما يتبعها من قتل وتدمير ، ومتابعة للعلويين وأتباعهم ، وما يترتب عليها من ضيق ، وقط أرزاق ، وثكل للأمهات ، وفقد للأعزاء عادة عاشها كلها الشريف أبو القاسم عبد العظيم الحسيني رحمته الله بكل شؤونها وشجونها ، حيث عاش هذه الفترة بكل آلامها ودموعها ، وظلمها وإرهابها ، ولا ندري لعله ساهم بمستوى معين في إحدى هذه الانتفاضات الكبرى ففرّ إلى الري ، فاختلف في فيها ، أو شملته المطاردة العباسية الظالمة بسبب كونه أحد علماء أهل البيت عليهم السلام في زمانه ، وواحدًا من أبواب علومهم ، وأسرارهم .

العلويون في عهد المتوكل :

رغم أن أغلب طغاة بني العباس قد تفتنوا في إيذاء آل محمد عليهم السلام ، وقتلهم ، وتشريدهم ، واستحياء نسائهم ، وإبادة رجالهم^(٢) إلا أن المتوكل قد شكّل حلقة متميزة في عدوانه على آل الرسول عليهم السلام وذرائعهم ، حتى فعل ما لم يفعله أحد من بني العباس على الإطلاق . فقد تولّى الحكم هذا الطاغية الأهوج (جعفر بن المعتصم بن الرشيد) الملقّب بالمتوكل بعد وفاة الواثق وذلك في ذي الحجة من عام ٢٣٢

(١) راجع مقاتل الطالبين : ٥٧٢ - ٦٧٢ .

(٢) انظر كتاب مقاتل الطالبين «نموذجاً» .

هجرية^(١)، وكان من خصائص هذا الطاغية العايب مبالغته في معاداة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وذريته عليه السلام.

فقد ذكر المؤرخون حول ذلك ما يلي :

«كان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم ، وكان من جلة ندمائه عبادة المخنث ، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه ، مخدة ، ويكشف رأسه وهو أصلع ، ويرقص بين يدي المتوكل ، والمغنون يغنون : قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين ، يحكي بذلك عليّاً عليه السلام والمتوكل يشرب ويضحك ففعل ذلك يوماً والمعتصم حاضرٌ ، فأوماً إلى عبادة يتهدّده ، فسكت خوفاً منه فقال المتوكل : ما حالك فقام ، وأخبره فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكاتب ، ويضحك منه الناس ، هو ابن عمّك وشيخ أهل بيتك ، وبه فخرك ، فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه ! فقال : المتوكل للمغنين غنّوا جميعاً :

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في حِرْ أمّه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل وقيل أن المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء : المأمون والمعتصم والواثق ، في محبة عليّ وأهل بيته ، وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب ، والبغض لعليّ ، منهم : علي بن الجهم ، الشاعر الشامي ، من بني شامة ابن لؤي ، وعمر بن فرح الرُّخميّ ، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة ، من موالى بني أمية ، وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة ، وكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه

(١) تاريخ الخلفاء ، للسيوطي : ٣٩١ .

بإبعادهم ، والإعراض عنهم ، والإساءة إليهم ثم حسّنوا له الواقعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علوّ منزلتهم في الدين ، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما كان^(١).

وقد ترجم الطاغية المتوكل هذا الحقد على آل الرسول ﷺ من خلال ممارسات عديدة منها :

١ - العمل كل ما من شأنه الحط من قيمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على وجه الخصوص ، واستعمال أخط الأساليب وأخسها لتنفيذ هذه الخطة من خلال الغناء العابث ، أو السخرية أو إنشاد الشعر وبث الاشاعات ، ونسج القصص ، ووضع الأحاديث والروايات من أجل هذه المهمة القذرة .

٢ - فرض الحرب الاقتصادية على آل الرسول ﷺ وقطع أرزاقهم ، ومنع حقوقهم .

٣ - العمل ما استطاع لمحو آثار أهل البيت عليهم السلام كما فعل بالنسبة لقبر سيد الشهداء سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

٤ - مواجهة الانتفاضات العلوية الشجاعة بالفتك والإرهاب والقتل الجماعي كما لاحظنا .

٥ - فرض الإقامة الجبرية على إمام الهدى أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام ونقله من المدينة المنورة إلى سامراء ، ووضعه تحت الإقامة الجبرية .

ونترك هنا نصوص التاريخ ووثائق السيرة أن تتحدث عن هذه المأساة الإنسانية التي حلت بالإسلام والمسلمين طوال خمسة عشر عاماً وهي الفترة التي تسلّم فيها ذلك الطاغية المجرم حكم المسلمين :

«كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب ، غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم ، وسوء الظن والتهمة لهم ، واتفق له أن عبید الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسيء الرأي فيهم ، فحسن له القبيح في معاملتهم ، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله ، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة»^(١). وبعث برجل من أصحابه يقال له : الديزج ، وكان يهودياً فأسلم ، إلى قبر الحسين ، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراجه كل ما حوله ، فمضى لذلك وخرّب ما حوله ، وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب ، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد ، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه ، وأجرى الماء حوله ، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل ، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه .

فحدثني محمد بن الحسين الأشناني ، قال :

بَعْدَ عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً ، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها وساعدني رجل من العطارين على ذلك ، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى أتينا نواحي الغاضرية ، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا ، فجعلنا نشمه ونتحرى جهته حتى أتينا ، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق وأجرى الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق ، فزرناه وأكبنا عليه فشمنا منه رائحة ما شمت مثلها قط كشيء من الطيب ، فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحة هذه فقال : لا والله ما شمت مثلها كشيء من العطر ، فودعناه وجعلنا حول القبر

علامات في عدة مواضع ، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه»^(١).

«واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرّج الرّحّجي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البر بهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً أبرّ أحداً منهم بشيء وإن قلّ إلا أنهكه عقوبة ، وأثقله غمّاً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر ، إلى أن قُتل المتوكل ، فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم ، ووجّه بمال فرقته فيهم ، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ومضادة مذهبه طعناً عليه ونصرة لفعله»^(٢).

«وفي سنة ٢٣٦ هـ أمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وخرب وبقي صحراء ، وكان المتوكل معروفاً بالتعصب ، فتألم المسلمون من ذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء ، فما في ذلك :

بالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميماً
وحول فرض الإقامة الجبرية على الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام
يذكر المؤرخون هذه النصوص :

«قال علماء السير : إنما أشخصه المتوكل من مدينة رسول الله إلى

(١) مقاتل الطالبيين : ٥٩٨ .

(٢) المصدر السابق .

بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته قبله مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه فدعا يحيى بن هرثمة وقال إذهب إلى المدينة وانظر في حاله وأشخصه إلينا ، قال يحيى فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا قال يحيى : فجعلت اسكنهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكره وأنه لا بأس عليه ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته ، فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان والياً على بغداد فقال لي : يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم فإن حضرته عليه قتله . وكان رسول الله خصمك يوم القيامة فقلت له : والله ما وقعت منه إلا على كل أمر جميل ثم صرت به إلى سر من رأى ، فبدأت بوصيف التركي فأخبرته بوصوله فقال : والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك قال : فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق ، فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهادته وأنني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وأن أهل المدينة خافوا عليه فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل بره وأنزله معه سر من رأى^(١) .

«وكان من سبب شخوص أبي الحسن عليه السلام إلى سر من رأى : أن عبد الله بن محمد كان يتولى الحرب والصلاة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فسعى بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل ، وكان يقصده بالأذى ، وبلغ أبا الحسن سعايته به ، فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد ويكذبه

(١) تذكرة الخواص ، للعلامة سبط ابن الجوزي : ٢٢٢ .

فيما سعى به ، فتقدم المتوكل بإجابته عن كتابه ودعاه فيه إلى حضور
العسكر على جميل من الفعل والقول ، فخرجت نسخة الكتاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك راع لقربتك ، موجب لحقك ،
مؤثر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك وحالهم ،
ويثبت به عزك وعزهم ، ويدخل الأمن عليك وعليهم ، يبتغي بذلك رضا
ربه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم ، وقد رأى أمير المؤمنين صرف
عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك
واستخفافه بقدرك ، عندما قرفك به ونسبك إليه من الأمر الذي علم أمير
المؤمنين براءتك منه ، وصدق نيتك في برك وقولك ، وأنت لم تؤهل
نفسك لما قرفت بطلبه ، وقد ولي أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد
ابن الفضل ، وأمره بإكرامك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك ،
والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك .

وأمير المؤمنين مشتاق إليك ، يحب إحداث العهد بك والنظر إليك ، فإن
نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل
بيتك ومواليك وحشمك ، على مهلة وطمأنينة ، ترحل إذا شئت وتنزل إذا
شئت وتسير كيف شئت ، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى
أمير المؤمنين ومن معه من الجند يرتحلون برحيلك ويسيروا بسيرك
فالأمر في ذلك إليك ، وقد تقدمنا إليه بطاعتك ، فاستخر الله حتى توافي
أمير المؤمنين ، فما أحد من أخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه
منزلةً ، ولا أحمده أثرةً ، ولا هو لهم أنظر ، وعليهم أشفق ، وبهم أبر ،
وإليهم أسكن ، منه إليك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إبراهيم بن العباس في شهر كذا من سنة ثلاث وأربعين ومائتين»^(١).

وهكذا تؤكد هذه الوثائق التاريخية على عدوانية الطاغية المتوكل على كل ما يتصل بأهل بيت رسول الله ﷺ.

فهو يعادي أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بأشد ما يعادي أهل الباطل الحق ورجاله ، ويتبع شتى الأساليب والوسائل من أجل المبالغة في هذا العدوان من تقريب أعداء أهل البيت ﷺ وقتل الموالين لهم ، كما فعل بالنسبة للعالم اللغوي الخالد ابن السكيت (يعقوب بن إسحاق) الذي كان سبب قتله : أن المتوكل سأله : أيهما أحب إليك ، المعتز والمؤيد - ابنا المتوكل - أو الحسن والحسين فقال ابن السكيت :

قنبر - مولى علي بن أبي طالب ﷺ - خير من المعتز والمؤيد ، ثم ذكر الحسينين ﷺ بما هما أهل له من الفضل فدعا المتوكل جلاوزته فداسوا بطن ابن السكيت فمات من ذلك^(٢).

وقد بلغ من شدة عدوانه ، وحقده على آل رسول الله ﷺ أن هدم قبر أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ وكربه وزرعه^(٣) ، ومنع من زيارته - كما تحدثت الوثائق التاريخية - واستعان باليهود لتنفيذ هذه المهمة القذرة حتى فاق الأمويين في إجرامه .

وكانت عمليات قطع الأرزاق عن العلويين ، والمحاصرة الاقتصادية أشد بكثير من محاربة مشركي قريش ومحاصرتهم لرسول الله ﷺ وبني هاشم في شعب أبي طالب ﷺ ، ولعل هذه العبارة أدق ما يعكس حالة العلويين في عهد ذلك الطاغية «... حتى كان القميص يكون بين

(١) الكافي ١ : ٤١٩ / ٧ ، والإرشاد ٢ : ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢) الكامل في التاريخ ٧ : ٩١ ، وتاريخ الخلفاء : ٣٩٤ .

(٣) كربه : أعد أرضه للزراعة بآلات الزراعة المعروفة .

جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرفعه ، ويجلسن على مغازلهن عوارى ، حواسر...»^(١).

هذا إضافة إلى قتل العلويين الثوار ، وإشاعة الرعب في أنصارهم ، وتشريدهم في البلدان وتقصي أخبارهم ، ومتابعتهم في كل موقع . هذه بعض معالم الظرف السياسي والأمني التي عاصرها الشريف أبو القاسم عبد العظيم الحسني عليه السلام :

من مطاردة الحكام العلويين ، وإعزاز أئمة الجور لفقهاء السلاطين ، وتتبع آثار أهل البيت عليهم السلام بالعدوان ، إلى إعلان الحرب الاقتصادية على ذرية آل النبي صلى الله عليه وآله ، والتجسس عليهم ورصد تحركاتهم العلمي والسياسي ، ومقابلة ذلك من قبل أبطال العلويين وأنصارهم بالتحدي والمواجهة وإشعال فتيل الثورات في مختلف البقاع وما إلى ذلك .

وفي خضم هذه الأحداث الكبيرة كان الشريف عبد العظيم الحسني عليه السلام قد اختفى عن عيون السلطة في بلاد الري .

ومن المؤكد أن يكون اختفاؤه بعد اشتداد المحنة على الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي صلوات الله عليه لأن الملاحظ من السيرة والأحاديث أن الشريف أبا القاسم كان قد التقى بالإمام الهادي عليه السلام وسمع منه ، وعرض دينه عليه ، كما أن بعض الشيعة في تلك الفترة كانوا يلتقون بالإمام عليه السلام ويسمعون منه ، ويقدمون له المعلومات عن أوضاعهم ، ويضع لهم برامج العمل ، وخطط المستقبل ، وكان يرشد بعضهم إلى الشريف عبد العظيم عليه السلام ويأمرهم ببقائه ، وطلب العلم من

(١) مقاتل الطالبين : ٥٩٩ .

لذنه كما رأينا بعض الروايات فيما مضى^(١).

ومن المؤكد أن تكون هذه اللقاءات قد جرت في وقت فيه متسع للحركة والتأثير ، وأرجح أن يكون ذلك في بداية وصول الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء ، أما بعد اشتداد المحنة ، فقد تعذر الاتصال المباشر بين الإمام علي عليه السلام ومحاور حركة الأئمة وأنصارهم في العالم ، حيث تفيد بعض المعلومات أن «سمانة» والد الإمام عليه السلام قامت بمسؤولية الاتصال بمفاصل حركة الأئمة عليهم السلام لإيصال التوجيهات إليهم ، والاطلاع على أخبارهم .

إن اختفاء الشريف أبي القاسم الحسني عليه السلام بذلك الشكل الذي ذكرته كتب الرجال ، يدلّ على أنه كان مطارداً من أجهزة حكومة المتوكل ولذا كان حريصاً أن يخفي أمره بشكل كامل حتى أنه أخفى اسمه ولقبه ونسبه ، حتى وفاته رضوان الله تعالى عليه حيث عثر على ورقة في جيبه تتحدث عن اسمه الكامل .

وما ذكره النجاشي ، والصاحب بن عباد عن سيرته ووفاته بشكلها المقتضب هو الأصوب عندي ، لا ما تصوره بعض المتأخرين من أنه دفن حياً^(٢) ، ولا بأس بتثبيت ما ذكره النجاشي^(٣) ، في رجاله عنه عليه السلام كاملاً :

عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليه السلام ، أبو القاسم .

له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام ، قال أبو عبد الله الحسين بن عبيد

(١) خاتمة مستدرک الوسائل ٤ : ٤٠٦ .

(٢) الشيخ محمد شريف الرازي ، تذكرة المقابر في أحوال المفابر (فارسي) : ٣٩ طقم .

(٣) رجال النجاشي : ٢٤٧ - ٢٤٨ .

الله : حدثنا جعفر بن محمد أبو القاسم قال : حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن خالد البرقي قال : كان عبد العظيم ورد الرّي هارباً من السلطان ، وسكن سرباً في دار رجل من الشيعة في سكة المولى ، وكان (فكان) يعبد الله في ذلك السرب ، ويصوم نهاره ، ويقوم ليله ، وكان (فكان) يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل لقبره وبينهما الطريق ، ويقول «هو قبر»^(١) رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام .

فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ، ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد ﷺ حتى عرفه أكثرهم ، فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله ﷺ وقال له : «إن رجلاً من ولدي يحمل من سكة الموالي ، ويدفن عند شجرة التفاح ، في باغ»^(٢) عبد الجبار بن عبد الوهاب» - وأشار إلى المكان الذي دفن فيه - فذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها فقال له : لأي شيء تطلب الشجرة ومكانها ، فأخبر بالرؤيا ، فذكر صاحب الشجرة أنه كان رأى مثل هذه الرؤيا ، وأنه قد جعل موضع الشجرة مع جميع الباغ وقفاً على الشريف والشيعة يدفنون فيه .

فمرض عبد العظيم ومات رحمه الله ، فلما جرد ليغسل وجد في جيبه رقعة ، فيها ذكر نسبه ، فإذا فيها «أنا أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام» .

أخبرنا أحمد بن علي بن نوح قال : حدثنا الحسن بن حمزة بن علي قال : حدثنا علي بن الفضل قال : حدثنا عبيد الله بن موسى الروياني أبو تراب قال : حدثنا عبد العظيم بن عبد الله بجميع رواياته .

(١) هو قبر الشريف حمزة بن الإمام موسى الكاظم (ع) في مدينة ري، مجاوراً لقبر الشريف عبد العظيم الحسيني (رض).

(٢) باغ : كلمة فارسية تعني البستان .

قصيدة : أبا الحسن

✽ السيد محمد مهدي الهاشمي

تظلمت هذه القصيدة بمناسبة ذكرى مولد الإمام الرضا عليه السلام في شهر ذي الحجة عام ١٣٧٨ هـ. ق.

وحسبي فخراً أن تراني مواليا
وجئتُك من كلِّ العلائق عاريا
ولم أر منها غير بابك حاميا
يرى الشرَّ خيراً، والمعالي مخازيا
ولم يستخذ إلا المظلَّ هاديا
سواك، لذا أقبلتُ نحوكَ لاجيا
يحاول أن لا تستقرَّ كما هيا

ولاؤك يسمي بي وما زال ساعيا
نزعْتُ حياتي، وهي أهلي وموطني
قصدتُك والأحداث تتبع موكبي
بليتُ بعصر ضاع في الغيِّ رشده
فلم يستخب إلا المنافق صاحباً
طغى الكفر، والإيمان لم ير ملجأ
فانقذ حياتي من زماني فإنه

* * *

أبا الحسن أنظرنني، لتحسن نظرتي
فأنت الرضا لو جُدَّتْ للنفس بالرضا
ألسَّ الذي لا قِيَّتَ عصرك صابراً
غداة رأى المأمون أنَّ مقامه
قُبَّغداد نادت - بالأمين - ورددت
وقد سلبت ميراثه وسماته
وفي فارس لو ساعف الحظُّ قوَّةً
وهبَ أنـها والت علياً، فإنه
فذاك الرضا لو صار للعهد والياً
وأنهى بها تاريخ بغداد كي لها
ويقضي على عهد الرضا بعده بما

* * *

إلى عالم ساءت به نظراتي
لعمادت تعازيها بعيني تهانيا
على غُصَصٍ منها تدك الرواسيا
من الحكم لا يغدو بغيرك راسيا
صداها بلادُ المسلمين تباهيا
وأصبح يمشي في المواكب حافيا
تشاطر بغداد العلي والتساميا
سيصبح مولئ للوصي وداعيا
لنادت به طوس أميراً وواليا
يسجلُ تاريخاً بذكره حاليا
قضى قبله عهد الزكي معاويا

* * *

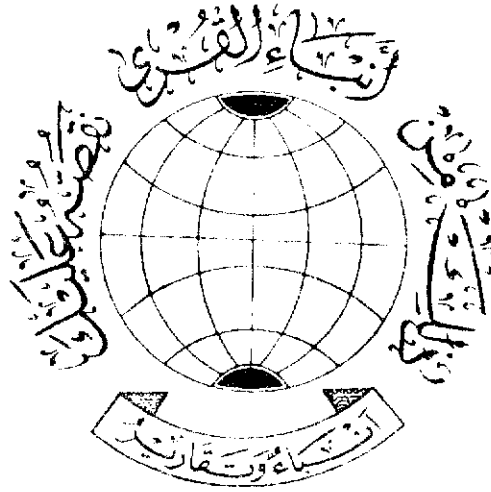
أبا حسن إن أسندوا لك عنوة
وجاء بك المأمون من يثرب لكي
فقد كنت تنحوفيه بالصبر والرضا
فذا أنقذ الإسلام مذ رام منقذاً
صبرت على ما يشتكي الصبر حمله
فقد طلعت آثارك الغر أنجماً
وطارت بنيشابور منك شظية
وفي طوس لما الغيث شحَّ سحابه
وسيرك المأمون كي تسأل السما
ومذ سرت للصحرَاء، واهتزَّ جنبها

ولاية عهد لم تكن عنه راضيا
يذبر أمراً لم يكن عنك خافيا
طريق عليّ حين بايع قاليا
وأنت رعيت الدين مذ رام راعيا
لتنشر فجراً منك يغزو المدياجيا
بها عاد تاريخ الإمامة زاهيا
إلى الحشر يبقى ضوءها متعاليا
وبات الثرى ظامي الجوانح صاديا
لترخي على الغبراء منك العزاليا
خشوعاً، وذاب الأفق فيك تفانيا

وأرخت عز إليها السماء إجابةً
هناك عدا المأمون ينقذ عرشه
ولاحت على التاريخ منك معاجز
وقد ملك المأمون ما كان طالباً
وأصبح يخشى منك ثورة أمة
فدس إليك السم في العنب الذي
غريباً تلاقي الموت ظمآن صادياً
تصارع حرّ السم كالسبط مُدْغداً
فلهني لمولاي الجواد وقد أتى
فأودعته ثقل الإمامة وانتهى
وأصبحت تاريخاً يوجه أمة
فيا ثامن الأنوار جد لي بنظرة

لأمرك، وانسابت على الأرض وادياً
ويخفي مقاماً منك كالقجر بادياً
بها إنقاذ من قد كان للحقّ عاصياً
وحقق في مسعاك ما كان ناوياً
أطاعته مهدياً، وولسته هادياً
قضيت به صبراً عن الأهل نائياً
كجذك مذ لاقاه ظمآن طاوياً
يصارع حرّ المرهفات المواضياً
ليلقى وداعاً منك للقلب دامياً
بموتك عهد لم يزل بك سامياً
سيصبح دُستوراً إلى الحشر باقياً
لتجرف أيّامي بذاك الليلاليا





نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

الشاه لتطيح به ، ويعود الإمام
الخميني «رضوان الله عليه»
مظفراً إلى البلاد ، هذا النظام
الفريد من نوعه في العصر
الحاضر الذي يريد أن يتقلد
الأمر ، أي مدى إمكانية تطبيق
الشريعة الإسلامية على أرض
الواقع، في عالم يسوده الظلم
والحيف والكذب والنفاق والحيلة

الجمهورية الإسلامية في إيران

قراءة في واقع التجربة

ومناطق الفراغ ...



لعل من القضايا الرئيسية التي
كان المراقب يتطلع إليها قبل أكثر
من عقدين من الزمن حينما كانت
طبول النصر تفرع في طهران،
ويستهاوي عرش الطاغوت
وتزحف الجماهير نحو قصور

والخداع ، وفي عالم العولمة «القرية الكونية الواحدة» ، وفي عالم التطور الصناعي السريع والكبير الذي يزحف على كل مجالات الحياة المادية، ويحتل مواقع الحياة المعنوية الواحدة بعد الأخرى !.

كان هذا المشهد المرتقب للثورة الإسلامية في إيران وهي على أبواب النصر محط أنظار الجميع سياسيين وغير سياسيين محبين وكارهين ، سيما وأن الشريعة كانت مغيبة عن الحكم لقرون طويلة من الزمن، أو لعقود على الأقل ، كانت الأنظار تتجه صوب التجربة الجديدة وكيف تتعامل مع أدوات العصر الحديث بأفكار ولدت قبل أربعة عشر قرناً ؟

ولكن سرعان ما تلاشت هذه الهواجس وزالت حالة الترقب التي شغلت العالم حينما عاشت التجربة على أرض الواقع ،

وأخذت تتعاطى مع الأمور بشكل عملي ؛ أخرج الكثير من القوانين الفقهية من حيّز الكتاب والنص إلى واقع العمل التنفيذي . وبطبيعة الحال فإن الأمر لم يكن بهذه السهولة ؛ لأن قيام دولة عظيمة واسعة مترامية الأطراف على أساس إسلامي في هذا العصر كان ولا زال يحتاج إلى اجتهادات واستنباطات فقهية، تمتد على مساحة واسعة من التطبيقات الحكومية من النظام السياسي نفسه إلى أصغر المفردات والتفاصيل والحيثيات التي يعيشها الفرد في كنف الدولة، ومثل هذا الجهد لا يمكن أن يُبذل في يوم وليلة حتى لو اجتمع كل فقهاء الأمة وواصلوا الليل بالنهار ، بل يحتاج إلى عنصر الزمن الطويل ليكون الرأي الفقهي حيال قضايا الدولة رأياً سديداً قائماً على أصول الاستنباط الفقهي المعروفة، وعلى أساس

موضوعي مُعاش ، وليس بناء على فرضيات . وكانت هذه السنوات الفائتة من عمر الدولة الإسلامية في إيران كفيلة بتوفير مثل هذه الفرصة المثالية إنَّ على صعيد النظام السياسي والدستور والمؤسسات السياسية التي تتألف منها الدولة ، أو على صعيد النظم الاجتماعية التي تنظم للفرد حياته في إطار احترام القيم ، أو على الصعيد الاقتصادي في التأسيس لاقتصاد عصري قائم على أساس المفاهيم الإسلامية في كل المجالات الاقتصادية ، وهذه - كما أسلفنا - عملية شاقة تتطلب تضافر الجهد الفقهي في أقصى مداه ، عبر تكامل الشخصيات المرجعية مع بعضها أو عبر تبني المؤسسة الدينية، وتحديداً الحوزة الدينية في التنظير وتلبية حاجة الدولة والأمة معاً .

ولا شك في أن تجربة عشرين

عاماً أو أكثر بقليل هي قصيرة بعمر الزمن في وضع منظومة شرعية كاملة للمجتمع خاصة في مجال التطبيق الفقهي للأحكام على اختلاف أشكالها وهي كثيرة بلاريب ، لأن ذلك يحتاج إلى قراءة متأنية يؤخذ بالاعتبار فيها الظرف الزماني والمكاني ، ثم أن تغييرها ليس بالأمر اليسير ، لأنها لا تقوم على أسس وضعية ، وإنما على أصول فقهية شرعية مُستَلَّة من الكتاب والسنة ، فإذا تيسر للدولة الإسلامية - على سبيل المثال - أن تغيّر بعض فقرات دستورها (كما حصل في عهد الإمام الراحل) عبر استفتاء الأمة عليه ، فإن ذلك جرى على مواد لا علاقة لها بالجانب الفقهي والشرعي للدولة ، وإنما على الهرم السياسي الذي يخضع لاعتبارات المصلحة العليا . مثال ذلك : إلغاء منصب رئيس الوزراء وإيكال مهامه إلى رئيس

الجمهورية ، فهذا كله يقع خارج نطاق الشارع المقدس ، إذا تيسّر هذا الأمر حتى وإن كان ضمن الدستور الثابت ، فهو ليس بهذه السهولة في القضايا التي تقع في إطار الحكم الشرعي ، ولهذا وُضعت في هيكلية المؤسسات العاملة في الدولة صمّامات أمان تمنع التجاوز على الشرع وعلى القانون أيضاً ، كمجلس أمناء الدستور مثلاً ، حيث يستغرب الكثير من المراقبين للوضع الإيراني لوجود هذا المجلس فوق المجلس التشريعي «مجلس الشورى الإسلامي» ، لكنه في الحقيقة أقرّ لكي لا يترشح عن الثاني «مجلس الشورى» لا سامح الله قانون يخالف الشريعة المقدسة أو الدستور الإسلامي للبلاد .

إذن في الوقت الذي يمكن للدولة أن تتحرك بحرية في إطار تعديل ما تراه القيادة والأمة

مناسباً لمؤسسات الدولة بما يكفل لها أن تتحرك على أرض عصرية ؛ فإنها تتقيد بما يمليه الشارع عليها في علاقتها مع الشعب ، أو في العلاقة بين أفراد المجتمع نفسه ، ولا يمكن أن تنطلق في هذه المسألة سوى مما يمليه الشرع والمصلحة الإسلامية العليا .

إنّ المساحتين الفقهيّة المقيدة والوضعية (إن صحّ التعبير) الحرة مازالتا تعانيان من منطقة فراغ واسعة ، لعلها هي السبب التي جعلت من إيران تواجه بعض التخلّفات على الصعيد الاقتصادي وعلى الصعيد الاجتماعي أيضاً؛ إلى جانب الإنجازات التي حققتها على مدى السنوات الماضية من عمر الثورة الإسلامية . وهذه المنطقة أيضاً ربما يعود إليها بعض السبب في السجال الدائر منذ سنوات في البلاد ، وهو سجال يأخذ مداه الإعلامي أحياناً

- ومع الأسف - قبل أن يُصار إلى ملء مناطق الفراغ من قبل أهل الحل والعقد وبالاستناد إلى الرأي الفقهي والمصلحة الإسلامية العليا ، فما يؤدي إلى إنهاء هذا السجال الذي قد يأخذ أحياناً منحى سجال أهل التخصص مع غير المتخصصين ، خصوصاً إذا كسّف الإعلام عن التهويل والضجيج وعمل بصورة بناءة في عملية البناء الاجتماعي ، ولعل المصداق الذي يمكن أن نستشهد به هنا ما شهدته الساحة الإيرانية من سجال مؤخراً حول موضوع تطبيق العقوبات الإسلامية على المألأ ، ففي حين انطلق القضاء من قاعدة «فليشهد عذابها طائفة من المؤمنين» ، وتحرك على أساس أن العقوبة العلنية كفيلة بالحد من الجرائم الاجتماعية والفساد الخلقي في المجتمع ؛ رأى البعض الآخر أن إنزال العقاب بهذه الطريقة قد يسيء إلى فهم

الإسلام وبالتالي يسيء إلى الإسلام نفسه . وأثمرت اللقاءات التي جرت بين السلطات الإسلامية الثلاث والآراء التي أدلى بها مراجع الدين بهذا الصدد في الوصول إلى نتيجة ورؤية فقهية حسمت الأمر ، وسحبت البساط من تحت المتربصين والمنافقين الكامنين وراء الأكمة للنيل من تجربة تطبيق النظام الإسلامي في إيران ، فتقرر أن يكون العقاب على المألأ حينما تكون الجريمة علنية ، لكيلا يتجرأ أحد على ارتكاب الذنب مرة أخرى.

من هذا المصداق (الجزء) يمكن أن نعود إلى الكل ونقول: إن الجمهورية الإسلامية في إيران ومن خلال لكل ما تعايشه من واقع وتخوضه من تجارب إيجابية وسلبية (أو ما يعتقد أنها سلبية) إنما تنثري الواقع الإسلامي الحالي والتاريخ بما يمكن أن

يستعين به في بناء النظام السياسي الإسلامي في المستقبل، وهو مستغن عن تكرار بعض هذه التجارب التي قد تستهلك الكثير من الجهد والزمن.

* * *

□ فلسطين

اجتمع الأعداء وغاب الأصدقاء والدفاع عن القدس مق ثابت

لم يعد خافياً أن اليهود بدعم من أميركا يلتزمون سياسة تسعى لإهلاك وتدمير الشعب الفلسطيني أو دفعه للهجرة خارج دياره، وصولاً لتفريغ أرضه من وجوده ثم تعميق جذور الاحتلال فيها وإغلاق ملف القضية الفلسطينية، حيث لجأ ويلجأ اليهود إلى كافة السبل والوسائل وصولاً لتحقيق أهدافهم من خلال التفاوض وعبر الاتفاقات حتى كانت مباحثات كامب ديفيد تحت

رعاية الرئيس الأميركي السابق «بيل كلنتون»؛ حيث أسفر اليهود عن الأطماع وأبانوا عن الخفايا حيث أكدوا أن القدس وفيها الأقصى قبلة المسلمين الأولى عاصمة موحدة أبدية يهودية، وأن المستوطنات في الضفة والقطاع أراضٍ يهودية ماضٍ فيها التوسع والانتشار، أما السلطة الفلسطينية فلا تعدو في مهامها إطار الحكم المحلي، وأولى مهامها الحفاظ على أمن الكيان الصهيوني. وفي هذا الإطار المعروف والمخطط له من قبل الكيان الصهيوني الذي أراد من خلاله تركيع أبناء الشعب الفلسطيني واستسلامهم بأساليب بشعة ودموية كالحصار والقصف وتدمير المنازل والمزارع واغتيال الشخصيات المجاهدة ضد هذا الاحتلال الغاصب. حيث يواجه الفلسطينيون بانتفاضة شعبية

أكدوا من خلالها رفض الاستسلام والاحتلال والرضوخ لمسا عرضه اليهود وتبناه الأميركيون في كامب ديفيد الأولى والثانية وغيرها، وأظهروا الاستعداد للتضحية دون أن تلين لهم عزائم؛ حيث قدموا منذ بداية الانتفاضة الثانية أكثر من ٦٠٠ شهيد و ٢٥ ألف جريح من أجل وقف الكيان الصهيوني من ممارساته الإجرامية بحق فلسطين وأبنائها من نساء وشيوخ وأطفال؛ الأمر الذي أدى إلى قيام الشعب الفلسطيني بالعمليات الاستشهادية ضد هذا الكيان الغاصب لعله يدرك أبعاد ممارساته البشعة بحق هذا الشعب المضطهد .

أميركا من جانبها غضت النظر عن القصف الصهيوني الغاشم وعن الضحايا الذين راحوا ضحية هذه الأعمال الإجرامية دون أي ذنب ارتكبهوه

سوى أنهم فلسطينيون يريدون العيش بكرامة وضمانة الحقوق الإنسانية، والتي هي من حقهم الطبيعي المشروع، والذي يجب أن يؤخذ بأي شكل من الأشكال هذا الموقف المخزي والمنحاز لصالح إسرائيل يقول أن قتل أبناء الشعب الفلسطيني بكامله مسألة فيها نظر وقتل يهودي واحد جريمة بحق الإنسانية في منظور العدالة الأميركية، حيث سارع الرئيس الأميركي جورج بوش الابن بإصدار بيان شديد اللهجة، وصنف فيه العمليات الاستشهادية بالإرهاب والحق، الأمر الذي اعتبره اليهود وعلى رأسهم السفاح شارون ضوئاً أخضر لشنّ عدوان واسع وشرس على الشعب الفلسطيني الأعزل ، فصدرت القرارات بإحكام الحصار حول مدن وقرى الضفة والقطاع وعزلها عن بعضها البعض مع الأعداد

لعمليات عسكرية غير عادية ضد الشعب الفلسطيني ، بالإضافة إلى ذلك ما صرّح به السفير الأميركي في إسرائيل حيث عبّر بدقة عن الموقف الداعم للكيان الصهيوني المناهض للحقوق العربية والإسلامية؛ حيث قال في تصريح له في تل أبيب «إن المصلحة الأميركية الإسرائيلية متطابقة ، والولايات المتحدة الأميركية مصممة على أن يطبق عرفات الوقف الفوري لإطلاق النار وغير المشروط ، وستحكم عليه واشنطن من خلال سلوكه على الأرض . وإن سياسة إدارة بوش الحالية ليست لا تركّز على السلام كما فعله ظاهراً كلينتون، ولكن تحقيق الاستقرار الإقليمي الذي تنشده أميركا، وهو تحقيق الأهداف والغايات الصهيونية على حساب الحقوق الفلسطينية، لأن مصالح أميركا متطابقة مع المصالح الصهيونية .

وكما أن هناك دعماً أوروبياً للكيان الصهيوني؛ ففي باريس أعلن الرئيس الفرنسي ووزير خارجيته بأنهم اتصلوا برئيس السلطة العرفاتية طالبين منه وقف إطلاق النار من دون قيد وشرط ، مؤكدين بأن العمليات الاستشهادية هي اعتداء على أمن إسرائيل . وفي موسكو صرّح وزير خارجية هذا البلد (إيفانوف) أنه اتصل ببيريز ليدين الأعمال الإجرامية الإرهابية ، ودعا عرفات للقيام بكل الأعمال الضرورية من أجل وقف الإرهابيين والمتطرفين، وأن هناك اتفاقاً أميركياً روسياً وثيقاً حول التنسيق لجهود مشتركة، بالإضافة إلى أن الدول الأوروبية أعلنت انحيازها للكيان الغاصب، وتغاضت عن كافة الممارسات الإجرامية وعن احتلاله للضفة والقطاع وسفكه لدماء الأبرياء، واعتبرت أصحاب الحق

المغتصب إرهابيين متطرفين ،
والمحتلين الغاصبين هم
المظلومين والذين يجب الدفاع
عنهم .

وهكذا اجتمع أهل الباطل ضد
أصحاب الحق في تقرير
مصيرهم ، وغاب عنهم الذين
كانوا يقولون: بأن فلسطين دولة
إسلامية ويجب الدفاع عنها، إلا
قليلاً من الدول الإسلامية
والعربية التي بقيت ملتزمة هذا
القول والعمل في إطاره ، ولكن
الأكثرية غابوا عن الساحة في
وقت كانوا يعتبرون أنفسهم
أصحاب أو أصدقاء القضية،
واكتفوا بعرض العضلات من
خلال عقد الندوات والمؤتمرات
ذات الخطب الرنانة التي لا تنفع إن
لم تضر في بعض الأحيان .. حيث
تطالب الشعب الفلسطيني بوقف
الانتفاضة واللجوء إلى
المفاوضات وانتهاج سبيل
الحلول السلمية التي تخدم

الجانب الإسرائيلي .. ومن جانب
آخر أدت الشعوب الإسلامية
بمعزل عن حكوماتها دورها
المطلوب؛ حيث قامت بالتظاهرات
والاحتجاجات وجمع المساعدات
والتبرعات للشعب المظلوم .

وبالرغم من كل الأجواء
المحيطة بالقضية الفلسطينية فإن
الشعب الفلسطيني تحوّل اليوم
بأكمله إلى جيش مقاوم للاحتلال
الصهيوني الذي لا يفهم إلا منطق
القوة بالرد عليه بذلك ؛ حيث أكد
قادة وزعماء الحركات الإسلامية
المجاهدة وأبناء الشعب
الفلسطيني أنه لا طريق لإنهاء
المقاومة والانتفاضة إلا
بالاعتراف الدولي بكافة حقوقهم
المغصوبة من قبل هذا الكيان
الغاصب والمجرم بحق
الإنسانية؛ وإلا فإن الانتفاضة
مستمرة والرد على أي أعمال
إجرامية يقوم بها المحتلون هو
الرد الحاسم والمضاعف

بضربات موجعة في عقر دار هذا الكيان المحتل ومؤسساته الحساسة بعمليات استشهادية ومركزة، يمرغون بها أنف شارون وعصابته في التراب ويكشفون عن زيف إدعاءاته ويفضحونه أمام الصهاينة الذين جاءوا به إلى الحكم؛ ليمنحهم الأمن والاستقرار باعتباره سقّاحاً لا يرعى في فلسطين إلاّ ولا ذمة، فإذا به يمنحهم الأكفان وشهادات الوفاة.

لقد توهم الكثيرون أن شارون قد نجح في تطبيق خطة (الجحيم) كما سماها لوقف الانتفاضة فإذا بعملية استشهادية واحدة (عملية القدس) ترغم الصهاينة جميعاً على إعادة النظر في ظل الإجراءات التي ظنّوا أنها ستوفر لهم الأمن ، ولقد آن الأوان للذين يمارسون سياسات التخذيل وزرع الوهن في النفوس أن يكفوا من استجداء الحلول ممن

يشاركون المعتدي جريمته، والوقوف مع أبناء القدس المغتصبة بالدفاع عن معتقداتهم وأنفسهم في تقرير مصيرهم المسلوب من قبل الصهاينة الغاصبين وأنه حق ثابت لمن يريد العزة والكرامة .

* * *

□ مصر

مفتي الديار المصرية يصدر فتوى يقول فيها : (أن لا خلاف بيننا وبين شيعة أهل البيت عليهم السلام في أصول الشريعة الإسلامية)

تمهيد :

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١).

لقد بذل الاستكبار العالمي بكل أجهزته ومؤسساته الدولية وقدراته الهائلة جهداً كبيراً

(١) الأنبياء : ٩٢ .

لتمزيق الأمة الإسلامية وتفريقها إلى فرق وطوائف، وتشويه الحقائق بافتعال الخلافات العقائدية والمذهبية ودق أسفين العداء بين أبناء الأمة الواحدة وصولاً إلى هدفه الخبيث في التمكن من بسط النفوذ والهيمنة على بلاد المسلمين ونهب ثرواتها، وتطويع شعوبها واستعبادهم، وهم وإن نجحوا إلى مدى في خطواتهم الأولى من التمزيق الجغرافي لبلاد الإسلام إلى دويلات مجزأة أعقبها الاحتواء السياسي، وإبراز البديل الوطني والقومي في طريقة الحكم والنظام الحاكم وتحميل المنهج الغربي في إدارة أغلب البلدان الإسلامية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية وغيرها.

أقول: إنهم وإن نجحوا في ذلك إلا إنهم اصطدموا بوحدة أغلب علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم الإسلامية عندما حاولوا

تفريق المسلمين عقائدياً ومذهبياً، وإيجاد حالة من التباعد والعداء بينهم؛ ليتمكن هذه المرة من الأمة الإسلامية وتحويلها إلى أمم صغيرة متناحرة متخالفة، يكفر بعضهم البعض الآخر فيفشلوا في حركتهم كأمة واحدة ويذهب ريحهم؛ بل وجدوا أغلب علماء المسلمين يتشبثون بقوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (٢).
وقوله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (٣).

وكان ممن تصدى لإرساء مبدأ وحدة الأمة الإسلامية وردّ كيد أعدائها إلى نحورهم هو مفتي الديار المصرية في معرض

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) المؤمنون: ٥٢.

جوابه على الاستفتاء الموجّه إليه
من قبل بعض المسلمين وفيما
يلي نص الاستفتاء ونص الفتوى :
نص الاستفتاء :

بسم الله الرحمن الرحيم
فضيلة الأستاذ الدكتور فريد
واصل نصر مفتي الديار
المصرية .
السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

نرجو من سماحتكم أن
تعطونا رأيكم الشريف في اقتداء
أصحاب المذاهب بمن يُقلّد مذهب
أهل البيت عليهم السلام من الشيعة الإمامية
الإثنا عشرية هل يصحّ ذلك أم لا ؟
١٦ / شوال المكرم / ١٤٢١

نص الفتوى :

بسم الله الرحمن الرحيم
كل مسلم يؤمن بالله ويشهد
ألا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول
الله، ولا ينكر معلوماً من الدين
بالضرورة، وهو عالم بأركان
الإسلام والصلاة وشروطها،

وهي متوقّرة فيه فتصحّ إمامته
لغيره وإمامة غيره له؛ إذا توفّرت
فيه تلك الشّروط ولو اختلف
مذهبهما الفقهي ، وشيعة أهل
البيت من نحلهم . ونتشيع معهم
لأنّهم ولرسولهم وأهل بيته
وصحابته جميعاً ولا خلاف بيننا
وبينهم في أصول الشريعة
الإسلامية ولا فيما هو معلوم من
الدين بالضرورة ، وقد صلّينا
خلفهم وصلّوا خلفنا في طهران
وفي قم في الأيّام التي شرفنا الله
بهم في دولة إيران الإسلامية .
وندعو الله أن يُحقّق وحدة الأمة
الإسلامية ويرفع عنهم أيّ شقاق
أو نزاع أو خلاف قد حلّ بهم في
بعض مسائل الفروع الفقهية
المذهبية .

والله هو المؤيّد والهادي إلى
سواء السبيل .

١٦ / شوال / ١٤٢١ هـ

الدكتور فريد نصر واصل

مفتي الديار المصرية

١ / ١٢ / ٢٠٠١ م

□ الجزائر

من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل الجزائرية ؟

في ٥ يوليو من عام ١٨٣٠م عندما توجهت القوات الفرنسية لاحتلال الجزائر عبر المنفذ البحري «سيدي فرج»، وعقب تحطيم الاسطول الجزائري الذي كان يحمي ظهر الاسطول العثماني في معركة «لافارين» على مقربة من المياه اليونانية؛ اصطحب قائد الحملة الفرنسية على الجزائر (دويوتياك)، وبتوصية من دائرة ماعرف بالأراضي الفرنسية في الخارج (دائرة الاستعمار) التابعة لوزارة الخارجية ١٤ شخصاً من أبرز القساوسة الفرنسيين الذين كان يعتقدون وينقلون اعتقادهم إلى الجنود الفرنسيين بأن «الهلال» لفظ كان يطلقه الفرنسيون على الإسلام، يجب أن يندحر في الجزائر لتعود إلى أحضان الصليب؛ ولذا لم تكن مهمة تلك

الحملة سياسية استعمارية بقدر ما كانت دينية مقدسة، كما كان يروج هؤلاء القساوسة لها.

قام الفرنسيون بتحويل معظم مساجد الجزائر التاريخية إلى كنائس، والبعض الآخر إلى اصطبلات خيول للجنود الفرنسيين، وكما قاموا بإلغاء معاهد التعليم الديني واللغوي التي كانت سائدة في الجزائر.

وتفيد المعلومات الدقيقة التي أوردها مؤرخون جزائريون إلى أن فرنسا قبل احتلالها للجزائر أوفدت عشرات العيون - الجواسيس - والذين عادوا بمئات التقارير عن جميع الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى التقسيم الجغرافي والجهوي. وبعد أن تمكنت القوات الفرنسية في بسط سيطرتها على الجزائر؛ توجه القساوسة إلى منطقة القبائل الجزائرية، وحتى لا يحيطوا أنفسهم بالشبهات فقد

ارتدوا ما كان - ولا يزال - يعرف في بلاد القبائل بالبرنس الأبيض وهو عبارة عن عباءة بيضاء من الصوف - وعرفوا وقتها بالآباء البيض ، وراحوا ينشرون بين الناس الأميين والبسطاء - أن الإسلام هو السبب في القضاء على العرق البربري، وأن العرب الذين جاءوا من مكة والمدينة صادروا أراضي البربر ودمروا لغتهم وعبثوا بمقدراتهم .

والأكثر من ذلك فإن المؤسسة الكنيسية الفرنسية التي كانت تتحرك في خط واحد مع المؤسسة السياسية العسكرية كانت توحى للقبائليين بأن عنصرهم آري، وهو العنصر العرقي نفسه الذي تنتمي إليه نصارى أوروبا وفرنسا الكاثوليكية . وحسب تقارير الكنيسة الفرنسية فإن فكرة الظهير البربري وتنصير المنطقة البربرية كانت استراتيجية ، وتنفيذاً لهذا الغرض بني العديد

من الأديرة والكنائس في هذه المنطقة . حيث كانت الكنائس الموجودة في الجزائر وعلى امتداد كل الولايات تشرف عليها فرنسا، ويديرها قساوسة فرنسيون . وبعد استقلال الجزائر في ٥ حزيران عام ١٩٦٢م بقيت هذه الكنائس على وضعها ماعدا التي كانت مساجد في الأصل كمسجد «كتشاوة» في العاصمة والذي عاد إلى وضعه السابق كمسجد .

ورغم الاستقلال ظلت فرنسا تتعامل مع الجزائر بالاستراتيجية نفسها التي جاءت بها إلى الجزائر عام (١٨٣٠م) ، غاية ما هناك أنها أعادت صياغة تلك الاستراتيجية في ضوء المستجدات الراهنة بعد الاستقلال ، فأوعزت لإقامة الأكاديمية البربرية عام ١٩٦٣م، وقد اضطلعت بكتابة الإنجيل ب(التغانيع) إلى الأحرف الأبجدية الأمازيغية في أوقات لاحقة ،

وظلت البعثات اليسوعية تتحرك بشكل صامت في معظم مناطق الجزائر مع التركيز على منطقة القبائل، وكانت السلطات الجزائرية تغض الطرف عن هذه النشاطات لأسباب عديدة، منها:

* عدم إحراج فرنسا لأن الكنائس الجزائرية والمراكز الثقافية الفرنسية وغيرها من المؤسسات كانت مرتبطة بالسفارة الفرنسية والتي كانت مرتبطة بالدولة الفرنسية.

* انشغال الجهات الرسمية في الجزائر بالمعارضة الشيوعية.

* بعض الجهات الفرنسية كانت تتعامل بالمثل «حرية المساجد في فرنسا مقابل حرية الكنائس في الجزائر».

* ومن أساليب هذه الإرساليات التنصيرية أنها كانت تقدّم الدعم المالي للمعوزين في مناطق القبائل الذين نشأ لديهم اعتقاد بأن الحكومة المسلمة في الجزائر العاصمة هي السبب وراء

تخلفهم وحرمانهم.

وعندما اندلعت الفتنة الجزائرية تكثف نشاط الإرساليات في المناطق القبائلية، وذلك من خلال بناء الكنائس التي أصبحت مراكز تنصيرية لاستقطاب الشباب الناقمين على الوضع الاجتماعي والسياسي بالإضافة إلى القنوات الإذاعية التي بثت إلى مناطق القبائل باللغة الفرنسية والأمازيغية، وتوزيع آلاف الأنجيل والترويج لها.

بالإضافة إلى تعاون بعض الجهات الرسمية وبالتحديد التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية بزعامة «سعيد سعدي» الذي كان يغذي الظاهرة التنصيرية، وفي نظره أن يحدث في الأصولية الإسلامية مقابل ذلك إغفال بعض المؤسسات الإسلامية في إعداد خطباء يتكلمون باللغة القبائلية، وينشرون مبادئ الإسلام في هذه المناطق.

فالبربر الذين قَدّموا للحضارة الإسلامية أعظم الإنجازات تريد فرنسا أن تجعل منهم واجهات فرانكفونية في الداخل الجزائري، وأن يكونوا رأس حربة ضد الإسلام والمسلمين في الجزائر بعدما قَدّموا التضحيات من أجل الدين الإسلامي القويم .

* * *

□ الصومال

ما المطلوب لئلا تعود عقارب

الساعة إلى الوراء ؟

عقارب الساعة تعود إلى الوراء من جديد في الصومال ، هذا هو أصدق تعبير عما يشهده هذا البلد المسلم من تطورات في الآونة الأخيرة والتي بلغت ذروتها عندما أعلنت فصائل المعارضة (٢١ فصيلاً) عن تشكيل مجلس تنفيذي يضم ٢٣ عضواً ليكون مسؤولاً عن إدارة البلد في الأشهر الستة القادمة ، وأطلق عليه اسم مجلس

المصالحة الوطنية ، وهو إسم ذو دلالة ؛ إذ معنّى ذلك عدم الاعتراف بجهود المصالحة الوطنية السابقة، والتي كان آخرها اتفاق «عرتة» - مدينة في جيبوتي - للمصالحة الوطنية في إبريل عام (٢٠٠٠م) .

ولا شك أن هذه الخطوة تطرح عدة تساؤلات ؛ خاصة بمصير جهود المصالحة الوطنية السابقة، والتي تمّ تأييدها من قبل المجتمع الدولي من ناحية، ومستقبل الوضع الداخلي من ناحية ثانية ، ومدى إنعكاس ذلك على الوضع الإقليمي في هذه المنطقة الحيوية من ناحية ثالثة .

ولابد من الإشارة إلى اتفاق «عرتة» والذي وقّعه الفصائل الصومالية عام ٢٠٠٠م، واعتبر الأساس الذي تسير عليه البلاد في المرحلة القادمة . وقد تميّز هذا الاتفاق والذي يحمل رقم ١٣ من الاتفاق السابق (الاتفاق للمصالحة الوطنية في القاهرة) بنقطتين أساسيتين هما :

الأولى : تمثيله لقوى المجتمع المدني التي تمّ استبعادها من اتفاق القاهرة .

الثانية : تتمثل بفرض عقوبات دولية على الفصائل التي لا تلتزم بهذا الاتفاق «عرتة» ، وهذه العقوبات يفرضها المجتمع والقوى الدولية ومن جعلتها: عدم السفر إلى الخارج ، تجميد الأرصدة المالية ، والسماح للمنظمات الإقليمية التي ينتمي إليها الصومال (منظمة الوحدة الافريقية ، وجامعة الدول العربية) لمواجهة هذا الفصيل أو ذاك .

بالإضافة إلى ذلك كان من أبرز النتائج التي تمخضت عن اتفاق «عرتة» اختيار رئيس البلاد ولأول مرة منذ الإطاحة بسياد بري عام ١٩٩٠م وهو الرئيس عبد القسام صلاّد حسن، والذي ينتمي إلى قبيلة «الهاوية» وهي نفس القبيلة التي ينتمي إليها حسين عيديد زعيم المعارضة . ولعل هذا الاختيار ذو مغزى خاص ، على أن الرئيس الذي

اختاره البرلمان الجديد من بين عشرين مرشحاً ، يتمتع بنفوذ قبلي واسع .

أمّا الحكومة الانتقالية والتي عهدت إلى علي خوليف جوليّد بتشكيلها حيث؛ لوحظ أن عملية توزيع المناصب الثلاثة الهامة (الرئاسة ، الحكومة ، البرلمان) قد روعي فيها التمثيل النسبي للقبائل الرئيسية (الدارود ، والرحانوين ، والهاوية) باستثناء قبلية الدير في الشمال، والتي كان من المفترض أن يسند إليها حقبة الخارجية والدفاع ، كما كان من المفترض أن يتولّى حسين عيديد منصب سفير بلاده في الأمم المتحدة ، وبعد الانتهاء من اختيار الرئيس ورئيس الحكومة ، والبرلمان ، ظهرت في الساحة الصومالية عقبات عديدة أطاحت بالحلم الصومالي، وجعلته بعيد المنال ومن هذه العقبات :

١ - العقبات الداخلية حيث تمثلت بوجود معارضة قوية قبل مؤتمر «عرتة» وبالخصوص في

الشمال؛ حيث أعلنت استقلالها عن البلاد والتي كانت بقيادة «ابراهيم عقال»، والذي أعلن عن تشكيل جمهورية أرض الصومال في شمال غرب البلاد بعد الإطاحة بسياد بري، بالإضافة إلى عبد الله يوسف الذي أعلن عن تشكيل دولة جديدة في شمال شرق الصومال باسم «بونت لاند» عام ١٩٩٩م.

ولقد رفضت هاتان القوتان الاعتراف بفكرة المصالحة الوطنية؛ حيث يرون أن الجنوبيين دائماً كانوا مستأثرين بالسلطة منذ استقلال البلاد عام ١٩٦٠م، ومن ثم فلا بد أن يحسم الجنوبيون مشكلاتهم الداخلية أولاً، ثم التفاوض مع الشماليين على قدم المساواة، كما يطرحون فكرة الحل الكونفدرالي؛ والذي يعني في حالة تطبيقه: تقسيم البلاد إلى دويلات صغيرة. ثم هناك المعارضة المتمركزة في العاصمة مقاديشو. وهي التي لم تُشارك في اجتماعات «عرتة»،

ومن ثم فهي لا تعترف بما تم التوصل إليه في الاجتماعات، بل ترى ضرورة مصالحة وطنية من جديد، ولعل هذا يفسّر إعلانها بتشكيل مجلس انتقالي لمدة ستة أشهر؛ تكون مهمته الأساسية الإعلان عن مصالحة وطنية ويكون مسؤولاً عن إدارة شؤون البلاد خلال هذه الفترة.

٢ - صعوبة نزع أسلحة الميليشيات المسلحة، وتشكيل قوة الأمن الوطنية، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة، وهذا ما عبر عنه رئيس الحكومة قبيل اجتماع مجلس الأمن والذي خصص لمناقشة الوضع في الصومال، إذ أعلن عن أن مشكلة نزع أسلحة الميليشيات وتسريحها تشكل أهم عقبة، خاصة وأن فصائل المعارضة ترفض ذلك، ومن هنا يمكن فهم أسباب عدم سيطرة النظام القائم والمنتخب إلا على نطاق صغير حول العاصمة.

٣ - عدم توفير التمويل اللازم لإعادة إصلاح البنية الأساسية في

البلاد والتي تحتاج إلى خطة دولية والتي قدّرت تكاليفها بـ ١٠ مليارات دولار، وهو مبلغ صعب جمعه ولو ١٪ منه فقط .

أمّا على صعيد العقوبات الإقليمية وتأتي في مقدمتها أثيوبيا ، فقد دأبت في الفترة الأخيرة - خاصة بعد التوصل إلى اتفاق سلام مع أرتيريا - على اختراق الحدود الصومالية بدعوى مطاردة القوات المعارضة للحكم في أديس أبابا، ويقصد بها القوى الإسلامية الصومالية (الاتحاد الإسلامي ، وحركة الإصلاح)، ويلاحظ أن أثيوبيا دولة حبيسة تسعى لإيجاد منافذ لها على ساحل البحر الأحمر - خاصة في ظل حالة العداء مع ارتيريا وإغلاق مينائي «زيلع وبربرة» فضلاً عن صغر ميناء جيبوتي البديل. ومن هنا فإنّها تحاول الضغط على أيّ حكومة صومالية من أجل وجود منفذ لها على البحر، وعدم رغبتها في إبقاء حالة عدم الاستقرار في

الصومال من أجل عدم التفات الحكومة الجديدة لملف الأوجادين - وهو اقليم يقطنه خمسة ملايين مسلم ، قامت بريطانيا باقتطاعه من الصومال وإعطائه لاثيوبيا عام ١٩٥٤م) .

أمّا بالنسبة لكينيا فإن الآثار الاقتصادية للحرب قد انعكست بالسلب عليها، فالسلع الصومالية يتم تهريبها عبر الحدود الكينية وتعرض للبيع بسعر أقل من السلع الكينية بسبب فارق الكمارك، وهو ما دفع الرئيس الكيني إلى إغلاق الحدود البرية والجوية مع الصومال أكثر من ثلاث مرات .

وللعقبات الدولية الأثر الكبير في عدم استقرار الصومال؛ حيث يتعامل المجتمع الدولي - وخاصة الأمم المتحدة والولايات المتحدة - بحساسية شديدة مع الملف الصومالي، نظراً للتجربة المريرة لكل منهما في الصومال؛ حيث خرجت الولايات المتحدة عام ١٩٩٣م منهزمة بعد مقتل ثمانية

عشر جندياً أميركياً على يد الجنرال الراحل فارح عيديد، وخروج قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٩٥م، ومن هنا يمكن فهم الموقف المخزي للمنظمة الدولية من الأحداث الأخيرة في البلاد. فبالرغم من تأييد (الأمم المتحدة) لمؤتمر «عرتة» فإن مسؤوليها المعني بالملف الصومالي؛ أعلن أن المنظمة الدولية ستدعو المجتمع الدولي لتأييد المبادرة السلمية، لكن هذا الدعم لن يصل إلى حد تقديم تبرعات مالية كبيرة بسبب التجربة الدولية المريرة في الصومال المنتصف التسعينات، كما يمكن في هذا الإطار أيضاً فهم موقف مجلس الأمن من القضية ... وقد أوضح ديفيد ستيفن بقوله: (إن العودة المحتملة للأمم المتحدة لن تشمل قوات حفظ السلام، بل ستشمل مجموعة صغيرة من المسؤولين السياسيين ومسؤولي وكالات الإغاثة في مقاديشو).

ويبقى أن الأمر يحتاج إلى ضرورة توافق الإدارة السياسية داخلياً، ودعم دولي وإسلامي لإنهاض هذا البلد من جديد؛ وإلا فإن عقارب الساعة ستعود إلى الوراء، ويكون الدمار مصير هذا البلد المسلم بتظافر العوامل الداخلية والخارجية.

* * *

⊞ الصين

حملة دموية ضد مسلمي تركستان الشرقية

تحت شعار مطاردة المافيا والمنظمات الإجرامية؛ أقدمت السلطات الصينية على حملة جديدة ضد المسلمين الصينيين في تركستان الشرقية «سنكيانج» الإيجورية ذات الحكم الذاتي». وتعد هذه الحملة الأعنف والأوسع نطاقاً منذ بدء السلطات الصينية حملاتها القمعية والدموية ضد المسلمين على مدى عشرين عاماً. حيث صدرت

الأوامر إلى كل دوائر الشرطة والدوائر التي لها علاقة بهذا الموضوع لمباشرة حملة جديدة وتوجيه ضربة قوية إلى كل القوى الإجرامية - على حد تعبيرهم - والهدف من هذه العملية هو القيام بحركة إصلاح في المجتمع عن طريق ما يدعى من مكافحة المافيا والمنظمات الإجرامية ... إلا إن هذه العملية أخذت منحى سياسياً في تركستان الشرقية؛ حيث صرّح حاكم هذه المنطقة تصريحاً مغايراً لهدف العملية المعلن، وقال : إن الهدف من هذه العملية هو الانفصاليون القوميون ويعني بهم (المسلمين) إذ أنهم يشكلون الخطر الأكيد ، ولذا تتركز العملية ضدهم بشكل أساسي. وصرّح أيضاً ضابط في الجيش الصيني أمام تجمع عسكري مكلف لهذه المهمة؛ حيث أكّد على ضرورة قيام الجيش وحرس الحدود معاً بتوجيه ضربة شديدة ضد الانفصاليين

القوميين (المسلمين) . وهذا يؤكد أن الهدف من الحملة التي تتواصل في تركستان الشرقية ليس القضاء على عصابات المافيا والقوى الإجرامية ، بل قمع واعتقال التركستانيين الشرقيين الذين لا ذنب لهم إلا السعي إلى تقرير مصيرهم .. وهذه الأعمال لم تكن الأولى من نوعها في مدى ديمومتها؛ حيث إن السلطات الصينية شددت من حملاتها الدموية ضد المسلمين وعلى وجه التحديد عام ١٩٩٦م فقد وسعت من سياستها القمعية وعملياتها الوحشية ضد الشعب الإيجوري .

وفي ظل هذا الإعلان اللاإنساني «القضاء على الانفصاليين» بدأت الشرطة والجيش بتوجيه ضربة شديدة ضد الإيجوريين وقتل عشرات الآلاف من الذين لا ذنب لهم سوى المطالبة بحقوقهم الإنسانية، واعتقل عشرات الآلاف بتهمة

التطرف والانفصالية وزجّوا في السجون ، ويوجد حالياً أكثر من مئة ألف إيجوري في سجون تركستان الشرقية، والتي تعيش تحت ظلمات النظام الشيوعي الصيني، حيث يعانون من تعذيب وحشي على أيدي الجلادين وبكل الوسائل غير الإنسانية، ويحكمون عليهم بالإعدام . وفي مقابل ذلك فإن الرأي العام العالمي لا يلقى اهتماماً بالوضع المأساوي في تركستان الشرقية رغم علمه بالوضع من خلال التقارير التي ترفع عن طريق المنظمات الإنسانية والدولية .

حيث تجد الصين دعماً لسياستها هذه من روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى في عملياتها القمعية ضد المسلمين حفاظاً على مصالحها الاقتصادية مع الصين حيث يوجد تنسيق مسبقاً بين الصين وهذه الدول وفق مقررات قمة رؤساء هذه الدول في شانكهاي ، إذ صدر ما يسمى بإعلان شانكهاي الذي

ينص على تعهد هذه الدول بعدم الدعم للحركات الاستقلالية، وتسليم الهاربين السياسيين التركستانيين إليها إلى الصين وعقد في جنيف مؤخراً المؤتمر السنوي لحقوق الإنسان للدول الأعضاء في الأمم المتحدة التي وقّعت على الميثاق الخاص بحقوق الإنسان وكما حدث في المؤتمرات السابقة فقد صوّت الأعضاء لصالح مشروع قرار أعدته الولايات المتحدة الأميركية يدعو إلى إدانة انتهاكات حقوق الإنسان في الصين . وفي المؤتمرات السابقة نجحت الصين في إفشال قرارات الإدانة ومساومة بعض الدول عن طريق الضغط على بعض الدول الأخرى أو مساعدتها مالياً تارةً أخرى لتصوّت لصالحها . وهذه المرة أيضاً تمارس الصين نفس الأسلوب، ولا تكتفي بهذا . بل تدفع الجاليات الصينية الموجودة في الخارج على القيام بمسيرات مؤيدة للصين أثناء انعقاد

المؤتمر؛ وذلك عن طريق تزويد هذه الجاليات بالمال .

ومن الجدير ذكره بأن الصين الدولة الأولى التي اخترقت الحاجز بإعداد تقرير يناقش حقوق الإنسان ويكشف الوجه المشروع للأمم المتحدة في هذا المجال وهي تمارس أبشع الأساليب المروعة ضد مواطنيها.

* * *

□ الحلف الأطلسي

تاريخ أسود، يعيد المقد الصليبي للمسلمين في القرون الوسطى

تداولت الأوساط السياسية والإعلامية كلمة «الانفجار الصغير» وهو ما قيل أنه رمز سري لعملية عسكرية وضع تصوراتها استراتيجيون في حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي ، بناء على معلومات ومعطيات وقررها لهم الجانب

الصهيوني .

العملية تتحدث عن سيناريو الأحداث المتوقع حصولها في فلسطين المحتلة على يد المجرم شارون ؛ حيث يفترض أن يقوم جيش الاحتلال الصهيوني بفرض طوق أمني شامل على قطاع غزة ويقتحم الضفة الغربية ليحتل مدنها بهدف حصر السلطة الفلسطينية في قطاع غزة، وتحويل شعار غزة أولاً إلى غزة أولاً وأخيراً ، ومن ثم إنهاء القضية الفلسطينية بحسب توهمهم بالقوة العسكرية بعد أن فشلوا في إنهاؤها عبر المفاوضات والتسوية .

هذا السيناريو يعيد فتح ملف حلف الأطلسي وعلاقته بالمنطقة العربية ودوره في دعم الكيان الصهيوني ، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو وزوال التهديد الشيوعي الذي كان المحرك الأول لقيام حلف الأطلسي ؛ أعيدت صياغة

استراتيجية جديدة للحلف تشمل ضمن عناوين مختصرة : توسيع نطاق عمليات الحلف لتشمل مناطق خارج أوروبا ، مواجهة النزاعات الإقليمية التي يمكن أن تؤثر على مصالح دول الحلف ، الحد من موجات الهجرة الواسعة النطاق إلى أوروبا ، ولا يستثنى من ذلك التدخل المباشر في قضايا الدول غير الأعضاء في الحلف ، حتى دون الحاجة إلى غطاء وهمي للحصول على موافقة قرار من الأمم المتحدة . وقبل فترة صرّحت وزيرة الخارجية الأميركية السابقة اولبرايت مستعرضة وجهة النظر الأميركية بشأن الحلف قائلة :

إن واشنطن تريد أن ترى حلفاً أطلسياً قادراً على مواجهة واسعة من التهديدات للمصالح المشتركة للحلف ، ويعمل بالشراكة مع أمم ومنظمات أخرى ، وتضيف : إن تحالف القرن الحادي والعشرين يتطلب مواصلة الدفاع عن الحدود

الموسّعة للحلف ، ومواجهة التهديدات من خارج هذه الحدود ، مثل أسلحة الدمار الشامل والنزاعات الإقليمية ، وأهمّها بالطبع الصراع مع الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة .

وبالنسبة للمناطق العربية اتّبع الحلف على وجه التحديد استراتيجية مزدوجة تحت اسم الاحتواء والالتزام ، ويقصد بالاحتواء عزل الدول التي تسعى إلى امتلاك أسلحة متطورة وبخاصة أسلحة الدمار الشامل ، أو التي تخرج عن طوع السياسات الغربية التي يراد فرضها على المنطقة . وقد شكّل الحلف وحدات خاصة للتعامل مع الأحداث التي ترى أنها تشكل تهديداً لأمنها ، وهذه الوحدات سمّيت بـ «أوروفور» و «أورومارفور» المشكلة من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال .

أمّا الالتزام فيقصد به

ناحيتين، الأولى : تثبيت الوضع الراهن في المنطقة العربية فيما يتعلق بالتفوق العسكري الصهيوني ، واستمرار احتلال الأراضي الفلسطينية وتمكين المشروع الصهيوني من تنفيذ مخططاته التي لا تتعارض بل تتماشى مع الخطط الغربية وتخدمها ، أما الناحية الثانية للالتزام فالمقصود منها محاربة ما يسمونه بالأصولية الإسلامية، وقد سعى الحلف من عام (١٩٩٥م) إلى إجراء حوار مع دول حوض البحر المتوسط حول تلك القضية شاركت فيه وللأسف حكومات كل من مصر والأردن والمغرب وتونس وموريتانيا.

والخلاصة أن الحلف الأطلسي أسفر عن توجيهاته العدوانية تجاه الدول الإسلامية وقضاياها العادلة ، بل لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنه أصبح يمثل حلفاً صليبيّاً جديداً يعيد التاريخ الأسود

للحملات الصليبية التي استهدفت المشرق الإسلامي في القرون الوسطى ، وإن الكيان الصهيوني ذراعه الضاربة في هذه المنطقة ، ومخلب القسط الذي يحاول أن ينهش به الجسد الإسلامي . وكما أن الحلف اتخذ موقفاً مخزياً في مقدونيا ؛ حين يُعين القومية السلافية المسيطرة على السلطة ويشجعها على تجاهل حقوق الألبان والمسلمين ، وفي كلتا الحالتين يتوهم حلف الأطلسي بأن استخدام القوة كفيل بالقضاء على أصحاب الحق ووأد تطلعاتهم نحو الحرية والكرامة وهو وهم باطل بكل تأكيد .

إن الحلف ومن ورائه أميركا الشريك الأكبر فيه ، قد أصابه الغرور بالقوة بعد أن انهار أمامه حلف وارشو وسارعت بعض الدول للانضمام إليه ، وبعد أن تمدّد شرقاً حتى كاد يجاور حدود روسيا والصين ، والآن فهو

يسعى إلى التحول إلى (شرطي العالم) الذي يملك حق التحرك والتدخل في أي لحظة وفي أي مكان يرتئها مناسبين للحفاظ على مصالحه ومصالح دوله، وتشجعه على ذلك موازين القوى المختلفة في العالم وضعف المسلمين وتقاعسهم عن الدفاع عن حقوقهم، وإذا كان توازن القوى مع حلف الأطلسي غير متحقق؛ فإن ذلك لا يعني الاستسلام والرضوخ لمخططات الحلف ومخططات الكيان الصهيوني المتحالف معه، فإن الدول الإسلامية تملك الإمكانيات المادية والثروات الضخمة والجيوش وكما تملك الموارد البشرية، فإذا ما أحسنت توجيه تلك الطاقات والموارد فإنها تستطيع استخلاص الحق الإسلامي، وتغيير نظرة العالم على أن الدول الإسلامية مجرد قصعة يتداعى عليها الأكلة.

□ أميركا

الافتتان بالقوة .. نمط السياسة

الفارسية الأميركية

تكاد تتفق الآراء التي تناولت محصلة الفترة الماضية من عهد الرئيس الأميركي جورج بوش الابن، أن ثمة مشكلات حقيقية وجديّة واجهت السياسة الأميركية خلال تلك الفترة المنصرمة على صعيد العالم، وقد ذهبت معظم الآراء إلى أن سياسة الإدارة الأميركية ستواجه كثيراً من المشاكل والصعوبات في المدى المنظور وهو أمر سوف يؤثر على موقع الولايات المتحدة بصفتها دولة كبرى ولها دور فعال ومؤثر في السياسة العالمية في جوانبها المختلفة.

وهناك ملاحظة يجب الإدلاء بها والتي جاءت نتيجة رصد وتقييم متابعي السياسة الأميركية في عهد الرئيس بوش الابن بأنها بدأت مرتبكة من جهة،

وغير متوازنة من جهة أخرى ، بل أنها جسدت خروجاً عن استراتيجية أميركية تسعى من خلالها إلى تكريس زعامة الولايات المتحدة للعالم وسيطرتها عليه .

ومن بين الأسباب المباشرة في ارتباك السياسة الأميركية ، اعتقاد أركان الإدارة الأميركية بالقدرة على فرض ما يرونه من سياسات ومواقف على مختلف التكتلات والدول . وإحساسهم بعدم قدرة أي من هؤلاء على رفض ما تملّيه واشنطن أو حتى الاعتراض عليه .

حيث إن وقائع كثيرة تغذي هذه الاعتقادات والأحاسيس الأميركية المدعومة بقوة غاشمة سياسية وعسكرية واقتصادية تتربع اليوم على كرسي الزعامة في العالم .

وكان من الطبيعي أن تكون القضايا المتصلة بالمنطقة الإسلامية من بين الموضوعات

الأولى التي تعاملت معها الإدارة الأميركية الجديدة . والأهم في هذه الموضوعات موضوعان هما :

الموضوع الأول : هو الموضوع العراقي ، والموضوع الثاني : هو القضية الفلسطينية ، وكما هو معروف فإن الموضوعين هما في اهتمام الرأي العام والأنظمة العربية أيضاً .

وكان التعامل الأميركي الأول في الموضوعين هو قيام الطائرات الأميركية البريطانية بغارات جوية على مختلف المدن العراقية وبالأخص بغداد في خطوة لم تحدث منذ حرب الخليج الثانية . حيث سبقت ذلك جولة وزير الخارجية الأميركي «كولن باول» إلى الشرق الأوسط في رحلة قيل إنها استطلاع للأوضاع في المنطقة ومحاولة للتعرف على ما فيها عن قرب . غير أن جولة باول لم تكن كما قيل بأنها استطلاعية؛ بل كانت ترسم

ملاحم التحرك الأميركي في المنطقة واتخاذ التدابير اللازمة في مواجهة الملف العراقي . بالإضافة إلى ذلك فإن نجاحات باول في إقناع الدول العربية في تهميش الموضوع الفلسطيني كانت محدودة وغير ناجحة تماماً. وهذا الأمر تأكّد من خلال مؤتمر قمة عمان والذي ظهر فيه انقسامات الدول العربية والإسلامية حول هذا الموضوع، لكن ذلك لم يمنع الإدارة الأميركية من العمل منفردة في ظل تأكدها في محدودية ردّة الفعل العربية الإسلامية أو انعدامها، وفي ظل هذه الأحداث استقبلت الإدارة الأميركية رئيس وزراء إسرائيل السقّاح شارون وأطلقت يده في مشروع أمني سياسي ضد الفلسطينيين، يتناقض مع المسيرة الأميركية التي تكرست في التعامل مع المسار الفلسطيني - الإسرائيلي بعد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، وزادت واشنطن على

ذلك بإعلان تأييدها لسياسة شارون وإجرائاته ضد الفلسطينيين والسلطة الفلسطينية في خطوة تعكس تحولاً في السياسة الأميركية المعلنة للسعي إلى تسوية القضايا في منطقة الشرق الأوسط .

بالإضافة إلى ذلك الأزمة السياسية التي حدثت مع روسيا وعبرت في بعض تجلياتها استعادة أجواء الحرب الباردة .

كما حدث في موضوع التجسس الروسي على الولايات المتحدة الأميركية وقيامها بطرد عشرات الدبلوماسيين الروس من الولايات المتحدة، وقد قوبلت الخطوة بإجراءات مماثلة من قبل روسيا .. ثم جاءت الأزمة الأميركية الصينية التي أثارَت طائفة التجسس الأميركية على الصين والتي حملت كل دلالات الصلف والعنجهية الأميركية، ورغبة واشنطن في وضع نفسها وسياستها فوق منطق التعامل

بين الدول على أساس التكافؤ
وحق السيادة واتخاذ القرار
المستقل .

ولعل من بين المشاكل
الحقيقية التي واجهتها سياسة
واشنطن في ظل إدارة بوش
الإبن، خلافها مع الاتحاد الأوروبي
بعد إعلان بوش قراره التخلي عن
«بروتوكول كيوتو» الخاص
بمكافحة ارتفاع درجة حرارة
الأرض ، حيث رفضت الدول
الأوربية القرار الأميركي لما له
من آثار اقتصادية وبيئية
وصناعية سلبية على العالم كله ..
إن نمط التعامل الأميركي الذي
تذهب إليه إدارة بوش يفرض
ظلاله ليس على المؤسسة
الأميركية الحاكمة وإدارتها فقط
بل على المؤسسة التشريعية
الأميركية . فيدفع الأخيرة إلى
التأسيس لسياسات ومواقف
تصب في الاتجاهات ذاتها .. وهو
ما يبدو واضحاً في توجه عدد
كبير من أعضاء الكونغرس إلى

الحكومة الأميركية بمشروع
لتحميل السلطة الفلسطينية
بمسؤولية ما يحدث في الأراضي
الفلسطينية المحتلة، وطلب
معاقبتها وسحب الاعتراف
الأميركي بها .. وثمة نموذج آخر
في نفس السياق هو قيام
الكونغرس الأميركي بدراسة
مشروع قانون يسمح لوزارة
العدل الأميركية وهيئة التجارة
الفيدرالية بإتخاذ إجراءات ضد
دول أجنبية بما فيها الدول
الأعضاء في منظمة «أوبك»،
بتهمة ممارسة تحديد الأسعار أو
مستوى الإنتاج وهو أمر
يتعارض مع مبادئ الأمم المتحدة
وبخاصة مع حق الدول بمواردها
الطبيعية، ويجعل فيها الدول
الأعضاء أسرى الابتزاز والضغط
الأميركي .. ويقود واقع
السياسات الأميركية الراهنة إلى
تزايد في الاعتراضات الدولية
على تلك السياسات، وبين
الاعتراضات تندرج اعتراضات

الدول الإسلامية وهي ككل
الاعتراضات الأخرى ، والتي تكون
في ثلاثة مستويات :

الأول : اعتراضات صورية خجلة
لا تخرج إلى العلن على أمل معالجة
الموضوعات والسياسات موضوع
الاختلاف، وتندرج فيها مواقف
(أصدقاء) الولايات المتحدة
«وحلفائها» وفيها الموقفان المصري
والأردني اللذان ظهرا في كل من
زيارة مبارك وعبد الله إلى واشنطن .

الثاني : الاعتراض الظاهر الذي
يحاول الموازنة في إحداث تبديل في
السياسة الأميركية بصورة مباشرة،
ويشكل المندرجون في هذا المستوى
معارضتي السياسة الأميركية ، ويقع
في حقوقها الموقف السوري في
اعتراضه على السياسة الأميركية في
المنطقة، وطلب أن تكون سياسة
متوازنة فيما يتصل بموضوع
الصراع العربي - الإسرائيلي .

الثالث : الاعتراض المبدئي مترافقاً
مع إعلان مواقف مضادة للمواقف
والسياسات الأميركية ورفض
هيمنتها الاستكبارية. وهناك عدد

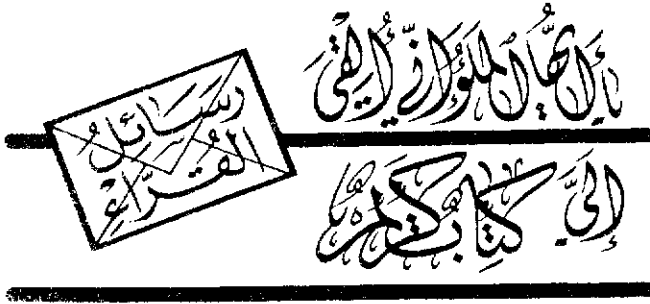
قليل من الدول تقترب إلى مثل هذه
المواقف في عالم اليوم على نحو
الموقف الذي تنفرد به الجمهورية
الإسلامية في إيران .

ولابد من أن هذه الاعتراضات
سوف تتفاقم في ظل استمرار
السياسة الأميركية في مساراتها
الراهنه، غير أنه من غير الواضح في
الأفق الذي يمكن أن تتبلور وتتوافق
فيه لتصير أكثر فاعلية وتأثيراً على
السياسة الأميركية وذلك بسبب
عاملين :

الأول : ضعف الإدارة السياسية
للدول التي تتصادم مصالحها
وسياساتها مع سياسات ومصالح
أميركا .

الثاني : هيمنة وجبروت القوة
الأميركية التي تبدو وكأنها قادرة
على عزل وحصار كل من يشهر
عداءه لواشنطن وسياساتها
الظالمة^(١) .

(*) والمجلة ماثلة للطبع، وقعت أحداث
نيويورك وواشنطن المؤسفة في أميركا
والتي أعقبها إعلان الرئيس الأميركي
حالة الحرب ووصفها بالحرب الصليبية
الجديدة لتكون شاهداً صارخاً آخر على
الافتتان بالقوة والغطرسة الاستكبارية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجوادي، مع تعريف موجز
للكتاب ، نرجوا أن ينال اهتمامكم
من خلال التعريف به في مجلتكم
الغراء لما تمثله قضية القدس من
أهمية في هذه المرحلة الراهنة من
تأريخ أمتنا العربية والإسلامية.
شاكرين لكم تعاونكم .

الدكتور إبراهيم بحر العلوم
معهد الدراسات العربية والإسلامية
لندن

تعريف مختصر بكتاب : القدس،
أصالة الهوية ومحاولة التخريب .

تعريف بكتاب : القدس أصالة

الهوية ومحاولة
التخريب



الأخ رئيس تحرير رسالة
الثقلين المحترم.
السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

يسر معهد الدراسات العربية
والإسلامية في لندن أن يقدم لكم
إصداره الجديد «القدس أصالة
الهوية ومحاولة التخريب» تأليف
الباحث الدكتور السيد علاء

تتميز مدينة القدس من بين المدن المقدسة باعتبارها اليوم أحد أهم نقاط الصراع السياسي في العالم. والأكثر من ذلك، فهي التي حظيت بتقديس أتباع الديانات التوحيدية الثلاث منذ آلاف السنين، المسلمون والنصارى واليهود. حيث لا تشكل القدس عندهم مجرد مدينة بل أنها هوية تشهد على أصالة التوحيد وصميمية الانتماء إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. ويحدثنا التاريخ أن هذه المدينة عميقة في صلب العقيدة الدينية، بل أنها سبقت في قدسيته دعوة النبي إبراهيم، هكذا راح الدكتور علاء الجوادي (مهندس متخصص بفن البناء والتخطيط وتاريخ المدن) يبحث عن مدينة القدس، ليكتشف تاريخها عبر آلاف السنين.

لقد حقق كتاب «القدس» للدكتور الجوادي، تقديم صورة عن طبيعة الهوية التي وسعت مدينة القدس عبر التاريخ، حيث

يحمل رداً علمياً قاطعاً على ادعاءات قادة الصهاينة ومن يمثلهم في مزاعمهم بالحق التاريخي للصهيونية في فلسطين وقدها، والكتاب بصورة عامة، رغم لغته الوثائقية وزدحامه بالمقتبسات الكثيرة، إلا أنه ممتع يشد القارئ وكأن المؤلف أراد أن ينقل قارئه في أجواء القدس العبة فينظر إليها كأنها شعلة إيمانية كانت وما تزال تتقد لتضيء الطريق.

يتألف كتاب القدس من ثمانية فصول للإحاطة بالشأن المقدسي من عدة جوانب. لقد ركز الفصل الأول من الكتاب على تقديم صورة عن قدسية المدينة عند المسلمين. وتلاه الفصل الثاني في التعريف العام بهذه المدينة المقدسة ومسجدها الأقصى. وتناول الكتاب الجانب التاريخي للقدس وفلسطين فكان الفصل الثالث حول القدس قبل الإسلام، والفصل الرابع حول القدس في

العهد الإسلامي، أما الفصل الخامس فتناول تأريخ القدس منذ مطلع القرن العشرين والاحتلال الصهيوني. أما الفصل السادس فقد ركز على محاولات التخريب وتغيير معالم مدينة القدس التي اضطلع به الكيان الصهيوني وعناصره المستوطنة المتطرفة. وفي المقابل راح الفصل السابع يسلط الأضواء على المساعي التي اضطلع بها العرب والمسلمون من أجل الحفاظ على هوية المدينة والوقوف ضد مشاريع التهويد المتواصلة.

انطلاقاً من ضرورة الوفاء لأولئك الرواد والعلماء الذين بذلوا كل ما بوسعهم من أجل الدفاع عن فلسطين وقدسها المغتصبة، فإن الفصل الثامن والأخير من الكتاب يستناول دور المراجعيات الإسلامية نحو القدس الشريف.

إن هذا الكتاب هو إصدار آخر من سلسلة «كتاب المعهد» التي يصدرها معهد الدراسات العربية

والإسلامية في لندن. والمعهد مؤسسة أكاديمية للبحث العلمي، تهدف إلى العناية الخاصة بالدراسات العربية والإسلامية والعمل على تطويرها. وتبادل الخبرات مع المؤسسات والمعاهد المتخصصة في مجال الدراسات العربية والإسلامية. والعمل لإبراز الدور الريادي للفكر العربي وإقامة المؤتمرات والندوات المتخصصة والحلقات الدراسية لإشاعة ثقافة ومنهجية الحوار مع الآخر.

الدكتور علاء الجوادي

لندن

* * *

مجلة «رسالة الثقلين» نالت

اعجاب الكثير من الأخوة

السادة في مجلة «رسالة

الثقلين».

الاستاذ رئيس التحرير

الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله

وبركاته.

أشكركم كثيراً على هذا التواصل، وممتن للغاية على هديتكم الثمينة، الاعداد (٢٢) و(٢٥) و(٢٦) من المجلة القيمة رسالة الثقلين، واعلمكم بأن الكثير من الأخوة في البحرين قد نالت اعجابهم من بين مجموعة المجلات الصادرة، إلا أنها وللأسف لا تصل إليهم، كما أشكركم كثيراً على استمراركم في تغطية أخبار البحرين .

ولكم من الله الأجر والثواب.

محمود الغريفي

دار الواحة للتوزيع - البحرين

* * *

رسالة الثقلين رائدة ومرشدة

إلى مكارم الأخلاق ومحبة

أهل البيت عليه السلام

اسمحوا لي أن أستهل رسالتي هذه بكلام الله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك

هم المفلحون﴾ وقوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ وقوله أيضاً: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ .

إخواني الأعزاء العاملين في مجلة رسالة الثقلين اعلموا أن جزاءكم عند الله لا يعد ولا يحصى ولا يعلمه إلا الله . منذ سنوات عديدة وأنتم تمدوننا بمجلاتكم الرائدة والمرشدة إلى مكارم الأخلاق ومحبة أهل البيت عليه السلام . ولا أبالغ إذا قلت إن رسالة الثقلين ينذر وجود مثيل لها في أنحاء العالم ، وكم نحن سعداء باستمرار وصولها لنا، فحقاً أنكم مصداق الآية الكريمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتدعون إلى الخير فأنتم المفلحون الذين وصفتهم الآية المذكورة، فبارك الله في سعيكم وزادكم سداداً وتوفيقاً لكل خير.

تجان قريش

ساحل العاج

فهرس مواد السنة العاشرة لمجلة رسالة الثقلين للأعداد ٣٧ - ٤٠

محرم الحرام - ذو الحجة ١٤٢٢ هـ. نيسان ٢٠٠١ - نيسان ٢٠٠٢ م

كلمة التحرير

بقلم رئيس التحرير

الصفحة	العدد	الموضوع
٤	٣٧	الثقلان المباركان محورا الحركة التغييرية للإمام الخميني <small>رحمته الله</small> .
٤	٣٨	قراءة في مصائد الاستكبار (١) المقالة الإستكبارية: «الرضوخ للأمر الواقع».
٤	٣٩	قراءة في مصائد الاستكبار (٢) «المحاصرة والردع الشامل»
٤	٤٠	مقولات في منهجية الخطاب الثقافي الإسلامي.

من آفاق القيادة الإسلامية

لولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله)

الصفحة	العدد	الموضوع
١٧	٣٧	دور العلماء في بناء الحضارة الإسلامية.
١١	٣٨	في رحاب النبي الأكرم <small>صلوات الله عليه</small> .
١٢	٣٩	فلسطين والحل الإسلامي.
٢١	٤٠	الشباب ومتطلبات المرحلة.

دراسات

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
٥٥	٣٧	الشيخ مرتضى المطهري	هدف الحياة الإنسانية (٢).
٩٢	٣٧	السيد محمد باقر الحكيم	نظرية الإمامة: الإمامة في أهل البيت (عليه السلام).
٤٦	٣٨	الدكتورة عائشة يوسف المناعي (قطر)	نظرية المعرفة في فلسفة الشهيد السيد محمد باقر الصدر (١).
٧٦	٣٨	أحمد محمد جواد محسن (سوريا)	علم الحساب عند الإمام علي (عليه السلام).
٤٦	٣٩	الدكتورة عائشة يوسف المناعي (قطر)	نظرية المعرفة في فلسفة الشهيد السيد محمد باقر الصدر (٢).
٦٠	٣٩	الشيخ محمد مهدي الآصفي	المردود السلوكي للإنسان عند النعمة والإبتلاء.
٤٥	٤٠	الشيخ محمد علي التسخيري	الأمة الإسلامية وخيار السلام العالمي في إطار العلاقة المتوازنة بين الحضارات.

من فقه مدرسة أهل البيت (عليه السلام)

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١١٤	٣٧	اعداد : لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع)	قواعد أصول الفقه : ٣ - قاعدة : الحقيقة الشرعية . ٤ - قاعدة : الصحيح والأعم .
٩٠	٣٨	الشيخ محمد مهدي الآصفي	منهج البروجردي (عليه السلام) في بحث ولاية الفقيه
١٠٧	٣٨	اعداد : لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع)	قواعد أصول الفقه : ٥ - قاعدة : المشتق . ٦ - قاعدة : استعمال اللفظ في أكثر من معنى .

٨٧	٣٩	محمد فاكر المبيدي	جواز الإقسام على الله .
١٢٠	٣٩	اعداد : لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع) ٧- قاعدة : علائم الحقيقة والمجاز. ٨ - قاعدة : لفظ الأمر حقيقة في الوجوب .	قواعد أصول الفقه : ٧- قاعدة : علائم الحقيقة والمجاز. ٨ - قاعدة : لفظ الأمر حقيقة في الوجوب .
٦٦	٤٠	اعداد : لجنة في مجمع فقه أهل البيت (ع) ٩- قاعدة : صيغة الأمر حقيقة في الوجوب. ١٠ - قاعدة : الجملة الخبرية المستعملة في مقام الطلب ظاهرة في الوجوب.	قواعد أصول الفقه : ٩- قاعدة : صيغة الأمر حقيقة في الوجوب. ١٠ - قاعدة : الجملة الخبرية المستعملة في مقام الطلب ظاهرة في الوجوب.

سؤال وجواب

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٥٢	٣٨	عز الدين سليم	هل كان لحديث الغدير حضور في السقيفة؟
١٥٣	٣٩	الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين)	السعادة كيف نجدها ؟ (١).
١٣٠	٤٠	الشيخ عيسى أحمد قاسم (البحرين)	السعادة كيف نجدها ؟ (٢).

شبهة ورد

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١١٦	٣٨	السيد هاشم الهاشمي	فهم النص «عرض ونقد» .
١٢٨	٣٩	السيد هاشم الهاشمي	فهم النص «عرض ونقد» : آراء غادامر والهرمنيوطيقا الفلسفية.
٧٣	٤٠	الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي	التعدد الدينية (١).
١٠٧	٤٠	السيد هاشم الهاشمي	فهم النص «عرض ونقد» : القراءات المختلفة للدين.

من تاريخ أهل البيت عليه السلام

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الطاعة والثورة في النهج السياسي للإمام الحسين (ع) (٢).	الدكتور أحمد عبدالمجيد حمود (استراليا)	٣٧	١٣٠

رأي

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
نحو انقاذ التاريخ الإسلامي.	الشيخ فرحان حسن المالكي (الحجاز)	٣٧	١٨٩
في حديث الثقلين (١).	بوتميزين العياشي (بلجيكا)	٣٨	١١٦
في حديث الثقلين (٢).	بوتميزين العياشي (بلجيكا)	٣٩	١٨٠
المسلمون الإنجليز «نظرة تقويمية».	جعفر عبدالرزاق (هولندا)	٤٠	١٦٣

من أعلام مدرسة أهل البيت عليه السلام

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
الشيخ علي بن محمد السمري «السفير الرابع».	حسين الشاكري	٣٧	١٦٤
شيخ الطائفة الطوسي.	حسين الشاكري	٣٨	١٩٢
الشريف المعتمد عبدالعظيم الحسيني <small>عليه السلام</small> (١).	عزالدين سليم (العراق)	٣٩	٢٠١
الشريف المعتمد عبدالعظيم الحسيني <small>عليه السلام</small> (٢).	عز الدين سليم (العراق)	٤٠	١٩٦

أهل البيت عليه السلام في روايات الصحابة

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
روايات سلمان الفارسي.	قاسم السوداني	٣٩	٢١٨

أدب في رحاب الثقلين

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
تصالح الأغراض والمفاهيم المتعارضة في شعر أبي فراس الحمداني.	الشيخ محمد علي التسخيري	٣٧	٢١٠
قصيدة: أبا الشهداء.	السيد محمد جمال الهاشمي	٣٧	٢٢٤
قصيدة: دماء على الأفق.	أبو العلاء المعري	٣٧	٢٠٦
قصيدة: بتهجك سرنا.	السيد محمد جمال الهاشمي	٣٨	٢١٠
قصيدة: مطهرون.	أبو نؤاس	٣٩	٢١٥
قصيدة: السبط الزكي.	السيد محمد جمال الهاشمي	٣٩	٢١٦
قصيدة: أبا الحسن.	السيد محمد جمال الهاشمي	٤٠	٢١٧

في ظلال غرر حكم أهل البيت

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
المقربون .	الشيخ عبد اللطيف الأسدي	٣٨	٢١٣

حوار

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
حوار بين أخوين مسلمين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.	الأعداد: الدكتور محمد علي رضائي الاصفهاني	٤٠	١٨٨

من أنباء القرن

مجموعة تقارير وأخبار عن أحوال المسلمين

وأتباع أهل البيت عليه السلام في أنحاء العالم / أعداد قسم الأرشيف

الصفحة	العدد	الموضوع
٢٢٧	٣٧	<p>أنباء وتقارير : * الجمهورية الإسلامية في إيران : (دعوة سماحة القائد: تفكير علمي عصري ومكافحة التحجر لمواجهة مخططات الأعداء) ، * فلسطين: (ذهب باراك .. جاء شارون : لا حمائم ولا صقور .. كلهم ذئاب ..)، (تهويد القدس مخطط صهيوني خطير...)، * تركيا: (انقرة تختار طريقاً وعرأ إلى الاتحاد الأوروبي)، * فرنسا: (على خلفيات قرار الجمعية الوطنية الفرنسية والاعتراف بمذابح الأرمن...) ، * نفقات التسليح : (مليارات لقتل الأوصياء والجياع يخننون ...)، * أميركا : (مصادقية ما أعلنته الحكومة الأميركية عن سياستها الخارجية أمام الاختبار ...).</p> <p>أنباء وتقارير: * الجمهورية الإسلامية في إيران : (مؤتمر طهران لدعم الانتفاضة ألهب الانتفاضة وأغضب الأميركيين)، * فلسطين : (الحصار والقمع لن يثني المقاومة عن طريقها المشروع)، * الجزائر: (مواجهات دامية وأخرى تنصيرية...)، * اندونيسيا: (تحديات جديدة في طريق إثبات الهوية الإسلامية...)، * مقدونيا: (صورة أخرى من مأساة المسلمين في أوروبا)، * أميركا:</p>

٢٣٠	٢٨	(من جرائم أميركا وحلفائها ضد الإنسانية قنابل اليورانيوم). أنباء وتقارير : * الجمهورية الإسلامية في إيران: (أفكار بعد الانتخابات الرئاسية)، * فلسطين: (مبادرة ميتشل مؤامرة لإجهاض الانتفاضة والالتفاف على مكاسبها ...)، * البوسنة والهرسك : (إصرار الصرب على موقفهم الصليبي بإقصاء المسلمين)، * الدانيمارك : (المجتمع الدولي والإسلام .. إقرار متأخر...) * من حصاد الاستكبار : (الأمية .. الفقر .. اللاإستقرار في دول جنوب العالم إفراز لمنظومة دول شماله) * أميركا: (سباق التسليح ... ومشروع الدفاع الصاروخي لمصلحة من؟).
٢٣١	٢٩	أنباء وتقارير : * الجمهورية الإسلامية في إيران: (قراءة في واقع التجربة ومناطق الفراغ)، * فلسطين: (اجتمع الأعداء وغاب الأصدقاء والدفاع عن القدس حق ثابت)، * مصر: (مفتي الديار المصرية يصدر فتوى يقول فيها : «أن لا خلاف بيننا وبين شيعة أهل البيت (ع) في أصول الشريعة الإسلامية)، * الجزائر: (من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل الجزائرية ؟)، * الصومال: (ما المطلوب لئلا تعود عقارب الساعة إلى الوراء ؟)، * الصين: (حملة دموية ضد مسلمي تركستان الشرقية)، * الحلف الأطلسي: (تاريخ أسود، يعيد الحقد الصليبي للمسلمين في القرون الوسطى)، * أميركا : (الافتتان بالقوة نمط السياسة الخارجية الأميركية).
٢٣٠	٤٠	

مع قراء الثقليين

اعداد : قسم العلاقات

الصفحة	العدد	الموضوع
٢٦٠	٣٧	رسائل وتقويمات : * «رسالة الثقليين» قوية الأداء رفيعة المستوى - إبراهيم محمد جواد (سوريا)، * عندما قرأت «رسالة الثقليين» كدت أطيّر فرحاً وسروراً - عبد الرحيم روزي النوري غواري (بلتسان شمال باكستان).
٢٥٧	٣٨	رسائل وتقويمات : * «رسالة الثقليين» مجلة رسالية - ناصر العبيدي (الجمهورية الإسلامية في إيران - دزفول)، * مجلتكم قيمة تحمل لواء الإسلام الأصيل - السيد الموسوي (عميد منتدى اللغة العربية - الجمهورية الإسلامية في إيران - مشهد المقدسة)، * عندما وقعت يدي على مجلتكم الغراء راقنتي كثيراً لما يُنشر فيها - فائق علي محمد الموسوي (مليورن - استراليا)، * «رسالة الثقليين» مليئة بالعلوم والبحوث الإسلامية الشيقة - خالد يحيى القاضي (جمهورية مصر العربية)، * جزاكم الله أحسن الجزاء على ما تبذلونه من أجل اعلاء كلمة الله - (مدرسة السعادة الإسلامية - جمهورية مالي)، * في رسالة الثقليين فرائد علوم أهل البيت (عليه السلام) - السيد أحمد السيد ضاحي الحسيني (السويد)، * «رسالة الثقليين» مجلة العطاء الفكري الثر - منير الطريحي (انجلترا - لندن)، * «رسالة الثقليين» تهدي إلى الحق - على حبيب الله (المدير العام لدائرة الإشراف الديني لمسلمي تاتارستان (روسيا - تاتارستان)، * «رسالة الثقليين» مجلة إيمانية وبالمستوى المرموق - هادي سلمان العطار (انجلترا).
		رسائل وتقويمات : * «رسالة الثقليين» مجلة الفيض الزاخر

٢٥٧	٣٩	<p>بعلوم أهل البيت <small>عليه السلام</small> - حسين عدنان الهاشمي (الدانيمارك). * مجلتكم الغراء تزود المسلم بالفكر والثقافة الإسلامية - عبد الخالق أحمد (اليمن - صنعاء)، * «رسالة الثقلين» معين زاهر معطاء - حسين الشاكري (الجمهورية الإسلامية في إيران - قم المقدسة)، * زودونا من علوم ومناهل أهل البيت <small>عليه السلام</small> - مصطفى أنور علي فاضل (اليمن - عدن)، * «رسالة الثقلين» بلسم لجراح العقول - محمد حسين يحيى سالم (اليمن - صنعاء)، * «رسالة الثقلين» دَوَّنت عنوانها في قلبي - محمد مصطفى (السنغال). رسائل وتقويمات : * تعريف بكتاب: القدس أصالة الهوية ومحاولة التخريب «رسالة الثقلين» نالت إعجاب الكثير من الأخوة - محمود الغريفي (البحرين)، * «رسالة الثقلين» رائدة ومرشدة إلى مكارم الأخلاق ومحبة أهل البيت <small>عليه السلام</small> - تجان قريش (ساحل العاج).</p>
٢٥٥	٤٠	

رسالة الثقلين مجلة اسلامية جامعة

قسمة الاشتراك

الاسم:

العنوان:

البلدية:

البلد:

الهيئة:

مدة الاشتراك:

ابتداء من:

عدد النسخ:

بلد: الاشتراك:
الارسل: السنوي: لمدة ٦ أشهر

☐ الجمهورية الاسلامية ٢٠٠٠ ١٠٠٠
في ايران (ريال)
☐ باقي دول العالم بالدولار ٣٠ ١٥
الأميركي
(أو ما يعادلها)

يرافق اشتراكي: ☐ صك ☐ صك مريدي ☐ حوالة بريدية
أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي:
«الجمهورية الاسلامية في ايران» قم - ص ب ٨٩٤ - ٣٧١٨٥

.....
الاشتراكات:

☐ داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٢٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي.

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بانک ملی شعبه ولایت - خیابان فلسطين جنوبی - رقم الحساب الجاري: ٥٥٩١٦٠٠٦، بالريال - مجلة رسالة الثقلين.

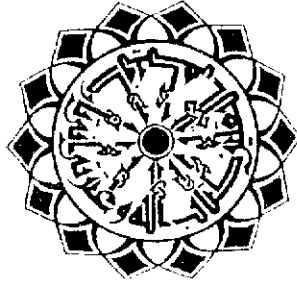
☐ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولار أميركي أو ما يعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي، اجميع فروع بانک ملی في خارج البلاد.

Bank Melli, Iran (55916006)

ضمن النسخة:

☐ الجمهورية الاسلامية في ايران ٥٠٠٠ ريال.

☐ وفي باقي دول العالم ٧ دولارات اميركية أو ما يعادلها.



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol . 10, No. 40, January - March. 2002